سلسلة شخصيات غيرت مجري التاريخ

الزعيم الخالد

جمال عبد الناصر

(1918 - 1970)

وسر الكاريزما

مكتبة زهران

رئيس بدرجة زعيم

الزعيم الخالد جمال عبد الناصر

وسر الكاريزما

اسم الكتاب / الزعيم الخالد.. جمال عبدالناصر
إعداد وتقديم /د. سمير إمام شرف
رقم الإيداع / 171401 - 2016
الترقيم الدولي / 7 - 055 - 355 - 977 - 978
تصميم الغلاف / محمد زهران
الناشر / مكتبة زهران
بالإشتراك مع / دار الراوي

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر ولا يجوز نسخ أو إقتباس جزء أو كل الكتاب إلا بالرجوع للناشر وأخذ موافقة خطية مختومه وممضاه من صاحب دار النشر ومن يخالف ذلك يعرض نفسة للمخالفة القانونية.

رئيس بدرجة زعيم

الزعيم الخالد

جمال عبد الناصر

وسر الكاريزما

كتبه

د. سمير إمام شرف

تقديـم

لعل الزعيم الخالد جمال عبد الناصر صاحب الكاريزما المتميزة التي جعلت الأمة العربية تلتف حوله وتهتف له وتبكي لفراقه سر من الأسرار التي ما زال الخبراء المتخصصين في مجالات التنمية البشرية يبحثون عنها.

- هل هي كاريزما الكلمات التي كان ينطق بها في خطاباته للشعب أم طريقة الإلقاء ذاتها؟!
- إنها كاريزما جمال عبد الناصر المولود في 18 شارع القنوات في حي باكوس الشعبي بالإسكندرية أصبح زعيمًا للأمة العربية رغم أنف الميع.
- تحتاج قصة حياته لمجلدات كاملة وهنا نأخذ القارئ إلى زمن عبد الناصر وخطاباته النارية التي تؤجج المشاعر وتعصف بالأحاسيس ومن خلال سطور موجزة نعرض لأهم محطات في حياة الزعيم الخالد (عبد الناصر) دون أن نتعرض لما له أو ما عليه .. وندع التاريخ يكتب ونعرض لشهادة أنور السادات زميل كفاحه.

والله الموفق والمستعان

المؤلف

د. سمير إمام شرف

أصدق الكلمات

أصدق الكلمات هي تلك التي أعدتها

د. هدى جمال عبد الناصر عن والدها

رحمة الله عليه

الزعيم الخالد جمال عبد الناصر (في سطور)

- ولد جمال عبد الناصر في 15 يناير 1918 في 18 شارع قنوات في حي باكوس الشعبي بالإسكندرية.
- كان جمال عبد الناصر الابن الأكبر لعبد الناصر حسين الذي ولد في عام 1888 في قرية بني مر في صعيد مصر في أسرة من الفلاحين، ولكنه حصل على قدر من التعليم سمح له بأن يلتحق بوظيفة في مصلحة البريد بالإسكندرية، وكان مرتبة يكفي بصعوبة لسداد ضرورات الحياة.

جمال عبد الناصر في المرحلة الإبتدائية:

- التحق جمال عبد الناصر بروضة الأطفال بمحرم بك بالإسكندرية، ثم التحق بالمدرسة الإبتدائية بالخطاطبة في عامي 1923، 1924.
- وفي عام 1925 دخل جمال مدرسة النحاسين الابتدائية بالجمالية بالقاهرة وأقام عند عمه خليل حسين في حي شعبي لمدة ثلاث سنوات، وكان جمال يسافر لزيارة أسرته بالخطاطبة في العطلات الرسمية، وحين وصل في الإجازة الصيفية في العام التالي - 1926 - علم أن والدته قد توفيت قبل ذلك بأسابيع ولم يجد أحد الشجاعة لإبلاغه بموتها، ولكنه اكتشف ذلك بنفسه بطريقة هزت كيانه - كما ذكر لـ «دافيد مورجان» مندوب صحيفة «الصنداي تايمز» - ثم أضاف: «لقد كان فقد أمي في

حد ذاته أمرًا محزنًا للغاية.

- وبعد أن أتم جمال السنة الثالثة الابتدائية في مدرسة النحاسين بالقاهرة، أرسله والده في صيف 1928 عند جده لوالدته فقضى السنة الرابعة الإبتدائية في مدرسة العطارين بالإسكندرية.

جمال عبد الناصر في المرحلة الثانوية:

- التحق جمال عبد الناصر في عام 1929 بالقسم الداخلي في مدرسة حلوان وقضى بها عامًا واحدًا، ثم نقل في العام التالي - 1930 - إلى مدرسة رأس التين بالإسكندرية بعد أن أنتقل والده إلى العمل بمصلحة البوسطة هناك.

- وفي تلك المدرسة تكون وجدان جمال عبد الناصر القومي؛ ففي عام 1930 استصدرت وزارة إسماعيل صدقي مرسومًا ملكيًا بإلغاء دستور 1923 فثارت مظاهرات الطلبة تهتف بسقوط الاستعمار وبعودة الدستور.

- ويحكي جمال عبد الناصر عن أول مظاهرة اشترك فيها: «كنت أعبر ميدان المنشية في الإسكندرية حين وجدت اشتباكًا بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات من البوليس، ولم أتردد في تقرير موقفي؛ فلقد انضممت على الفور إلى المتظاهرين، دون أن أعرف أي شيء عن السبب الذي كانوا يتظاهرون من أجله، ولقد شعرت أنني في غير حاجة إلى سؤال؛ لقد رأيت أفرادًا من الجماهير في صدام مع السلطة، واتخذت موقفي دون تردد في الجانب المعادي للسلطة.

- ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف، لكن سرعان ما

جاءت إلى المكان الإمدادات؛ حمولة لوريين من رجال البوليس لتعزيز القوة، وهجمت علينا، وإني لأذكر أني - في محاولة يائسة - ألقيت حجرًا، لكنهم أدركونا في لمح البصر، وحاولت أن أهرب، لكني حين التفت هوت على رأسي عصا من عصى البوليس، تلتها ضربة ثانية حين سقطت، ثم شحنت إلى الحجز والدم يسيل من رأسي مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الإفلات بالسرعة الكافية.

- ولما كنت في قسم البوليس، وأخذوا يعالجون جراح رأسي؛ سألت عن سبب المظاهرة، فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة في ذلك الوقت للاحتجاج على سياسة الحكومة.

- وقد دخلت السجن تلميذًا متحمسًا، وخرجت منه مشحونًا بطاقة من الغضب من حديث عبد الناصر مع «دافيد مورجان» مندوب «صحيفة الصنداي تايمز» 1962/ 6/ 18).

- ويعود جمال عبد الناصر إلى هذه الفترة من حياته في خطاب له بميدان المنشية بالإسكندرية في 1954/ 10/ 26 ليصف أحاسيسه في تلك المظاهرة وما تركته من آثار في نفسه يقول الزعيم جمال عبدالناصر: «حينما بدأت في الكلام اليوم في ميدان المنشية. سرح بي الخاطر إلى الماضي البعيد... وتذكرت كفاح الإسكندرية وأنا شاب صغير وتذكرت في هذا الوقت وأنا أشترك مع إبناء الإسكندرية، وأنا أهتف لأول مرة في حياتي باسم الحرية وباسم الكرامة، وباسم مصر... أطلقت علينا طلقات من جنود الاستعمار وأعوان الاستعمار فمات من مات وجرح من جرح، ولكن خرج من بين هؤلاء الناس شاب صغير شعر بالحرية

وأحس بطعم الحرية، وآلى على نفسه أن يجاهد وأن يكافح وأن يقاتل في سبيل الحرية التي كان يهتف بها ولا يعلم معناها؛ لأنه كان يشعر بها في نفسه، وكان يشعر بها في روحه وكان يشعر بها في دمه».

لقد كانت تلك الفترة بالإسكندرية مرحلة تحول في حياة الطالب جمال من متظاهر إلى ثائر بحالة الغليان التي كانت تعاني منها مصر بسبب تحكم الاستعمار وإلغاء الدستور. وقد ضاق المسئولون بالمدرسة بنشاطه ونبهوا والده فأرسله إلى القاهرة.

- وقد التحق جمال عبد الناصر في عام 1933 بمدرسة النهضة الثانوية بحي الظاهر بالقاهرة، واستمر في نشاطه السياسي فأصبح رئيس اتحاد مدارس النهضة الثانوية.

- وفي تلك الفترة ظهر شغفه بالقراءة في التاريخ والموضوعات الوطنية فقرأ عن الثورة الفرنسية وعن «روسو» و«فولتير» وكتب مقالة بعنوان «فولتير رجل الحرية» نشرها بمجلة المدرسة. كما قرأ عن «نابليون» و«الإسكندر» و«يوليوس قيصر» و«غاندي» وقرأ رواية البؤساء لـ«فيكتور هوجو» وقصة مدينتين لـ «شارلز ديكنز».

- كذلك اهتم بالإنتاج الأدبي العربي فكان معجبًا بأشعار أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وقرأ عن سيرة النبي محمد ﷺ وعن أبطال الإسلام وكذلك عن مصطفى كامل، كما قرأ مسرحيات وروايات توفيق الحكيم خصوصًا رواية عودة الروح التي تتحدث عن ضرورة ظهور زعيم للمصريين يستطيع توحيد صفوفهم ودفعهم نحو النضال في سبيل

الحرية والبعث الوطني.

- وفي 1935 في حفل مدرسة النهضة الثانوية لعب الطالب جمال عبد الناصر دور «يوليوس قيصر» بطل تحرير الجماهير في مسرحية «شكسبير» في حضور وزير المعارف في ذلك الوقت.

- وقد شهد عام 1935 نشاطًا كبيرًا للحركة الوطنية المصرية التي لعب فيها الطلبة الدور الأساسي مطالبين بعودة الدستور والاستقلال، ويكشف ذلك خطاب من جمال عبد الناصر إلى صديقه حسن النشار في 4 سبتمبر 1935 يصف مكنون نفسه في هذه الفترة، فيقول: «لقد انتقلنا من نور الأمل إلى ظلمة اليأس ونفضنا بشائر الحياة واستقبلنا غبار الموت، فأين مَنْ يقلب كل ذلك رأسًا على عقب، ويعيد مصر إلى سيرتها الأولى يوم أن كانت مالكة العالم، أين من يخلق خلقًا جديدًا لكي يصبح المصري الخافت الصوت الضعيف الأمل الذي يطرق برأسه ساكنًا صابرًا على اهتضام حقه ساهيًا عن التلاعب بوطنه يقظًا عالي الصوت عظيم الرجاء رافعًا رأسه يجاهد بشجاعة وجرأة في طلب الاستقلال والحرية... قال مصطفى كامل: (لو نُقل قلبي من اليسار إلى اليمين أو تحرك الهرم من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل فلن أتغير عن المبدأ)... كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم فقد تكلمنا مرات عدة في عمل يوقظ الأمة من غفوتها ويضرب على الأوتار الحساسة من القلوب ويستثير ما كمن في الصدور. ولكن كل ذلك لم يدخل في حيز العمل إلى الآن».
(من خطاب عبد الناصر لحسن النشار في... 1935/ 9/ 4).

- وبعد ذلك بشهرين وفور صدور تصريح «صمويل هور» - وزير

الخارجية البريطانية – في 9 نوفمبر 1935 معلنًا رفض بريطانيا لعودة الحياة الدستورية في مصر، اندلعت مظاهرات الطلبة والعمال في البلاد، وقاد جمال عبد الناصر في 13 نوفمبر مظاهرة من تلاميذ المدارس الثانوية واجهتها قوة من البوليس الإنجليزي فأصيب جمال بجرح في جبينه سببته رصاصة مزقت الجلد ولكنها لم تنفذ إلى الرأس، وأسرع به زملاؤه إلى دار جريدة الجهاد التي تصادف وقوع الحادث بجوارها ونشر اسمه في العدد الذي صدر صباح اليوم التالي بين أسماء الجرحى. (مجلة الجهاد 1935).

- وعن آثار أحداث تلك الفترة في نفسية جمال عبد الناصر قال في كلمة له في جامعة القاهرة في 15 نوفمبر 1952: «وقد تركت أصابتي أثرًا عزيزًا لا يزال يعلو وجهي فيذكرني كل يوم بالواجب الوطني الملقى على كاهلي كفرد من أبناء هذا الوطن العزيز وفي هذا اليوم وقع صريع الظلم والاحتلال المرحوم عبد المجيد مرسي فأنساني ما أنا مصاب به، ورسخ في نفسي أن عليَّ واجبًا أفنى في سبيله أو أكون أحد العاملين في تحقيقه حتى يتحقق؛ وهذا الواجب هو تحرير الوطن من الاستعمار، وتحقيق سيادة الشعب، وتوالى بعد ذلك سقوط الشهداء صرعى؛ فازداد إيماني بالعمل على تحقيق حرية مصر».
- وتحت الضغط الشعبي وخاصة من جانب الطلبة والعمال صدر مرسوم ملكي في 12 ديسمبر 1935 بعودة دستور 1923.
- وقد انضم جمال عبد الناصر في هذا الوقت إلى وفود الطلبة التي كانت تسعى إلى بيوت الزعماء تطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر، وقد تألفت

الجبهة الوطنية سنة 1936 بالفعل على أثر هذه الجهود.

- وقد كتب جمال في فترة الفوران هذه خطابًا إلى حسن النشار في 2 سبتمبر 1935 قال فيه: «يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: 60]، فأين تلك القوة التي نستعد بها لهم؛ إن الموقف اليوم دقيق ومصر في موقف أدق...».

- ووصف جمال عبد الناصر شعوره في كتاب «فلسفة الثورة» فقال: «وفي تلك الأيام قدت مظاهرة في مدرسة النهضة، وصرخت من أعماقي بطلب الاستقلال التام، وصرخ ورائي كثيرون، ولكن صراخنا ضاع هباء وبددته الرياح أصداء واهية لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور».

- إلا أن اتحاد الزعماء السياسيين على كلمة واحدة كان، على حد تعبيره في كتاب «فلسفة الثورة»، فإن الكلمة الواحدة التي اجتمعوا عليها كانت معاهدة 1936 التي قننت الاحتلال، فنصت على أن تبقى في مصر قواعد عسكرية لحماية وادي النيل وقناة السويس من أي اعتداء، وفي حال وقوع حرب تكون الأراضي المصرية بموانيها ومطاراتها وطرق مواصلاتها تحت تصرف بريطانيا، كما نصت المعاهدة على بقاء الحكم الثنائي في السودان.

- وكان من نتيجة النشاط السياسي المكثف لجمال عبد الناصر في هذه الفترة الذي رصدته تقارير البوليس أن قررت مدرسة النهضة فصله بتهمة تحريض الطلبة على الثورة، إلا أن زملائه ثاروا وأعلنوا الإضراب العام وهددوا بحرق المدرسة فتراجع ناظر المدرسة في قراره.

- ومنذ المظاهرةالأولى التي اشترك فيها جمال عبد الناصر بالإسكندرية شغلت السياسة كل وقته، وتجول بين التيارات السياسية التي كانت موجودة في هذا الوقت فانضم إلى مصر الفتاة لمدى عامين، ثم انصرف عنها بعد أن اكتشف أنها لا تحقق شيئًا، كانت له اتصالات متعددة بالإخوان المسلمين إلا أنه قد عزف عن الانضمام لأي من الجماعات أو الأحزاب القائمة لأنه لم يقتنع بجدوى أيًا منها، «فلم يكن هناك حزب مثالي يضم جميع العناصر لتحقيق الأهداف الوطنية».
- كذلك فإنه وهو طالب في المرحلة الثانوية بدأ الوعي العربي يتسلل إلى تفكيره، فكان يخرج مع زملائه كل عام في الثاني من شهر نوفمبر احتجاجًا على وعد «بلفور» الذي منحت به بريطانيا لليهود وطنًا في فلسطين على حساب أصحابه الشرعيين.

جمال عبد الناصر ضابطاً:

- لما أتم جمال عبد الناصر دراسته الثانوية وحصل على البكالوريا في القسم الأدبي قرر الالتحاق بالجيش، ولقد أيقن بعد التجربة التي مر بها في العمل السياسي واتصالاته برجال السياسة والأحزاب التي أثارت اشمئزازه منهم أن تحرير مصر لن يتم بالخطب بل يجب أن تقابل القوة بالقوة والاحتلال العسكري بجيش وطني.
- تقدم جمال عبد الناصر إلى الكلية الحربية فنجح في الكشف الطبي ولكنه سقط في كشف الهيئة لأنه حفيد فلاح من بني مر وابن موظف بسيط لا يملك شيئًا، ولأنه اشترك في مظاهرات 1935، ولأنه لا يملك واسطة.
- ولما رفضت الكلية الحربية قبول جمال، تقدم في أكتوبر 1936 إلى

كلية لحقوق في جامعة القاهرة ومكث فيها ستة أشهر إلى أن عقدت معاهدة 1936 واتجهت النية إلى زيادة عدد ضباط الجيش المصري من الشباب بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو ثروتهم، فقبلت الكلية الحربية دفعة في خريف 1936 وأعلنت وزارة لحربية عن حاجتها لدفعة ثانية، فتقدم جمال مرة ثانية للكلية الحربية ولكنه توصل إلى مقابلة وكيل وزارة الحربية اللواء إبراهيم خيري الذي أعجب بصراحته ووطنيته وإصراره على أن يصبح ضابطًا فوافق على دخوله في الدورة التالية؛ أي في مارس 1937.

- لقد وضع جمال عبد الناصر أمامه هدفًا واضحًا في الكلية وهو «أن يصبح ضابطًا ذا كفاية وأن يكتسب المعرفة والصفات التي تسمح له بأن يصبح (قائدًا)، وفعلاً أصبح «رئيس فريق»، وأسندت إليه منذ أوائل 1938 مهمة تأهيل الطلبة المستجدين الذين كان من بينهم عبد الحكيم عامر. وطوال فترة الكلية لم يوقع على جمال أي جزاء، كما رقي إلى رتبة أومباشي طالب.

- تخرج جمال عبد الناصر من الكلية الحربية بعد مرور 17 شهرًا، أي في يوليه 1938، فقد جرى استعجال تخريج دفعات الضباط في ذلك الوقت لتوفير عدد كافي من الضباط المصريين لسد الفراغ الذي تركه انتقال القوات البريطانية إلى منطقة قناة السويس.

- وقد كانت مكتبة الكلية الحربية غنية بالكتب القيمة، فمن لائحة الاستعارة تبين أن جمال قرأ عن سير عظماء التاريخ مثل «بونابرت» و«الإسكندر» و(جاليباردي» و«بسمارك» و«مصطفى كمال أتاتورك»

و(هندنبرج» و«تشرشل» و«فوش». كما قرأ الكتب التي تعالج شئون الشرق الأوسط والسودان ومشكلات الدول التي على البحر المتوسط والتاريخ العسكري. وكذلك قرأ عن الحرب العالمية الأولى وعن حملة فلسطين، وعن تاريخ ثورة 1919.

- التحق جمال عبد الناصر فور تخرجه بسلاح المشاة ونقل إلى منقباد في الصعيد، وقد أتاحت له إقامته هناك أن ينظر بمنظار جديد إلى أوضاع الفلاحين وبؤسهم. وقد التقى في منقباد بكل من زكريا محيي الدين وأنور السادات.

- وفي عام 1939 طلب جمال عبد الناصر نقله إلى السودان، فخدم في الخرطوم وفي جبل الأولياء، وهناك قابل زكريا محيي الدين وعبد الحكيم عامر. وفي مايو 1940 رقي إلى رتبة الملازم أول.

- لقد كان الجيش المصري حتى ذلك الوقت جيشًا غير مقاتل، وكان من مصلحة البريطانيين أن يبقوه على هذا الوضع، ولكن بدأت تدخل الجيش طبقة جديدة من الضباط الذين كانوا ينظرون إلى مستقبلهم في الجيش كجزء من جهاد أكبر لتحرير شعبهم، وقد ذهب جمال إلى منقباد تملؤه المثل العليا، ولكنه ورفقائه أصيبوا بخيبة الأمل فقد كان معظم الضباط «عديمي الكفاءة وفاسدين»، ومن هنا اتجه تفكيره إلى إصلاح الجيش وتطهيره من الفساد. وقد كتب لصديقه حسن النشار في 1941 من جبل الأولياء بالسودان: «على العموم يا حسن أنا مش عارف ألاقيها منين واللامنين.. هنا في عملي كل عيبي إني دُغري لا أعرف الملق ولا الكمات الحلوة ولا التمسح بالأذيال».

- ولكن.. الرؤساء، الرؤساء يا حسن يسوءهم ذلك الذي لا يسبح بحمدهم.. يسوءهم ذلك الذي لا يتملق إليهم.. فهذه كبرياء وهم شبوا على الذلة في كنف الاستعمار.. ويحزنني يا حسن أن أقول إن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم متملقًا.. ويحزنني يا حسن أن أقول إننا نسير إلى الهاوية - النفاق الملق - تفشي في الأصاغر نتيجة لمعاملة الكبار، أما أنا فقد صمدت ولا زلت، ولذلك تجدني في عداء مستحكم مستمر مع هؤلاء الكبار...». (من خطاب عبد الناصر لحسن النشار.. 1941).

- وفي نهاية عام 1941 بينما كان «روميل» يتقدم نحو الحدود المصرية الغربية عاد جمال عبد الناصر إلى مصر ونقل إلى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين.

- ويذكر جمال عبد الناصر الأحداث التى تلت ذلك قائلاً: «في هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة في ذهني رسوخًا تامًا، أما السبيل إلى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة إلى دراسة، وكنت يومئذ لا أزال أتحسس طريقي إلى ذلك، وكان معظم جهدي في ذلك الوقت يتجه إلى تجميع عدد كبير من الضباط الشبان الذين أشعر أنهم يؤمنون في قرارتهم بصالح الوطن؛ فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة هذه القضية المشتركة».

- وأثناء وجود جمال عبدالناصر في العلمين جرت أحداث 4 فبراير 1942 حينما توجه السفير البريطاني - «السير مايلز لأمسبون) - ليقابل الملك فاروق بسراي عابدين في القاهرة بعد أن حاصر القصر بالدبابات

البريطانية، وسلم الملك إنذارًا يخيره فيه بين إسناد رئاسة الوزراء إلى مصطفى النحاس مع إعطائه الحق في تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا وبين الخلع، وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط.

- ويذكر جمال عبد الناصر أنه منذ ذلك التاريخ لم يعد شيء كما كان أبدًا، فكتب إلى صديقه حسن النشار في 16 فبراير 1942 يقول: «وصلني جوابك، والحقيقة أن ما به جعلني أغلى غليانًا مُرًا، وكنت على وشك الانفجار من الغيظ، ولكن ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين، والحقيقة أني أعتقد أن الإنجليز كانوا يلعبون بورقة واحدة في يدهم بغرض التهديد فقط، ولكن لو كانوا أحسوا أن بعض المصريين ينوون التضحية بدمائهم ويقابلون القوة بالقوة لانسحبوا كأي امرأة من العاهرات. أما نحن، في الجيش فقد كان لهذا الحادث تأثير جديد على الوضع والإحساس فيه، فبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون إلا عن النساء واللهو، أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس في سبيل الكرامة. وأصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا - مع ضعفهم الظاهر - ويردوا للبلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء.. ولكن إن غدًا لقريب.. حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيء بغرض الانتقام، لكن كان الوقت قد فات أما القلوب فكلها نار وأسى. عمومًا فإن هذه الحركة أو هذه الطعنة ردت الروح إلى بعض الأجساد وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها، وكان هذا درسًا ولكنه كان درسًا قاسيًا». (من خطاب عبد الناصر لحسن النشار... 1942/ 2/ 16).

- رُقي جمال عبد الناصر إلى رتبة اليوزباشي (نقيب) في 9 سبتمبر 1942، وفي 7 فبراير 1943 عين مدرسًا بالكلية الحربية ومن قائمة مطالعاته في هذه الفترة يتضح أنه قرأ لكبار المؤلفين العسكريين من أمثال «ليدل هارت» و«كلاوزفيتز»، كما قرأ مؤلفات الساسة والكتاب السياسيين مثل «كرومويل» و«تشرشل». وفي هذه الفترة كان جمال عبد الناصر يعد العدة للالتحاق بمدرسة أركان حرب.
- وفي 29 يونيه 1944 تزوج جمال عبد الناصر من تحية محمد كاظم - ابنة تاجر من رعايا إيران - كان قد تعرف على عائلتها عن طريق عمه خليل حسين، وقد أنجب ابنتيه هدى ومنى وثلاثة أبناء هم خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم. لعبت تحية دورًا هامًا في حياته خاصة في مرحلة الإعداد للثورة واستكمال خلايا تنظيم الضباط الأحرار، فقد تحملت أعباء أسرته الصغيرة عندما كان في حرب فلسطين، كما ساعدته في إخفاء السلاح حين كان يدرب الفدائيين المصريين للعمل ضد القاعدة البريطانية في قناة السويس في 1951، 1952.

تنظيم الضباط الأحرار:

- شهد عام 1945 إنتهاء الحرب العالمية الثانية وبداية حركة الضباط الأحرار، ويقول جمال عبد الناصر في حديثه إلى «دافيد مورجان»: «وقد ركزت حتى 1948 على تأليف نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور في مصر مبلغ استيائي، والذين توفرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافي للإقدام على التغيير اللازم، وكنا يومئذ جماعة

صغيرة من الأصدقاء المخلصين نحاول أن نخرج مثلنا العليا العامة في هدف مشترك وفي خطة مشتركة».

- وعقب صدور قرار تقسيم فلسطين في سبتمبر 1947 عقد الضباط الأحرار اجتماعًا واعتبروا أن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد هذا الانتهاك للكرامة الإنسانية والعدالة الدولية، واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة في فلسطين.
- وفي اليوم التالي ذهب جمال عبد الناصر إلى مفتي فلسطين الذي كان لاجئًا يقيم في مصر الجديدة فعرض عليه خدماته وخدمات جماعته الصغيرة كمدربين لفرقة المتطوعين وكمقاتلين معها، وقد أجابه المفتي بأنه لا يستطيع أن يقبل العرض دون موافقة الحكومة المصرية، وبعد بضعة أيام رفض العرض فتقدم بطلب إجازة حتى يتمكن من الانضمام إلى المتطوعين، لكن قبل أن يبت في طلبه أمرت الحكومة المصرية الجيش رسميًا بالاشتراك في الحرب. فسافر جمال إلى فلسطين في 16 مايو 1948، بعد أن كان قد رقي إلى رتبة صاغ (رائد) في أوائل عام 1948.
- لقد كان لتجربة حرب فلسطين أثارًا بعيدة على جمال عبد الناصر فعلى حد قوله: «فلم يكن هناك تنسيق بين الجيوش العربية، وكان عمل القيادة على أعلى مستوى في حكم المعدوم، وتبين أن أسلحتنا في كثير من الحالات أسلحة فاسدة، وفي أوج القتال صدرت الأوامر لسلاح المهندسين ببناء شاليه للاستجمام في غزة للملك فاروق.

- وقد بدا أن القيادة العليا كان مهمتها شيئًا واحدًا هو احتلال أوسع رقعة ممكنة من الأرض بغض النظر عن قيمتها الاستراتيجية، وبغض النظر عما إذا كان تضعف مركزنا العام في القدرة على إلحاق الهزيمة بالعدو خلال المعركة أم لا.

- وقد كنت شديد الاستياء من ضباط الفوتيلات أو محاربي المكاتب الذين لم تكن لديهم أية فكرة عن ميادين القتال أو عن آلام المقاتلين.

- وجاءت القطرة الأخيرة التي طفح بعدها الكيل حين صدرت الأوامر إليّ بأن أقود قوة من كتيبة المشاة السادسة إلى عراق سويدان التي كان الإسرائيليون يهاجمونها، وقبل أن أبدأ في التحرك نشرت تحركاتنا كاملة في صحف القاهرة، ثم كان حصار الفالوجا الذي عشت معاركه؛ حيث ظلت القوات المصرية تقاوم رغم أن القوات الإسرائيلية كانت تفوقها كثيرًا من ناحية العدد حتى انتهت الحرب بالهدنة التي فرضتها الأمم المتحدة» في 24 فبراير 1949.

- وقد جرح جمال عبد الناصر مرتين أثناء حرب فلسطين ونقل إلى المستشفى. ونظرًا للدور المتميز الذي قام به خلال المعركة فإنه منح نيشان «النجمة العسكرية» في عام 1949.

- وبعد رجوعه إلى القاهرة أصبح جمال عبد الناصر واثقًا أن المعركة الحقيقية هي في مصر، فبينما كان ورفاقه يحاربون في فلسطين كان السياسيون المصريون يكدسون الأموال من أرباح الأسلحة الفاسدة التي اشتروها رخيصة وباعوها للجيش.

- وقد أصبح مقتنعًا أنه من الضروري تركيز الجهود لضرب أسرة محمد علي؛ فكان الملك فارقو هو هدف تنظيم الضباط الأحرار منذ نهاية 1948 وحتى 1952.

- ورقد كان في نية جمال عبد الناصر القيام بالثورة في 1955، لكن الحوادث أملت عليه قرار القيام بالثورة قبل ذلك بكثير.

- وبعد عودته من فلسطين عين جمال عبد الناصر مدرسًا في كلية أركان حرب التي كان قد نجح في امتحانها بتفوق في 12 مايو 1948، وبدأ من جديد نشاط الضباط الأحرار وتألفت لجنة تنفيذية بقيادة جمال عبد الناصر، وتضم كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وحسين إبراهيم وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادي وخالد محيي الدين وأنور السادات وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين وجمال سالم، وهي اللجنة التي أصبحت مجلس الثورة فيما بعد عام 1950، 1951.

- وفي 8 مايو 1951 رقي جمال عبد الناصر إلى رتبة البكباشي (مقدم) وفي نفس العام اشترك مع رفاقه من الضباط الأحرار سرًا في حرب الفدائيين ضد القوات البريطانية في منطقة القناة التي استمرت حتى بداية 1952، وذلك بتدريب المتطوعين وتوريد السلاح الذي كان يتم في إطار الدعوى للكفاح المسلح من جانب الشباب من كافة الاتجاهات السياسية والذي كان يتم خارج الإطار الحكومي.

- وإزاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية في بداية عام 1952 اتجه تفكير الضباط الأحرار إلى الاغتيالات السياسية لأقطاب النظام القديم

على أنه الحل الوحيد، وفعلاً يدنوا باللواء حسين سري عامر – أحد قواد الجيش الذين تورطوا في خدمة مصالح القصر – إلا أنه نجا من الموت، وكانت محاولة الاغتيال تلك هي الأولى والأخيرة التي اشترك فيها جمال عبد الناصر، فقد وافقه الجميع على العدول عن هذا الاتجاه، وصرف الجهود إلى تغيير ثوري إيجابي.

- ومع بداية مرحلة التعبئة الثورية، صدرت منشورات الضباط الأحرار التي كانت تطبع وتوزع سرًا، والتي دعت إلى إعادة تنظيم الجيش وتسليحه وتدريبه بجدية بدلاً من اقتصاره على الحفلات والاستعراضات، كما دعت الحكام إلى الكف عن تبذير ثروات البلاد ورفع مستوى معيشة الطبقات الفقيرة، وانتقدت الاتجار في الرتب والنياشين، وفي تلك الفترة اتسعت فضيحة الأسلحة الفاسدة إلى جانب فضائح اقتصادية تورطت فيها حكومة الوفد.

- ثم حدث حريق القاهرة في 26 يناير 1952 بعد اندلاع المظاهرات في القاهرة احتجاجًا على مذبحة رجال البوليس بالإسماعيلية التي ارتكبتها القوات العسكرية البريطانية في اليوم السابق، والتي قتل فيها 46 شرطيًا وجرح 72. لقد أشعلت الحرائق في القاهرة ولم تتخذ السلطات أي إجراء ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول إلى العاصمة إلا في العصر بعد أن دمرت النار أربعمائة مبنى، وتركت 12 ألف شخص بلا مأوى، وقد بلغت الخسائر 22 مليون جنيهًا.

- وفي ذلك الوقت كان يجري صراعًا سافرًا بين الضباط الأحرار وبين الملك فاروق فيما عرف بأزمة انتخابات نادي ضباط الجيش. حيث

رشح الملك اللواء حسين سري عامر المكروه من ضباط الجيش ليرأس اللجنة التنفيذية للنادي، وقرر الضباط الأحرار أن يقدموا قائمة مرشحيهم وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب للرياسة، وقد تم انتخابه بأغلبية كبرى وبرغم إلغاء الانتخابات بتعليمات من الملك شخصيًا، إلا أنه كان قد ثبت للضباط الأحرار أن الجيش معهم يؤيدهم ضد الملك، فقرر جمال عبد الناصر - رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار - تقديم موعد الثورة التي كان محددًا لها قبل ذلك عام 1955، وتحرك الجيش ليلة 23 يوليو 1952 وتم احتلال مبنى قيادة الجيش بكوبري القبة وإلقاء القبض على قادة الجيش الذين كانوا مجتمعين لبحث مواجهة حركة الضباط الأحرار بعد أن تسرب خبر عنها.

- وبعد نجاح حركة الجيش قدم محمد نجيب على أنه قائد الثورة - وكان الضباط الأحرار قد فاتحوه قبلها بشهرين في احتمال انضمامه إليهم إذا ما نجحت المحاولة - إلا أن السلطة الفعلية كانت في يد مجلس قيادة الثورة الذي كان يرأسه جمال عبد الناصر حتى 25 أغسطس 1952 عندم صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بضم محمد نجيب إلى عضوية المجلس وأسندت إليه رئاسته بعد أن تنازل له عنها جمال عبد الناصر.

بيان الثورة:

وفي صباح يوم 21 يولية وبعد احتلال دار الإذاعة تمت إذاعة بيان الثوة التالي:

«اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخيرة من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش،

وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين، وأما فترة ما بعد الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد، وتآمر الخونة على الجيش، وتولى أمره إما جاهل أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا، وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خُلقهم وفي وطنيتهم، ولابد أن مصر كلها ستلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب.

أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر، وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب، وإني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجردًا من أية غاية، وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف؛ لأن هذا ليس في صالح مصر، وإن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونًا مع البوليس، وإني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم، ويعتبر الجيش نفسه مسئولاً عنهم، والله ولي التوفيق».

وبعد نجاح الثورة بثلاثة أيام – أي في 26 يولية – أجبر الملك فاروق عن التنازل عن العرش لابنه أحمد فؤاد ومغادرة البلاد. وفي اليوم التالي أعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار.

وفي 18 يونيه 1953 صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورين، وبإسناد رئاسة الجمهورية إلى محمد نجيب إلى

جانب رئاسته للوزارة التي شغلها منذ 7 سبتمبر 1952، أما جمال عبد الناصر فقد تولى أول ممنصبًا عامًا كنائب رئيس الوزراء ووزير للداخلية في هذه الوزارة التي تشكلت بعد إعلان الجمهورية. وفي الشهر التالي ترك جمال عبد الناصر منصب وزير الداخلية - الذي تولاه زكريا محيي الدين - واحتفظ بمنصب نائب رئيس الوزراء (قرار المجلس بإلغاء الملكية).

تعيين جمال عبد الناصر رئيسًا لمجلس قيادة الثورة:

وفي فبراير 1954 استقال محمد نجيب بعد أن اتسعت الخلافات بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة، وعين جمال عبد الناصر رئيسًا لمجلس قيادة الثورة ورئيسًا لمجلس الوزراء. وفيما يلي البيان الذي أذاعه المجلس بأسباب ذلك الخلاف في 25 فبراير 1952:

«أيها المواطنون

«لم يكن هدف الثورة التي حمل لواءها الجيش يوم 23 يوليه سنة 1952 أن يصل فرد أو أفراد إلى حكم أو سلطان أو أن يحصل كائن من كان على مغنم أو جاه، بل يشهد الله أن هذه الثورة ما قامت إلا لتمكين المثل العليا في البلاد بعد أن أفتقدتها طويلاً نتيجة لعهود الفساد والانحلال.

لقد قامت في وجه الثورة منذ اللحظة الأولى عقبات قاسية عولجت بحزم دون نظر إلى مصلحة خاصة لفرد أو جماعة، وبهذا توطدت أركانها واطرد تقدمها في سبيل بلوغ غاياتها.

ولاشك أنكم تقدرون خطورة ما أقيم في وجه الثورة من صعاب، خاصة والبلاد ترزح تحت احتلال المستعمر الغاصب لجزء من أراضيها،

وكانت مهمة مجلس قيادة الثورة في خلال هذه الفترة غاية في القسوة والخطورة، حمل أفراد المجلس تلك التبعة الملقاة على عاتقهم ورائدهم الوصول بأمتنا العزيزة إلى بر الأمان مهما كلفهم هذا من جهد وبذل.

ومما زاد منذ اللحظة الأولى في قسوة وخطورة هذه التبعة الملقاة على أعضاء مجلس قيادة الثورة أنهم كانوا قد قرروا وقت تدبيرهم وتحضيرهم للثورة في الخفاء قبل قيامهم أن يقدموا للشعب قائدًا للثورة من غير أعضاء مجلس قيادتهم وكلهم من الشبان، واختاروا فعلاً فيما بينهم اللواء أركان حرب محمد نجيب ليقدم قائدًا للثورة، وكان بعيدًا عن صفوفهم، وهذا أمر طبيعي للتفاوت الكبير بين رتبته ورتبهم، وسنه وسنهم، وكان رائدهم في هذا الاختيار سمعته الحسنة الطيبة وعدم تلوثه بفساد قادة ذلك العهد.

وقد أخطر سيادته بأمر ذلك الاختيار قبل قيام الثورة بشهرين اثنين ووافق على ذلك.

وما أن علم سيادته بقيام الثورة عن طريق مكالمة تليفونية بين وزير الحربية في ذلك الوقت السيد مرتضى المراغي وبينه وفي منزله حتى قام إلى مبنى قيادة الثورة واجتمع برجالها فور تسلمهم لزمام الأمور.

ومنذ تلك اللحظة أصبح الموقف دقيقًا؛ إذ أن أعمال ومناقشات مجلس قيادة الثورة استمرت أكثر من شهر بعيدة عن أن يشترك فيها اللواء محمد نجيب إذ أنه حتى ذلك الوقت وعلى وجه التحديد يوم 25 أغسطس سنة 1952 لم يكن سيادته قد ضم إلى أعضاء مجلس الثورة.

وقد صدر قرار المجلس في ذلك اليوم بضمه لعضويته كما صدر قرار

بأن تسند إليه رئاسة المجلس بعد أن تنازل له عنها البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر الذي جدد انتخابه بواسطة المجلس قبل قيام الثورة كرئيس للمجلس لمدة عام ينتهي في آخر أكتوبر سنة 1952.

نتيجة لذلك الموقف الشاذ ظل اللواء محمد نجيب يعاني أزمة نفسية عانينا منها الكثير رغم قيامنا جميعًا بإظهاره للعالم أجمع بمظهر الرئيس الفعلي والقائد الحقيقي للثورة ومجلسها مع المحافظة على كافة مظاهر تلك القيادة.

وبعد أقل من ستة شهور بدأ سيادته يطلب بين وقت وأخر من المجلس منحه سلطات تفوق سلطة العضو العادي بالمجلس، ولم يقبل المجلس مطلقًا أن يحيد عن لائحته التي وضعت قبل الثورة بسنين طويلة إذ تقضي بمساواة كافة الأعضاء بما فيهم الرئيس في السلطة، فقد إذا تساوت الأصوات عند أخذها بين فريقيان في المجلس فترجح الكفة التي يقف الرئيس بجانبها.

ورغم تعيين سيادته رئيسًا للجمهورية مع احتفاظه برئاسة مجلس الوزراء ورئاسته للمؤتمر المشترك إلا أنه لم ينفك يصر ويطلب بين وقت وآخر أن تكون له اختصاصات تفوق اختصاصات المجلس، وكان إصرارنا على الرفض الكلي لكي نكفل أقصى الضمانات لتوزيع سلطة السيادة في الدولة على أعضاء المجلس مجتمعين.

وأخيرًا تقدم سيادته بطلبات محددة وهي:

أن تكون له سلطة حق الاعتراض على أي قرار يجمع عليه أعضاء المجلس، علمًا بأن لائحة المجلس توجب إصدار أي قرار يوافق عليه أغلبية الأعضاء.

كما طلب أن يباشر سلطة تعيين الوزراء وعزلهم وكذا سلطة الموافقة على ترقية وعزل الضباط وحتى تنقلاتهم؛ أي أنه طالب إجمالاً بسلطة فردية مطلقة.

ولقد حاولنا بكافة الطرق الممكنة طوال الشهور العشرة الماضية أن نقنعه بالرجوع عن طلباته هذه التي تعود بالبلاد إلى حكم الفرد المطلق، وهو ما لا يمكن نرضاه لثورتنا، ولكننا عجزنا عن إقناعه عجزًا تامًا وتوالت اعتكافاته بين وقت وآخر حتى يجبرنا على الموافقة على طلباته هذه، إلى أن وضعنا منذ أيام ثلاثة أمام أمر واقع مقدمًا استقالته وهو يعلم أن أي شقاق يحدث في المجلس في مثل هذه الظروف لا تؤمن عواقبه.

أيها المواطنون

لقد احتمل أعضاء المجلس هذا الضغط المستمر في وقت يجابهون فيه المشاكل القاسية التي تواجه البلاد والتي ورثتها عن العهود البائدة.

يحدث كل ذلك والبلاد تكافح كفاح المستميت ضد مغتصب في مصر والسودان وضد عدو غادر يرابط على حدودها مع خوضها معركة اقتصادية مريرة واصلاحًا لأداة الحكم وزيادة الإنتاج إلى آخر تلك المعارك التي خاضتها الثورة ووطدت أقدامها بقوة في أكثر من ميدان من ميادينها.

واليوم قرر مجلس قيادة الثورة بالإجماع ما يلي:

أولاً: قبول الاستقالة المقدمة من اللواء أركان حرب محمد نجيب من جميع الوظائف التي يشغلها.

ثانيًا: يستمر مجلس قيادة الثورة بقيادة البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر في تولي كافة سلطاته الحالية إلى أن تحقق الثورة أهم أهدافها وهو إجلاء المستعمر عن أرض الوطن.

ثالثًا: تعيين البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر رئيسا لمجلس الوزراء.

ونعود فنكرر أن تلك الثورة ستستمر حريصة على مثلها العليا مهما أحاطت بها من عقبات وصعاب، والله كفيل برعايتها إنه نعم المولى ونعم النصير، والله ولي التوفيق».

وسرعان ما تم تدارك مظاهر ذلك الخلاف فقبل مجلس قيادة الثورة عودة محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية في بيان صدر في 27 فبراير 1954.

ثم بدأت بعد ذلك أحداث الشغب التي دبرتها جماعة الإخوان المسلمين التي أصدر مجلس قيادة الثورة قرارًا مسبقًا بحلها في 14 يناير 1954، (قرار المجلس بحل جماعة الإخوانالمسلمين) وقد تورط أيضًا بعض عناصر النظام القديم في هذه الأحداث.

وقد تجلى الصراع داخل مجلس قيادة الثورة في هذه الفترة في القرارات التي صدرت عنه وفيها تراجعًا عن المضي في الثورة، فأولاً ألغيت الفترة الانتقالية التي حددت بثلاث سنوات، وتقرر في 5 مارس 1954 اتخاذ الإجراءات فورًا لعقد جمعية تأسيسية تنتخب بالاقتراع العام المباشر على أن تجتمع في يوليه 1954 وتقوم بمناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره والقيام بمهمة البرلمان إلى الوقت الذي يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقًا

لأحكام الدستور الذي ستقره الجمعية التأسيسية، وفي نفس الوقت تقرر إلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحافة والنشر.

وثانيًا: قرر مجلس قيادة الثورة تعيين محمد نجيب رئيسًا للمجلس ورئيسًا لمجلس الوزراء بعد أن تنحى جمال عبد الناصر عن رئاسة الوزارة وعاد نائبًا لرئيس مجلس قيادة الثورة.

وأخيرًا قرر مجلس قيادة الثورة في 25 مارس 1954 السماح بقيام الأحزاب وحل مجلس قيادة الثورة يوم 24 يوليه 1954 أي في يوم انتخاب الجمعية التأسيسية. (قرار المجلس بالسماح بقيام أحزاب).

وبالرغم من إلغاء مجلس قيادة الثورة لتلك القرارات في 29 مارس 1954 (قرار المجلس بإرجاء تنفيذ قراراته 25 مارس 1954) إلا أن الأزمة التي حدثت في مجلس قيادة الثورة أحدثت انقسامًا داخلة بين محمد نجيب يؤيده خالد محيي الدين وبين جمال عبد الناصر وباقي الأعضاء.

وقد انعكس هذا الصراع على الجيش، كما حاول السياسيون استغلاله وخاصة الإخوانالمسلمين وأنصار الأحزاب القديمة الذين كانوا في صف نجيب وعلى اتصال به.

وفي 17 أبريل 1954 تولى جمال عبد الناصر رئاسة مجلس الوزراء واقتصر محمد نجيب على رئاسة الجمهورية إلى أن جرت محاولة لاغتيال جمال عبد الناصر على يد الإخوان المسلمين عندما أطلق علهي الرصاص أحد أعضاء الجماعة وهو يخطب في ميدان المنشية بالإسكندرية في 26

أكتوبر 1954، وثبت من التحقيقات مع الإخوان المسلمين أن محمد نجيب كان على اتصال بهم وأنه كان معتزمًا تأييدهم إذا ما نجحوا في قلب نظام الحكم. وهنا قرر مجلس قيادة الثورة في 14 نوفمبر 1954 إعفاء محمد نجيب من جميع مناصبه على أن يبقى منصب رئيس الجمهورية شاغرًا وأن يستمر مجلس قيادة الثورة في تولي كافة سلطاته بقيادة جمال عبد الناصر.

وفي 24 يونيه 1956 انتخب جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية بالاستفتاء الشعبي وفقًا لدستور 16 يناير 1956 - أول دستور للثورة.

وفي 22 فبراير 1958 أصبح جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، وذلك حتى مؤامرة الانفصال التي قام بها أفراد من الجيش السوري في 28 سبتمبر 1961.

وظل جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة حتى رحل في 28 سبتمبر 1970.

عيد الناصر...
وثورة 23 يوليو وفلسفتها

كتب الزعيم جمال عبد الناصر عن ثورة 23 يوليو وفلسفتها وأفاض في الحديث فماذا قال؟

ما قاله تتناوله السطور التالية:

كتب عبد الناصر عن فلسفة ثورة 23 يوليو 1952 قائلاً:

قبل أن أمضي في هذا الحديث أريد أن أقف قليلاً عند كلمة «فلسفة»..

إن الكلمة ضخمة وكبيرة..

وأنا أحس وأنا واقف حيالها أني أمام عالم واسع ليس له حدود، وأشعر في نفسي برهبة خفية تمنعني من أن أخوض في بحر ليس له قاع، ولا أرى له على البعد، من الشاطئ الذي أقف فيه، شاطئًا آخر انتهى إليه..

والحق أني أريد أن أتجنب كلمة فلسفة في هذا الذي سأقوله، ثم أنا أظن أنه من الصعب علي أن أتحدث عن فلسفة الثورة.

من الصعب لسببين:

أولهما أن الحديث عن فلسفة ثورة 23 يوليو يلزمه أساتذة يتعمقون في البحث عن جذورها الضاربة في أعماق تاريخ شعبنا.

وقصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملؤها الهباء[1] أو كذلك ليس فيها مفاجآت تقفز إلى الوجود دون مقدمات.

إن كفاح أي شعب، جيلاً بعد جيل، بناء يرتفع حجرًا فوق حجر..

وكما أن كل حجر في البناء يتخذ من الحجر الذي تحته قاعدة يرتكز عليها، كذلك الأداث في قصص كفاح الشعوب..

(1) يعني أنه لا يمكن أن تقع حداثة من حوادث التاريخ دون أن يكون لها سبب أو أسباب من الماضي، لأن التاريخ سلسلة متصلة الحلقات، كل حلقة منها متصلة بالحلقة التي قبلها والحلقات التي بعدها، ولا يمكن أن يكون بين هذه الحلقات فراغ ليس فيه إلا الهباء.

كل حدث منها هو نتيجة لحدث سبقه، وهو في نفس الوقت مقدمة لحدث ما زال في ضمير الغيب..

ولست أريد أن أدعي لنفسي مقعد أستاذ التاريخ..

ذلك آخر ما يجري به خيالي..

ومع ذلك فلو حاولت محاولة تلميذ مبتدئ، في دراسة قصة كفاح شعبنا، فإني سوف أقول مثلاً إن ثورة 23 يوليو هي تحقيق للأمل الذي راود شعب مصر، منذ بدأ في العصر الحديث يفكر في أن يكون حكمه بأيدي أبنائه، وفي أن تكون له نفسه الكلمة العليا في مصيره..

لقد قام بمحاولة لم تحقق له الأمل الذي تمناه، يوم تزعم السيد عمر مكرم حركة تنصيب محمد علي واليًا على مصر، باسم شعبها[1].

(1) كان السيد عمر مكرم أول مصري في التاريخ الحديث، نادى بحق الشعب في الحرية وفي السيادة. وكان أول شهرته خلال الحملة الفرنسية على مصر. إذ كان من قواد حركة المقاومة الشعبية التي انتهت بجلاء الفرنسيين، ثم قاد حركة المقاومة ضد طغيان المماليك والباشا العثماني. وكان محمد علي في ذلك الوقت ضابطًا لإحدى الفرق العثمانية في مصر، فانضم إلى حركة المقاومة الشعبية. ووثق صلته بالزعيم عمر مكرم، فانخدع به ورشحه للولاية، فبايعه الشعب واليًا وكتب زعماؤه بذلك إلى الخليفة العثماني في اسطنبول، فأقر الخليفة هذه البيعة مكرهًا، نزلاً على إرادة الشعب. فلما تم لمحمد علي ما أراد، وصار واليًا على مصر تنكر الشعب، وخان عهده للزعماء، ونفي السيد عمر مكرم إلى دمياط، ثم إلى طنطا. فظل منفيًا حتى مات.

وصار عرش مصر وراثة لأسرة محمد علي، يتوارثه أمير عن أمير، وكان فاروق المخلوع آخر هذه السلسلة، فأبعد عن العرش في 26 يوليو سنة 1952 ثم انتهت الملكية وأعلنت جمهورية مصر في يونيو سنة 1953، بعد قرن من اعتلاء محمد

وقام بمحاولة لم تحقق له الأمل الذي تمناه، يوم حاول عرابي أن يطالب بالدستور[1].

وقام بمحاولات متعددة، لم تحقق له الأمل الذي تمناه، في فترة الغليان الفكري التي عاشها بين الثورة العرابية وثورة سنة [2]1919.

علي لعرش مصر.

(1) كان أحمد عرابي ضابطًا في الجيش المصري، وكان مصريًا صميمًا، في حين كان أكثر ضباط الجيش من الترك والشركس والأرمن والأرناؤوط. ولم يكن سموحًا للضباط المصريين أن يتجاوزوا الترقية رتبة معينة، مهما بلغوا من النشاط والكفاية، وكانت مرافق البلاد كلها في أيدي الأجانب، وكان الخديوي توفيق يقربهم ويحتظيهم ويجعل لهم الامتياز والسيادة على أهل البلاد. وكان نظام الحكم استبداديًا والضرائب ثقيلة ومجحفةً وخزانة الدولة خاوية، والديون التي تورط فيها إسماعيل بحماقة تثقل كاهل الحكومة والأهالي. وتجعل للدائنين الأجانب السلطة العليا.. رأى أحمد عرابي هذا، ورآه زملاؤه الضباط المصريون في الجيش، فأجمعوا أمرهم على خطة لمقاومة هذا الطغيان، ولإصلاح نظام الحكم والاعتراف بحق الشعب في السيادة..

واجتمع الجيش كله في ميدان عابدين، ليطلب إلى الخديوي باسم الشعب إصلاح أداة الحكم، وإنشاء حكم نيابي، والحد من سلطة الأجانب.. فاضطر توفيق إلى الاستجابة لمطالب الشعب، وحقق له ما أراد. ثم راح يدبر أمره مع الإنجليز في الخفاء، ليقضي على روح المقاومة في الشعب، وكانت العاقبة كما أراد، فاحتل الإنجليزي مصر. واعتقلوا أحمد عرابي وزملاءه، ونفوهم إلى إحدى جزر المحيط الهندي، وكان هذا أول الاحتلال الذي جثم بأثقاله على صدر الوطن اثنتين وسبعين سنة حتى أكرههم المصريون في سنة 1954 على الجلاء.

(2) في هذه الفترة التي عاشتها مصر بين الثورتين، في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، انتشرت الأفكار الحرة، وبدأ الوعي القومي ينضج. وكان لآراء

وكانت هذه الثورة الأخيرة - ثورة 1919 بزعامة سعد زغلول - محاولة أخرى لم تحقق له الأمل الذي تمناه[1].

وليس صحيحًا أن ثورة 23 يوليو قامت بسبب النتائج التي أسفرت عنها حرب فلسطين[2]، وليس صحيحًا كذلك أنها قامت بسبب الأسلحة

السيد عبد الرحمن الكواكبي والسيد جمال الدين الأفغاني، أثرها في إيقاظ الوعي، فآمن الشعب بحقه في الاستقلال والحرية. وبدأ يدبر أمره لتحقيق هذين المطلبين. وكان من زعماء هذه الفترة محمد عبده، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وعبد العزيز جاويش.

(1) لما احتلت بريطانيا مصر في سنة 1882 زعمت أن احتلالها مؤقت، وأنها ستجلو عن مصر حين تستقر أمورها الداخلية، وظلت على هذا الزعم حتى نشبت الحرب العالمية الأولى سنة 1914، فكشفت عن خبيئتها وفرضت على مصر الحماية البريطانية، ولكي تخدر شعور المصريين زعمت أن هذه الحماية مؤقتة كذلك، وأن ظروف الحرب هي التي فرضتها.

فلما انتهت الحرب في أواخر سنة 1918 أجمع المصريون على ضرورة إنهاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر، وذهب سعد زغلول وكيل الجمعية التشريعية إلى دار المعتمد البريطاني في القاهرة، مع علي شعراوي وعبد العزيز فهمي، ليطلبوا إليه باسم مصر، أن ينقل إلى حكومته في لندن رغبة المصريين في إنهاء الحماية والاعتراف بالاستقلال، فلم تطق بريطانيا صبرا على هذا المطلب، واعتقلت سعد وأصحابه، ونفتهم إلى مالطة، فكان هذا سببًا لاشتعال ثورة سنة 1919، وتعتبر هذه الثورة مرحلة من المراحل الرئيسية في تاريخ العلاقات بين مصر وبريطانيا.

(2) كانت فلسطين - إلى الحرب العالمية الأولى - جزءًا من أملاك الدولة العثمانية فلما نشبت تلك الحرب، احتلتها بريطانيا باعتبارها من أملاك دولة معادية. ولكي تكسب بريطانيا تأييد العرب لها في تلك الحرب. أعلنت أنها سترد

إليهم بلادهم وتعترف باستقلالهم، إذا أعانوها على حرب الترك، فكان هذا الوعد سببًا لانضمامهم إلى صف بريطانيا في تلك الحرب، ولكن بريطانيا لم تكد تبلغ النصر، حتى تنكرت للعرب، واعتربت بلادهم غنيمة حرب، وفرضت سلطاتها على فلسطين، لتمهد لليهود أن ينشئوا لهم فيها وطنًا قوميًا، فثار عرب فلسطين على هذا الوضع ولم يرتضوه، ولكن بريطانيا لم تبال بثورات العرب المتعاقبة. وأخذت تهيئ لليهود في سائر بلاد العالم، وسائل الهجرة إلى فلسطين والاستقرار بها لتكون لهم وطنًا، حتى اجتمع نحو ثلث مليون، يزاحمون أهل البلاد في أرزاقهم ويزحزحونهم عن أرضهم. فلما بلغ اليهود من الكثرة والقوة في فلسطين هذا المبلغ، انسحبت منها بريطانيا وتركت العرب الوطنيين واليهود الطارئين يتقاتلون وجهًا لوجه، هؤلاء يطمعون في الاستيلاء على وطن لم يكن لهم فيه شبر من أرض، وأولئك يدافعون عن وطنهم ومثوى آبائهم وأجدادهم.

ولم يكن لعرب فلسطين من القوة ما يهيئ لهم أسباب الغلبة، فقررت الدولة العربية أنْ تساعدهم على الظفر بحقهم وطرد العدو الدخيل عن بلادهم.

وبدأت فرق المتطوعين المصريين تأخذ مراكزها في ميدان المقاومة بقيادة ضباط مصريين أحرار.. تطوعوا لبذل دمائهم في سبيل الإبقاء على عروبة فلسطين، وكان لهم بلاء يذكر بالإعجاب.

ثم دخل الجيش المصري فلسطين في 15 مايو سنة 1948، وأوغل في البلاد وفر اليهود أمامه مذعورين يتخلون عن معاقلهم معقلاً بعد معقل، وظهرت تباشير النصر القريب..

في أثناء ذلك وقلوب العرب في شتى بلادهم تخفق بعنف وهم يترقبون الساعة التي تأتيهم فيها أنباء النصر الحاسم، حدثت خيانة كبيرة. كان فاروق ملك مصر المخلوع شريكًا فيها، فوقعت الدول العربية صك الهدنة وهي في أوج انتصارها.. وأفلتت الثمرة الدانية من أيدي العرب..

الفاسدة التي راح ضحيتها جنود وضباط[1]. وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال من أن السبب كان أزمة انتخابات نادي ضباط الجيش[2].

إنما الأمر في رأيي كان أبعد من هذا وأعمق أغوارًا.

ولو كان ضباط الجيش حاولوا أن يثوروا لأنفسهم لأنه قد غرر بهم في فلسطين أو لأن فضيحة الأسلحة الفاسدة أرهقت أعصابهم أو لأن اعتداء وقع على كرامتهم في انتخابات نادي ضباط الجيش، لما كان الأمر يستحق

---

(1) في أثناء هذه الهدنة التي فرضتها الخيانة على الجيش المصري والجيوش العربية المنتصرة، زودت بريطانيا وحلفاؤها اليهود بكل ما يحتاجون إليه من الأسلحة الثقيلة والخفيفة، ليكونوا على أهبة كاملة حين تستأنف الحرب. وكان فاروق وسماسرته خلال ذلك يستولون على أموال الخزانة بدعوى شراء الأسلحة للجيش المرابط في ميدان القتال، فيأخذونها لأنفسهم، ويرسلون إلى الجيش بثمنها أسلحة فاسدة، تصيب أصحابها ولا تصيب العدو، فكانوا بذلك عونًا لليهود على النصر، وراحت فلسطين نفسها وغلب عليها اليهود. ولم تزل تحت أيدي اليهود وأهلها مشردون في الفلوات لا يجدون مأوى..!

(2) كان الضباط الأحرار قد شكلوا هيئتهم قبل ذلك وصاروا قوة ذات أثر في كل فرقة من فرق الجيش، استعدادًا لتخليص البلاد من الطغيان، ومن الفساد، ومن الاحتلال البريطاني، وكان فاروق يضع على رأس الجيش جماعة من سماسرته وبطانته هم عناوين الجيش البارزة أمام الناس، فمنهم الرؤساء الكبار، والقادة العاملون، وممثلو الجيش في كل مناسبة يراد أن يمثل فيها الجيش، ومنهم هيئة الإدارة في نادي الضباط، فلما حان موعد الانتخاب لرياسة النادي في سنة 1951، حرص الضباط الأحرار على إبعاد سماسرة فاروق وبطانته من رياسة النادي وانتخبوا رئيسًا منهم تحديًا لإرادة فاروق فطاش صواب فاروق وألغى الانتخاب، وكان ذلك أول مظهر صريح من مظاهر الخلاف بينه وبين الجيش.

أن يكون ثورة، ولكان أقرب الأشياء إلى وصفه أنه مجرد تمرد، حتى وأن كانت الأسباب التي أدت إليه منصفة عادلة في حد ذاتها.

لقد كانت هذه كلها أسبابًا عارضة..

وربما كان أكبر تأثير لها أنها كانت تستحثنا على الإسراع في طريق الثورة، ولكننا كنا من غيرها نسير على هذا الطريق.

وأنا أحاول اليوم بعد كل ما مر بي من أحداث، وبعد سنوات طويلة من بدء التفكير في الثورة، أن أعود بذاكرتي وأتعقب اليوم الأول الذي اكتشفت فيه بذورها في نفسي.

إن هذا اليوم أبعد في حياتي من أيام شهر نوفمبر سنة 1951، أيام ابتداء أزمة نادي الضباط، ففي ذلك الوقت كان تنظيم الضباط الأحرار قائمًا يباشر عمله ونشاطه، بل أنا لا أغالي إذا قلت أن أزمة انتخابات النادي أثارها أكثر من أي شيء آخر نشاط الضباط الأحرار فقد شئنا في ذلك الوقت أن ندخل معركة نجرب فيها قوتنا على التكتل وعلى التنظيم.

وهذا اليوم - في حياتي أيضًا - أبعد من بدء فضيحة الأسلحة الفاسدة، فقد كان تنظيم الضباط الأحرار موجودًا قبلها، وكانت منشوراتهم أول نذير بتلك المأساة، وكان نشاطهم وراء الضجة التي قامت حول الأسلحة الفاسدة.

بل إن هذا اليوم في حياتي أبعد من يوم 16 مايو سنة 1948، ذلك اليوم الذي كان بداية حياتي في حرب فلسطين.

وحين أحاول الآن أن أستعرض تفاصيل تجاربنا في فلسطين أجد شيئًا غريبًا.

فقد كنا نحارب في فلسطين، ولكن أحلامنا كلها كانت في مصر.

كان رصاصنا يتجه إلى العد الرابض أمامنا في خنادقه، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذي تركناه للذئاب ترعاه..

وفي فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس وتبحث وتجتمع في الخنادق والمراكز.

في فلسطين جاءني صلاح سالم وزكريا محيي الدين[1] واخترقا الحصار إلى الفالوجة، وجلسنا في الحصار لا نعرف له نتيجة ولا نهاية وكان حديثنا الشاغل وطننا الذي يتعين علينا أن نحاول إنقاذه..

وفي فلسطين جلس بجواري مرة كمال الدين حسين وقال لي وهو ساهم الفكر شارد النظرات:

- هل تعلم ماذا قال لي أحمد عبد العزيز[2] قبل أن يموت؟

قلت:

- ماذا قال..؟

قال كمال الدين حسين وفي صوته نبرة عميقة وفي عينيه نظرة أعمق:

- لقد قال لي: اسمع يا كمال، إن ميدان الجهاد الأكبر هو في مصر...

ولم ألتق في فلسطين بالأصدقاء الذين شاركوني في العمل من أجل

(1) من أعضاء مجلس قيادة الثورة.

(2) فدائي مصري عظيم. كان ضابطًا في الجيش المصري. ثم قاد قوات المتطوعين المصريين للدفاع عن فلسطين. قبل أن تقرر الدول العربية الاشتراك في المعركة، وكان له بلاء مشهود في كثير من المعارك، وقضى شهيدًا في الميدان سنة 1948.

مصر، وإنما ألتقيت أيضًا بالأفكار التي أنارت أمامي السبيل.

وأنا أذكر أيام كنت أجلس في الخنادق وأسرح بذهني إلى مشاكلنا...

كانت الفالوجة محاصرة، وكان تركيز العدو عليها ضربًا بالمدافع والطيران تركيزًا هائلاً مروعًا.

وكثيرًا ما قلت لنفسي:

«ها نحن هنا أولاء في هذه الجحور محاصرين. لقد غرر بنا، ودفعنا إلى المعرفكة لم نعد لها، لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح».

وحين كنت أصل إلى هذا الحد من تفكيري كنت أجد خواطري تقفز فجأة عبر ميادين القتال، وعبر الحدود، إلى مصر، وأقول لنفسي:

هذا هو وطننا هنا، أنه «فالوجة» أخرى على نطاق كبير..

إن الذي يحدث لنا هنا صورة من الذي يحدث هناك.. صورة مصغرة..

وطننا هو الآخر حاصرته المشاكل والأعداء، وغرر به.. ودفع إلى معركة لم يعد لها، ولعبت بأقداره مطامع ومؤامرات وشهوات، وترك هنا تحت النيران بغير سلاح..

***

وأكثر من هذا، لم يكن الأصدقاء هم الذين تحدثوا معي عن مستقبل وطننا في فلسطين ولم تكن التجارب هي التي قرعت أفكارنا بالنذر والاحتمالات عن مصيره، بل أن الأعداء أيضًا لعبوا دورهم في تذكيرنا

بالوطن ومشاكله..

ومنذ أشهر قليلة قرأت مقالات كتبها عني ضابط إسرائيلي اسمه «يردهان كوهين»، ونشرتها له جريدة «جويش أوبزرفر» وفي هذه المقالات روى الضابط اليهودي كيف التقى بي أثناء مباحثات واتصالات عن الهدنة وقال:

«لقد كان الموضوع الذي يطرقه جمال عبد الناصر معي دائمًا هو كفاح إسرائيل ضد الإنجليز، وكيف نظمنا حركة مقاومتنا السرية لهم في فلسطين وكيف استطعنا أن نجند الرأي العام في العالم وراءنا في كفاحنا ضدهم».

***

ثم إن هذا اليوم - اليوم الذي اكتشفت فيه بذور الثورة في نفسي - أبعد من حادث 4 فبراير سنة 1942[1] الذي كتبت بعده خطابًا إلى صديق قلت له فيه:

(1) في 4 فبراير سنة 1942 كانت الجيوش الألمانية قد اجتازت حدود مصر الغربية بقيادة روميل تتعقب الجيوش البريطانية المنهزمة. حتى بلغت (العلمين) على مقربة من الإسكندرية، وأدرك الإنجليز يومئذ أن آخرتهم في مصر قد حانت. وكان أشد ما يخشونه أن ينضم المصريون إلى أعداء بريطانيا، انتقامًا لأنفسهم من المظالم التي نالهم بها الاحتلال البريطاني خلال ستين سنة، فكأنما خيل للإنجليز أنهم يستطيعون أن يتقوا هذا الشر، لو كان على رأس الحكومة المصرية رجل يأمنون جانبه، ويأمنون جانب الشعب معه، فذهب سفيرهم في 4 فبراير إلى قصر الملك يطلب إليه إسناد رياسة الوزارة إلى مصطفى النحاس، وأنذروه إن لم يفعل، أن يتحمل نتائج رفضه، ثم زحفت دبابات الإنجليز إلى قصر الملك، فخضع فاروق وأسند رياسة الوزارة إلى مصطفى النحاس استجابة لرغبة بريطانيا.

«ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خانعين..؟

«الحقيقة أني أعتقد أن الاستعمار يلعب بورقة واحدة في يده، بقصد التهديد فقط، ولكن لو أنه أحس أن بعض المصريين ينوون التضحية بدمائهم ويقابلون القوة بالقوة لانسحب كأي امرأة من العاهرات»..

وطبعًا هذا حاله أو تلك عادته..

أما نحن، أما الجيش، فقد كان لهذا الحادث تأثير جديد على الروح والإحساس فيه، فبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون إلا عن الفساد واللهو. أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس في سبيل الكرامة، وأصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا - مع ضعفهم الظاهر - ويردوا للبلاد كرامتها، ويغسلوها بالدماء، ولكن إن غدا لناظره قريب.

لقد حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيئًا بغية الانتقام، ولكن الوقت كان قد فات، أما القلوب فكلها نار وأسى..

والواقع أن هذه الحركة.. إن هذه الطعنة، ردت الروح إلى بعض الأجساد، وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها، وكان هذا درسًا قاسيًا.

وكذلك فإن هذا اليوم أبعد في حياتي من الفوران الذي عشت فيه أيام كنت طالبًا أمشي مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور سنة 1923.

وقد عاد الدستور بالفعل - في سنة 1935[1] .. وأيام كنت أسعى مع

(1) لم يكن قصد الملك فؤاد. والإنجليز من ورائه - حين أعلن الدستور في سنة 1923 ودعا الشعب إلى انتخاب ممثليه في البرلمان - إلا أن يصدع وحدة الشعب، ويشغله عن أمانيه القومية، وقد تحقق له وللإنجليز ما أرادوا من ذلك فتصدعت وحدة الشعب بالمنافسات الحزبية حول مقاعد البرلمان ومناصب الحكم عن أمانيه القومية. وقد تحقق له وللإنجليز ما أرادوا من ذلك.

تصدعت وحدة الشعب التي زلزلت كيان بريطانيا في سنة 1919 وصار الشعب أحزابًا وشيعًا يكيد بعضهم لبعض. ويتربص بعضهم لبعض، وشغلهم الصراع على المناصب عن الكفاح لتحقيق الاستقلال.

ورأى فؤاد الفرصة سانحة في سنة 1930 ليسترد الدستور الذي أعلنه في سنة 1923 ليعود إلى نوع من حكم الفرد مموه بعنوان دستوري زائف، فأعلن الغاء الدستور واستبدل به دستورًا آخر لا يحقق للشعب سلطة ولا سيادة، وقهر البلاد بالعنف على الاستسلام والرضا. وفرض عليها حكومة استبدادية، لتنتحل صفة دستورية زائفة، بضع سنين، ولكن الشعب لنم يخضع، ولم يتخل عن مثله العليا وأمانيه القومية التي يكافح في سبيلها منذ سنين ذات عدد، فما هو إلا أن أتيحت له الفرصة سنة 1935، حتى ثار ثورة حاطمة، مطالبًا بعودة دستور سنة 1923.

وطأطأ فؤاد رأسه للشعب، كما طأطأ أخوه توفيق من قبل للثورة العرابية ورد للشعب دستور سنة 1923، ودعاه لانتخاب ممثليه في البرلمان على النظام الذي يرتضيه.. ولكن كما كان خضوع توفيق في سنة 1881، كان خضوع فؤاد من بعد تمهيدًا لمعاهدة 1936 التي تربط مصر إلى عجلة بريطانيا ربطًا أبديًا لا فكاك منه فعلى أثر عودة الدستور، تألفت الجبهة الوطنية التي تضم زعماء الأحزاب جميعًا لتدخل مع بريطانيا في مفاوضة جديدة تحل اسائل المعلقة بين البلدين، ثم انتهت هذه المفاوضات إلى المعاهدة الأبدية التي مزقتها الثورة الشعبية بعد ذلك وأكرهت الإنجليز على الجلاء الذي لا رجعة بعده.

وفود الطلبة، إلى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر، وتألفت الجبهة الوطنية سنة 1936 بالفعل على أثر هذه الجهود..

وأذكر أنني في فترة الفوران هذه كتبت خطابًا إلى صديق من أصدقائي - قلت فيه، وكان تاريخه 2 سبتمبر سنة 1935:

«أخي..

«خاطبت والدك يوم 30 أغسطس في التليفون وقد سألته عنك فأخبرني أنك موجود في المدرسة..

«لذلك عولت على أن أكتب إليك ما كنت سأكلمك فيه تليفونيًا».

«قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ فأين تلك القوة التي نستعد بها لهم..؟

«إن الموقف اليوم دقيق، ومصر في موقف أدق.. ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت، فإن بناء اليأس عظيم الأركان، فأين من يهدم هذا البناء..؟»

ثم مضيت في الخطاب إلى آخره..

وإذن فمتى كان ذلك اليوم الذي اكتشفت فيه بذور الثورة في أعماقي..؟

فلو أضيف إلى هذا كله، إن تلك البذور لم تكن كامنة في أعماقي وحدي، وإنما وجدتها كذلك في أعماق كثيرين غيري هم الآخرون بدورهم لا يستطيع الواحد منهم أن يتعقب بداية وجودها داخل كيانه، لاتضح إذن أن هذه البذور ولدت في أعماقنا حين ولدنا، وإنها كانت أملاً

مكبوتًا خلفه في وجداننا جيل سبقنا..

ولقد استطردت وراء هذا كله لأشرح السبب الأول الذي من أجله وجدت من الصعب علي أن أتحدث عن فلسفة الثورة وقلت أن هذا الحديث يلزمه أساتذة يتعمقون في البحث عن جذورها الضاربة في أعماق تاريخ شعبنا..

أما السبب الثاني فهو أنني كنت بنفسي داخل الدوامة العنيفة للثورة..

والذين يعيشون في أعماق الدوامة قد تخفى عليهم بعض التفاصيل البعيدة عنها..

وكذلك كنت بإيماني وعقلي وراء كل ما حدث، وبنفس الطريقة التي حدث بها، وإذن فهل أستطيع أن أتجرد من نفسي حين أتكلم عنه، وحين أتكلم عن المعاني المستترة وراءه..؟

أنا من المؤمنين بأنه لا شيء يمكن أن يعيش في فراغ..

حتى الحقيقة لا يمكن أن تعيش في فراغ..

والحقيقة الكامنة في أعماقنا هي: ما نتصور نحن أنه الحقيقة، أو بمعنى أصح: هو الحقيقة مضافًا إليها نفوسنا..

نفوسنا هي الوعاء الذي يعيش فيه كل ما فينا، وعلى شكل هذا الوعاء سوف يتشكل كل ما يدخل فيه، حتى الحقائق[1].

---

(1) يعني أننا نستطيع أن نحكم على الشيء بدقة تجعل حكمنا عليه قريبًا من الحقيقة، إذا كنا نحن أنفسنا جزءًا من هذه الحقيقة، فإن شرط القاضي أن يتجرد وألا يحكم

وأنا أحاول - بقدر ما تستطيع طاقتي البشرية - أن أمنع نفسي من أن تغير كثيرًا من شكل الحقيقة، ولكن إلى أي حد سوف يلازمني التوفيق..؟

هذا سؤال..!

وبعده أريد أن أكون منصفًا لنفسي، ومنصفًا لفلسفة الثورة، فأتركها للتاريخ يجمع شكلها في نفسي، وشكلها في نفوس غيري، وشكلها في الحوادث جميعًا، ويخرج من هذا كله بالحقيقة كاملة[1].

***

وإنما فما الذي أريد أن أتحدث عنه إذا كنت قد استبعدت كلمة «فلسفة»؟ الواقع أن الذي أملكه في هذا الصدد شيئان:

أولهما مشاعر اتخذت شكل الأمل المبهم، ثم شكل الفكرة المحددة، ثم شكل التدبير العملي، حتى منتصف ليل 23 يوليو.

وثانيهما تجارب وضعت هذه المشاعر، بأملها المبهم، وفكرتها المحددة، وتدبيرها العملي. موضع التنفيذ العملي في منتصف ليل 23 يوليو حتى الآن..

وعن هذه المشاعر والتجارب أريد أن أتحدث...

لطالما ألح على خواطري سؤال، هو:

في قضية يتصل موضوعها بشخصه أي اتصال، حتى لا يتلون حكمه بلون من ألوان عاطفته.

(1) يعني أنه ما دام التجرد للحكم غير مستطاع، فإن الإنصاف يفرض عليه أن يترك الحكم للتاريخ.

«هل كان يجب أن نقوم، نحن الجيش، بالذي قمنا به في 23 يوليو سنة 1952؟»

لقد قلت منذ سطور، إن ثورة 23 يوليو كانت تحقيقًا لأمل كبير راود شعب مصر، منذ بدأ في العصر الحديث يفكر في أن يكون حكمه في أيدي أبنائه، وفي أن تكون له نفسه الكلمة العليا في مصيره..

وإذا كان الأمر كذلك، ولم يكن الذي حدث يوم 23 يوليو تمردًا عسكريًا، وليس ثورة شعبية، فلماذا قدر للجيش، دون غيره من القوى، أن يحقق هذه الثورة..؟

ولقد آمنت بالجندية طول عمري، والجندية تجعل للجيش واجبًا واحدًا هو أن يموت على حدود وطنه، فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطرًا للعمل في عاصمة الوطن، وليس على حدوده..؟

ومرة أخرى، دعوني أنبه إلى أن الهزيمة في فلسطين، والأسلحة الفاسدة وأزمة نادي الضباط، لم تكن المنابع الحقيقية التي تدفق منها السيل، لقد كانت هذه كلها عوامل مساعدة على سرعة التدفق ولكنها – كما سبق أن قلت – لا يمكن أبدًا أن تكون هي الأصل والأساس..

وإذن فلماذا وقع على الجيش هذا الواجب..؟

قلت إن هذا السؤال طالما ألح على خواطري..

ألح عليها ونحن في دور الأمل والتفكير والتدبير بعد 23 يوليو وألح عليها في مراحل كثيرة من التجربة بعد 23 يوليو.

ولقد كانت أمامنا مبررات مختلفة قبل 23 يوليو تشرح لنا لماذا يجب

أن نقوم بالذي قمنا به..

كنا نقول: إذا لم يقم الجيش بهذا العمل فمن يقوم به؟

وكنا نقول: كنا نحن الشبح الذي يؤرق به الطاغية أحلام الشعب، وقد آن لهذا الشبح أن يتحول إلى الطاغية فيبدد أحلامه هو..

وكنا نقول غير هذا كثيرًا، ولكن الأهم من كل ما كنا نقوله إننا كنا نشعر شعورًا يمتد إلى أعماق وجودنا بأن هذا الواجب واجبنا وأننا إذا لم نقم به نكون كأننا قد تخلينا عن أمانة مقدسة نيط بنا حملها..

ولكني أعترف أن الصورة الكاملة لم تتضح في خيالي إلا بعد فترة طويلة من التجربة عقب 23 يوليو..

وكانت تفاصيل هذه التجربة، هي بعينها تفاصيل الصورة.

وأنا أشهد أنه مرت على بعد يوم 23 يوليو نوبات اتهمت فيها نفسي وزملائي وباقي الجيش بالحماقة والجنون الذي صنعناه في 23 يوليو..

لقد كنت أتصور قبل 23 يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة، وأنها لا تنتظر إلا طليعة تقتحم أمامها السور، فتندفع الأمة وراءها صفوفًا متراصة منتظمة تزحف زحفًا مقدسًا إلى الهدف الكبير..

وكنت أتصور دورنا على أنه دور طليعة الفدائيين، وكنت أظن أن دورنا هذا لا يستغرق أكثر من بضع ساعات، ويأتي بعدها الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة إلى الهدف الكبير، بل لقد كان الخيال يشط بي أحيانًا فيخيل إلي أني أسمع صليل الصفوف المتراصة وأسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم إلى الهدف الكبير، أسمع هذا كله ويبدو في

سمعي، من فرط إيماني به، حقيقة مادية وليس مجرد تصورات خيال..

ثم فاجأني الواقع بعد 23 يوليو..

قامت الطليعة بمهمتها، واقتحمت سور الطغيان. وخلعت الطاغية ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة إلى الهدف الكبير..

وطال انتظارها..

لقد جاءتها جموع ليس لها آخر.. ولكن ما أبعد الحقيقة عن الخيال..!

كانت الجموع التي جاءت أشياعًا متفرقة، وفلولا متناثرة، وتعطل الزحف المقدس إلى الهدف الكبير، وبدت الصورة يومها قائمة مخيفة تنذر بالخطر..

وساعتها أحسست وقلبي يملؤه الحزن وتقطر منه المرارة، إن مهمة الطليعة لم تنته في هذه الساعة، بل إنها من هذه الساعة بدأت..

كنا في حاجة إلى النظام، فلم نجد وراءنا إلا الفوضى..

وكنا في حاجة إلى الاتحاد، فلم نجد وراءنا إلا الخلاف.

وكنا في حاجة إلى العمل، فلم نجد وراءنا إلا الخنوع والتكاسل. ومن هنا، وليس من أي شيء آخر، أخذت الثورة شعارها[1].

---

(1) شعار الثورة النظام - والاتحاد - والعمل، وقد حلل الأستاذ عباس محمود العقاد ووازن بينه وبين شعار كل من الثورة الفرنسية والثورة التركية، والثورة الروسية، والثورة الصينية، وأسهب في تعليل كل شعار منها ومدى انطباقه على واقع كل ثورة من تلك الثورات. انظر «فلسفة الثورة في الميزان» للأستاذ عباس

ولم نكن على استعداد..

وذهبنا نلتمس الرأي من ذوي الرأي، والخبرة من أصحابها.. ومن سوء حظنا لم نعثر على شيء كثير..

كل رجل قابلناه لم يكن يهدف إلا إلى قتل رجل آخر..!

وكل فكرة سمعناها لم تكن تهدف إلا إلى هدم فكرة أخرى!

ولو أطعنا كل ما سمعناه، لقتلنا جميع الرجال وهدمنا جميع الأفكار، ولما كان لنا بعدها ما نعمله إلا أن نجلس بين الأشلاء والأنقاض نندب الحظ البائس ونلوم القدر التعس..!

وانهالت علينا الشكاوى والعرائض بالألوف ومئات الألوف، ولو أن هذه الشكاوى والعرائض كانت تروى لنا حالات تستحق الأنصاف، أو مظالم يجب أن يعود إليها العدل، لكان الأمر منطقيًا ومفهومًا ولكن معظم ما كان يرد إلينا لم يزد أو ينقص عن أن يكون طلبات انتقام.. كأن الثورة قامت لتكون سلاحًا في يد الأحقاد والبغضاء..

***

ولو أن أحدًا سألني في تلك الأيام: ما هو أعز أمانيك؟ لقلت له على الفور:

- أن أسمع مصريًا يقول كلمة إنصاف في حق مصري آخر.

وأن أحس أن مصريًا قد فتح قلبه للصفح والغفران والحب لإخوانه

محمود العقاد.

المصريين..

وأن أرى مصريًا لا يكرس وقته لتسفيه آراء مصري آخر..

وكانت هناك بعد ذلك كله أنانية فردية مستحكمة..

كانت كلمة «أنا» على كل لسان..

كانت هي الحل لكل مشكلة، وكانت الدواء لكل داء..

وكثيرًا ما كنت أقابل كبراء - أو هكذا تسميهم الصحف - من كل الاتجاهات والألوان، وكنت أسأل الواحد منهم في مشكلة التمس عنده حلا لها فلم أكن أسمع إلا أنا..

مشاكل الاقتصاد «هو» وحده يفهمها، أما الباقون جميعًا فهم في العلم بها أطفال يحبون..

ومشاكل السياسة «هو» وحده الخبير بها، أما الباقون جميعًا فما زالوا في «ألف باء» لم يتقدموا بعدها حرفًا واحدًا.

وكنت أقابل الواحد من هؤلاء، ثم أعود إلى زملائي فأقول لهم في حسرة:

- لا فائدة.. هذا رجل لو سألناه عن مشكلة صيد السمك في جزائر هاواي لما وجدنا عنده جوابًا إلا كلمة «أنا»..!

***

أذكر مرة كنت أزور فيها إحدى الجامعات.. ودعوت أساتذتها وجلست معهم أحاول أن أسمع منهم خبرة العلماء.

وتكلم أمامي منهم كثيرون .. وتكلموا طويلاً..

ومن سوء الحظ أن أحدًا منهم لم يقدم لي أفكارًا، وإنما كل واحد منهم لم يزد على أن أقدم لي نفسه، وكفاياته الخليقة وحدها بعمل المعجزات، ورمقني كل واحد منهم بنظرة الذي يؤثرني على نفسه بكنوز الأرض وذخائر الخلود..!

وأذكر أني لم أتمالك نفسي فقمت بعدها أقول لهم:

«إن كل فرد منا يستطيع في مكانه أن يصنع معجزة، أن واجبه الأول أن يعطي كل جهده لعمله، ولو أنكم، كأساتذة جامعات، فكرتم في طلبتكم، وجعلتموهم - كما يجب - عملكم الأساسي، لاستطعتم أن تعطونا قوة هائلة لبناء الوطن.

إن كل واحد يجب أن يبقى في مكانه ويبذل فيه كل جهده.

لا تنظروا إلينا، لقد اضطرتنا الظروف أن نخرج من أماكننا لنقوم بواجب مقدس، ولقد كنا نتمنى لو لم تكن للوطن حاجة بنا إلا في صفوف الجيش كجنود محترفين، وإذن لبقينا فيه».

ولم أشأ ساعتها أن أضرب لهم المثل من أعضاء مجلس قيادة الثورة ولم أشأ أن أقول لهم إنهم قبل أن يدعوهم الطارئ الذي دعاهم إلى الواجب الأكبر كانوا يبذلون في عملهم كل جهدهم.

ولم أشأ أن أقول لهم أن معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا أساتذة في كلية أركان الحرب، وهذا دليل امتيازهم من ناحيتهم كجنود محترفين..

وكذلك لم أشأ أن أقول لهم أن ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة، هم عبد الحكيم عامر، وصلاح سالم، وكمال الدين حسين رقوا ترقيات استثنائية في ميدان القتال في فلسطين.

لم أشأ أن أقول لهم شيئًا من هذا، لأني لا أريد أن أفاخر الناس بأعضاء مجلس قيادة الثورة وهم أخوتي وزملائي..

***

وأعترف أن هذا الحال كله سبب لي أزمة نفسية كئيبة.

ولكن التجارب فيما بعد، وتأمل هذه التجارب واستخلاص معانيها الحقيقية، خففت من وقع الأزمة في نفسي، وجعلتني التمس لهذا كله أعذارًا من الواقع ثرت عليها حين اتضحت أمامي - إلى حد ما - الصورة الكاملة لحالة الوطن، وأكثر من هذا أعطتني الجواب على السؤال الذي قلت أنه طالما راودني، وهو:

«هل كان يجب أن نقوم - نحن الجيش - بالذي قمنا به في 23 يوليو..؟»

والجواب: نعم، ولم يكن هناك مهرب أو مفر..!

وأنا الآن أستطيع أن أقول أننا نعيش في ثورتين وليس في ثورة واحدة..

ولكل شعب من شعوب الأرض ثورتان:

ثورة سياسية يسترد بها حقه في حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه، أو من جيش معتد أقام في أرضه دون رضاه..

وثورة اجتماعية، تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد.

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشري شعوب مرت بالثورتين، ولكنها لم تعشهما معًا، وإنما فصل بين الواحدة والثانية مئات من السنين، أما نحن فإن التجربة الهائلة التي امتحن بها شعبنا هي أن تعيش الثورتان معًا في وقت واحد.

***

وهذه التجربة الهائلة مبعثها أن لكل من الثورتين ظروفًا مختلفة تتنافر تنافرًا عجيبًا، وتتصادم تصادمًا مروعًا..

إن الثورة السياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الأمة وترابطها وتساندها ونكرانها لذاتها في سبيل الوطن كله.

والثورة الاجتماعية، من أول مظاهرها، تزلزل القيم وتخلخل العقائد، وتصارع المواطنين مع أنفسهم أفرادًا وطبقات، وتحكم الفساد والشك والكراهية.. والأنانية..

وبين شقي الرحى هذين، قدر لنا أن نعيش اليوم في ثورتين: ثورة تحتم علينا أن نتحد، ونتحاب، ونتفانى في الهدف، وثورة تفرض علينا - برغم إرادتنا - أن نتفرق، وتسودنا البغضاء، ولا يفكر كل منا إلا في نفسه..

وبين شقي الرحى هذين - مثلا - ضاعت ثورة 1919 ولم نستطع أن تحقق النتائج التي كان يجب أن تحققها.

الصفوف التي تراصت في سنة 1919 تواجه الطغيان، لم تلبث إلا

قليلاً حتى شغلها الصراع فيما بينها أفرادًا وطبقات.

وكانت النتيجة فشلاً كبيرًا، فقد زاد الطغيان بعدها تحكمًا فينا، سواء بواسطة قوات الاحتلال السافرة، أو بصنائع الاحتلال المقنعة التي كان يتزعمها في ذلك الوقت السلطان فؤاد وبعده ابنه فاروق ولم يحصد الشعب إلا الشكوك في نفسه، والكراهية والبغضاء والأحقاد فيما بين أفراده وطبقاته.

شحب الأمل الذي كان ينتظر أن تحققه ثورة 1919.

ولقد قلت شحب الأمل، ولم أقل تلاشى، ذلك لأن قوى المقاومة الطبيعية التي تدفعها الآمال الكبيرة التي تراود شعبنا، كانت لا تزال تعمل عملها وتستعد لمحاولة جديدة.

وكان ذلك هو الحال الذي ساد بعد ثورة سنة 1919، والذي فرض على الجيش أن يكون وحده القوة القادرة على العمل.

كان الموقف يتطلب أن تقوم قوة يقرب ما بين أفرادها إطار واحد يبعد عنهم. إلى حد ما، صراع الأفراد والطبقات، وأن تكون هذه القوة من صميم الشعب، وأن يكون في استطاعة أفرادها أن يثق بعضهم ببعض، وأن يكون في يدهم من عناصر القوة المادية ما يكفل لها عملاً سريعًا حاسمًا، ولم تكن هذه الشروط تنطبق إلا على الجيش..

وهكذا لم يكن الجيش - كما قلت - هو الذي حدد دوره في الحوادث، وإنما العكس كان أقرب إلى الصحة، وكانت الحوادث وتطوراتها هي التي حددت للجيش دوره في الصراع الكبير لتحرير الوطن..

***

ولقد أدركت منذ البداية أن نجاحنا يتوقف على إدراكنا الكامل لطبيعة الظروف التي نعيش فيها من تاريخ وطننا، فإننا لم نكن نستطيع أن نغير هذه الظروف بجرة قلم، وكذلك لم نكن نستطيع أن نؤخر عقارب الساعة أو نقدمها ونتحكم في الزمن .. وكذلك لم يكن في استطاعتنا أن نقوم على طريق التاريخ بمهمة جندي المرور فنوقف مرور الثورة حتى تمر ثورة أخرى، ونحول تلك دون وقوع حادث اصطدام، وإنما كان الشيء الوحيد الذي نستطيعه هو أن نتصرف بقدر الإمكان وننجو من أن يطحننا شقا الرحى..!

وكان لابد أن نسير في طريق الثورتين معًا..

ويوم سرنا في طريق الثورة السياسية، فخلعنا فاروق عن عرشه، سرنا خطوة مماثلة في طريق الثورة الاجتماعية، فقررنا تحديد الملكية.

وما زلت حتى اليوم أعتقد أنه ينبغي أن تظل ثورة 23 يوليو محتفظة بقدرتها على الحركة السريعة والمبادأة، لكي نستطيع أن نحقق معجزة السير في ثورتين في وقت واحد مهما بدا في بعض الأحيان من التناقض في تصرفاتنا.

وحين جاءني واحد من أصدقائي يقول لي:

«أنت تطالب بالاتحاد لمواجهة الإنجليز، وأنت في نفس الوقت تسمح لمحاكم الغدر أن تستمر في عملها».

استمعت إليه.. وكانت في خيالي أزمتنا الكبيرة، أزمة شقى الرحى..

أزمة تقتضينا أن نتحد صفا واحدًا وننسى الماضي..

وثورة تفرض علينا أن نعيد الهيبة الضائعة لقيم الأخلاق ولا ننسى الماضي.. ولم أقل لهذا الصديق: إن منقذنا الوحيد إلى النجاة، أن نحتفظ - كما قلت - بسرعة الحركة والمبادأة، وبالقدرة على أن نسير في طريقين في وقت واحد.

ولم أشأ أنا ذلك، ولا شاءه كل الذين شاركوا في ثورة 23 يوليو..

ولكن القدر شاء، وتاريخ شعبنا، والمرحلة التي يمر بها اليوم..

كاريزما عبد الناصر وخطاب الجلاء

(تمتع عبد الناصر بكاريزما الزعامة التف حوله الشعب يؤازره ويناصره وكانت كلماته في المؤتمر الشعبي بميدان الجمهورية احتفالاً بالجلاء ملهبة للمشاعر وأخذت الجماهير تردد بعدها ناصر.. ناصر فماذا قال لهم عبد الناصر.

التفاصيل في السطور التالية:

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي بميدان الجمهورية احتفالاً بالجلاء

19 /6 /1956

أيها المواطنون:

الحمد لله.. الحمد لله، فقد جاء النصر من عند الله.

أيها المواطنون:

لقد تكلمت إليكم مئات المرات منذ قامت الثورة، ولكني حينما أتكلم إليكم اليوم أحس بأحاسيس جديدة، أشعر باختلاف في الظروف وفي العوامل وفي المرامي وفي المعاني. أتكلمت معاكم كتير، كنت باتكلم وأتحدث إليكم وأخطب فيكم من 23 يوليو لغاية إمبارح، ولكن وأنا بتكلم كنت أحس أن هناك ثقلاً على قلبي، وأن هناك غمة على نفسي، كنت باتكلم وكنت بأشعر بكم.. بالشعب، أبناء مصر جميعًا بيحسوا بهذا الإحساس وبيشعروا بهذا الشعور.

كنت باتكلم معاكم عن الماضي وعن الاحتلال مرات عديدة.. مرات كثيرة جدًا وأنا أرى الشعور المتبادل والإحساس المتبادل اللي كنا بنحس به جميعًا. كنت أختم خطابي أو أختم كلامي: لابد من تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال، كان هذا الكلام.. كان هذا الكلام تعبير عن شعوركم.. تعبير عن أحاسيسكم. تعبير عن المشاعر اللي كنت باحس بها من يوم ما شبيت في هذه البلد، من يوم ما خرجت إلى الحياة وبقيت أحس بالوجود، تعبير عن الهتافات اللي كنا بنهتفها في سنة 30، والهتافات اللي كنا بننادي بها في سنة 36، تعبير عن الهتافات اللي قالوها إخوان لنا ماتوا

وهم بيرددوها، تعبير عن كفاح الماضي الطويل، تعبير عن كفاح الآباء، تعبير عن كفاح الأجداد. كان هذا - يا إخواني - هو شعوركم، وكان هذا - يا إخواني - هو شعوري وأنا باتكلم معاكم.

أما اليوم فقد اختلفت الظروف وقد اختلفت الأحوال؛ فلا يرفرف على مصر سوى علم واحد، هذا العلم هو علم مصر.. علم واحد هو علم مصر. واليوم - يا إخواني - أشعر كما تشعرون أنتم أن الآمال تحققت، وأن الغمة قد زالت، وأن القلب يشعر بالحرية، وأن النفس تحس بالانطلاق. اليوم - يا إخواني - أشعر كما تشعرون أن نسيم الحرية يهب على أرض مصر؛ فلا يرفرف في سماء مصر سوى علم مصر، ولا يرفرف على أرض مصر سوى علم مصر.

أيها المواطنون:

لقد مر علينا حين من الدهر ونحن نجاهد ونكافح، كنا بنجاهد وكان آباؤنا بتجاهد وأجدادنا بيجاهدوا من أجل حقهم في الحياة، من أجل حقهم في العيش الكريم، من أجل حقهم في العدالة وفي الحرية وفي المساواة. كنا نخرج من محنة لنقع في محنة، ولكنا كنا نكافح ونقاتل ونجاهد ضد الأجنبي الدخيل، وضد الخونة المستغلين من أبناء هذا الوطن، كنا نكافح ونجاهد لم نسلم أبدًا ولم نستسلم أبدًا، كنا نقف أو كنا ننتكس، ولكن روح هذا الشعب لم تثبط وعزيمته لم تسقط. كان هذا الشعب دائمًا يحمل مشعل الحرية رغم المحن ورغم تحالف الأجانب؛ الأجنبي الدخيل والخونة من أبناء هذا الوطن. استطاع هذا الشعب على مر السنين - مئات السنين - أن يحافظ على روحه، وأن يحافظ على معنوياته، و، يحافظ على قوميته. استطاع هذا الشعب أن يبقى؛ فقد كان مصر أيها الإخوة.. كانت مصر دائمًا

مقبرة للطغاة ومقبرة للغزاة، فكم من دولة غزت مصر وانتهت وزال اسمها وزال أثرها، أما مصر فقد بقت وعاشت على مر الزمن لتثبت وجودها.

نعم – يا إخواني – حافظت مصر على شخصيتها، وحافظت مصر على روحها، وحافظت مصر على قوميتها، وحافظت مصر على وحدتها رغم الطغاة، ورغم المستبدين، ورغم المستغلين، ورغم الاحتلال. استطاع هذا الشعب على مر السنين أن يحافظ على عنصره، وأن يحافظ على وحدته، وأن يحافظ على كيانه. كان الشعب يهب ويكافح ويناضل ويستشهد ويقاتل، وكان بعد هذا يسكن ويسكت ويلاقي الذل والمحن سنين طويلة، ولكن هل صرف الذل وهل صرف الاستبداد وهل صرف الاستعباد هذا الشعب عن أن يفكر في حريته، عن أن يفكر في حقوقه، عن أن يفكر في حقه في الحياة؟! هل صرف الذل وهل صرف الاستبداد وهل صرف الاستعباد هذا الشعب عن أن يفكر في حقه في الحياة؟! هل صرف الذل وهل صرف الاستبداد وهل صرف الاستعباد، بل هي صرف الخوف هذا الشعب عن أن يجاهد وأن يكافح؟! كنا نخاف حينًا، وكنا نستضعف أحيانًا، ولكنا لم نسلم ولم نستسلم ولم نستضعف، وقام من هذا الشعب رجال ماتوا، بل مات نساء من أبناء هذا الشعب؛ استشهدوا وحملوا العلم وخرجوا ينادون بالحرية، وينادون بحق هذا الشعب في الحياة.

واليوم – يا إخواني – ونحن نجني الثمرات، ونحن نتمتع بالحرية، ونحن نبدأ فجر حياة جديدة ترفرف عليها نسائم الحرية نشعر.. نشعر بجهود من سبقونا، نشعر بجهود من استشهدوا في سبيل هذه الحرية، نشعر

بكفاح الأجيال الماضية.. نشعر بكفاح الأجيال السابقة.

اليوم - يا إخواني - ونحن نبدأ فترة جديدة من تاريخ هذا الوطن ومن حياة هذا الوطن، نتجه إلى الماضي.. نتجه إلى الماضي ونحيي الأجيال الماضية التي لم تضعف ولم تتخاذل ولكنها قاومت واستبسلت، وقاتلت وتكتلت حتى استطعنا في هذا الجيل أن نحقق هذا النصر، حتى استطعنا في هذا الجيل أن نشعر بالحرية، حتى استطعنا في هذا الجيل أن نرفع على مصر علمًا واحدًا هو علم مصر؛ علم الحرية وعلم العزة وعلم الكرامة.

اليوم - أيها الإخوة - أصبحت مصر لأبنائها، مصر بقت بتاعتنا كلنا، لكل أبنائها، لا هي ملك فئة قليلة، ولا ملك الخونة، ولا ملك المستبدين، ولا ملك المستغلين، ملككم جميعًا، تباعتكم كلكم، بتاعة كل واحد فيكم. مصر النهاردة ما بقتش للمحتلين أو المغتصبين أو المستبدين، ولكن مصر اليوم أصبحت للمصريين. زي ما قلت لكم في سنة 30 وأن شاب صغير في المدارس الثانوية في ثانية ثانوي، كنت بانادي بالحرية، يمكن ماكنتش أعرف إيه معنى الحرية، كنت بانادي بالاستقلال وبالعزة وبالكرامة في سنة 30 في إسكندرية وفي ميدان المنشية بالذات كنا بننادي بالحرية وبننادي بالاستقلال، أحاسيس توارثناها جيل عن جيل، مشاعر تعاقبت في هذه البلد من جد لابن. كنا بننادي بالحرية وكنا بننادي بالاستقلال، وكنا بننادي بالعزة وكنا بننادي بالكرامة، ويمكن إحنا كشباب كان سننا صغير، ماكناش نعرف المعاني الكبيرة لهذه الكلمات، ولكنا كنا نعبر عن روح هذا الشعب، كنا نعبر عن روح هذا الوطن، كانت هذه الألفاظ هي الإرث الذي نرثه.. نرثه على مدى الأجيال؛ النداء بالحرية وبالعزة وبالكرامة. في سنة 30 ثار

الشعب، كان بيطالب بحريته، شفت بعيني ناس ماتت، شفت بعيني ناس أصيبت، ولكن لم يكن هذا أبدًا سببًا إلى الخوف أو سببًا إلى الفزع.

سنة 36 - وكنت :برت بعد كده بخمس سنين أو بست سنين - نفس القصة تكررت هنا في القاهرة على كوبري قصر النيل؛ شفت بعيني برضه الشعب نفسه ينادي بنفس الشعور، بنفس الأهداف؛ ينادي بالحرية، وينادي بالعزة، وينادي بالكرامة.. شفت الشعب بينادي نفس النداءات اللي كان بينادي بها سنة 30، نفس النداءات اللي كان بينادي بها حينما قام عرابي ليطالب لهذا الشعب بحقه في الحرية والحياة، نفس النداءات اللي كان هذا الشعب بيطالب بها باستمرار.

كنا بننادي يا إخواني .. كنا بننادي بهذه الألفاظ دائمًا وماكناش نعرفها، ماكناش حسينا بها، ماكناش شفناها، اتولدنا في عهد الاحتلال وعهد الاستغلال والاستبداد، لم نتمتع بالحرية، كنا بننادي بألفاظ ماجربناهاش، لم نختبرها.

النهاردة - يا إخواني - وأنا باتكلم إليكم، لأول مرة أشعر فعلاً إنه هي الحرية، أتكلم إليكم - أيها المواطنون - وأنا أشعر بشعور الرجل الحر، وأنا أشعر أيضًا أن كل فرد منكم يشعر بشعور الرجل الحر، يشعر بهذا الشعور الذي كنا ننادي به ونهتف من أجله ولا نعرفه ولم نختبره ولم نجربه. اليوم - يا إخواني - يوم فريد في تاريخنا، في شعورنا، في نفوسنا، في قلوبنا، اليوم نحس فعلاً الإحساس بالحرية، والإحساس بالعزة، والإحساس بالكرامة. اليوم - يا إخواني - نشعر فعلاً بقيمة هذه الهتافات التي كنا نهتف بها، وقيمة هذه النداءات التي كنا ننادي بها ولا نعرف معناها. اليوم - أيها المواطنون - أشعر أني أتكلم كرجل حر في شعب

حر تخلص من الاحتلال، وتخلص من الظلم، وتخلص من الاستبداد، وتخلص من الاستغلال.

نعم - يا إخواني - الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله.. لقد انتهت مرحلة من مراحل الكفاح، كفاح طويل مرير استمر عشرات السنين ومئات السنين. النهاردة وإحنا نشعر بالحرية ونشعر بالعزة ونشعر بالكرامة لا أريد أبدًا أن نزهو بالنصر، ولا أريد أن يجرفنا الفخر أبدًا. الكفاح - يا إخواني - لا يتوقف عند غاية، اللي سبقونا - آباؤنا وأجدادنا - كانوا بيكافحوا من أجل هذا اليوم. الكفاح ليس له نهاية أبدًا، مدى الكفاح في أي شعب هو مدى الحياة.. الحياة نفسها.. حياة كل فرد من أفراد هذا الشعب. الكفاح - يا إخواني - مستمر.. مستمر حتى تنتهي هذه الحياة، إذا أردنا أن نثبت هذه الحرية، وإذا أردنا أن نثبت هذا الاستقلال، وإذا أردنا أن نثبت العزة، وأن نثبت الكرامة. إن الكفاح مرحلة طويلة لا ينتهي عند غاية من الغايات، ولكنه يتجه قدمًا، فالغايات تتجدد، والأماني تتزايد، والمطالب تظهر دائمًا أمام الشعوب.

إننا اليوم - يا إخواني - قد اختتمنا مرحلة من مراحل الكفاح وبدأنا مرحلة جديدة، إن الطريق أمامنا لا زال طويلاً، إن الطريق من أجل البناء، من أجل تعزيز الكفاح، إن الفجر الذي انبلج بالأمس.. الفجر بس، كل ما ظهر بالأمس حينما ارتفع العلم المصري يرفرف فوق أرض الوطن كان الفجر بس.. البداية، هذا الكفاح - يا إخواني - مرحلة على الطريق. والنهاردة.. النهاردة مش حننظر للخلف.. مش حننظر إلى الوراء، حننظر إلى الأمام، إلى الأماني الجديدة.. إلى الغايات الجديدة.. إلى الأهداف الجديدة.

إننا اليوم نسود في وطننا لأو لمرة منذ زمن طويل. لازم نعرف إيه

غايتنا، هل غايتنا الجلاء وبس، وإنهاء الاحتلال وبس؟ أو لنا غايات أخرى؟ إيه أهدافنا؟ هل أهدافنا انتهت بجلاء الأجنبي؟ أبدًا، باستمرار إحنا كنا بنكافح من أجل الاستقلال؛ لأن كانت لنا أماني كنا بنعتبر أن الاستعمار يحرمنا منها، كانت لها مطالب كنا بنعتبر أن الاستغلال بيحرمنا منها.

النهاردة - في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن - لازم نتجه إلى المستقبل ونعرف إيه غايتنا .. إيه أهدافنا. كنا زمان بنقول ليه الاستعمرا يحرمنا من حريتنا؟! وليه الاستغلال يحرمنا من حقنا في الحياة؟! إحنا النهاردة حينما قامت هذه الثورة قامت بنا على مبادئ.. قامت على مبادئ، وكانت هذه المبادئ - أيها المواطنون - تنبعث من إحساس هذا الشعب ومن شعور هذا الشعب؛ المبادئ اللي اتعملت قبل 23 يوليو، واللي أعلناها بعد 23 يوليو، كنا بنحس بها تعبر عن إحساسكم وتعبر عن مشاعركم. أنا قلت هذه المبادئ مئات المرات وعشرات المرات، ولكني سأستمر أبدًا في كل مرّة وفي كل كلمة أقولها، أفكركم بها وأثبتها وأؤكدها؛ حتى تنطبع في عقولكم وفي نفوسكم وفي صدوركم، حتى تعلموها لأبنائكم، هذه المبادئ التي انبثقت من آلام هذا الشعب، والتي انبثقت من آمال هذا الشعب.

قامت الثورة وكانت تهدف أول ما تهدف إلى القضاء على الاستعمار وأعوان الاستعمار، واليوم ونحن نشعر بالحرية نستطيع أن نقول: إن الهدف الأول من أهداف هذه الثورة قد تحقق، الهدف الذي كنا نسعى إليه طويلاً، الهدف الذي كنا ننادي به على مر السنين.

وكنا نهدف ثانيًا .. كان الهدف الثاني من أهداف الثورة - اللي حفضتوها واللي عرفتوها واللي قلناها كثيرًا - هو القضاء على الإقطاع.. القضاء على

الإقطاع من أجل حرية الفرد.. من أجل حرية الفلاح.. من أجل القضاء على الاستعباد.. من أجل إقامة حرية حقيقية؛ إذ لا حرية إذا لم تكن للفرد حرية.. لا حرية مع السيطرة ومع الاستبداد ومع الاستغلال ومع التحكم.. لا حرية مع السيطرة ومع الاستبداد ومع الاستغلال ومع التحكم.. لا حرية إذا كان الفلاح عبدًا في الأرض .. إذا كان الفلاح يشعر بالرق .. إذا كان الفلاح لا يشعر بحرية عيشه وحرية رزقه. من أجل هذا - أيها المواطنون - طالبنا بالقضاء على الإقطاع حتى نحقق بين ربوع هذا الوطن حرية حقيقية، فإذا شعر الفرد بحريته، وإذا شعر الفرد بحرية عيشه، وإذا شعر الفرد بحرية رزقه، فلابد أن تكون في هذه الأرض ولابد أن يكون في هذا الوطن حرية حقيقية.

واليوم - أيها المواطنون - نشعر أن هذا الهدف قد تحقق، وأن الفلاح قد تخلص من العبودية، وأن الفلاح - لأول مرة في تاريخ هذا الوطن - يشعر بأنه حر غير مهدد في رزقه، ولا مهدد في عيشه، ولا مهدد في كرامته، ولا مهدد في أمنه، ولا مهدد في أسرته.

وبعدين كان الهدف التالت من أهداف الثورة - اللي لازم نفتكرها دائمًا ونحفظها وننقشها في قلوبنا - كان الهدف التالت.. كان الهدف التالت من أهداف الثورة القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم. كلكم قاسيتم من الاحتكار، وكلنا قاسينا من سيطرة رأس المال على الحكم؛ ليستغلنا، ويستبد بنا، ويتحكم فينا، ويستطيع أن يحقق من وراء ذلك منافع، وكانت العملية عملية استعواض، كانوا بيتاجروا بنا، وكانوا بيتاجروا بأرزاقنا، وكانوا بيتاجروا بمصائرنا، كان هذا شعور سائد، وكان كل فرد من أبناء هذا البلد بيشعر به وبيحس به. النهاردة - يا إخواني

- نشعر جميعًا أن هذا الهدف قد تحقق؛ لقد قضى على الاحتكار، وقد قضى على سيطرة رأس المال على الحكم. أصبح رأس المال يتجه إلى عمله الحقيقي من أجل رفع الإنتاج، ومن أجل رفع مستوى هذا البلد. أصبح رأس المال يعمل من أجل منفعة الجماعة. والكلام دا نص عليه في الدستور؛ رأس المال حر على ألا يضر بأمن الجماعة، رأس المال حر على أن يوجه في سبيل مصلحة الجماعة، وأصبح مافيش فرصة أبدًا لكي يكون هناك احتكار، أو لأن تعود الألاعيب القديمة مرة أخرى؛ حتى يعمل رأس المال أو رأس المال الفاسد على السيطرة على الحكم.

كان الهدف التالي - الهدف الرابع - كان إقامة عدالة اجتماعية، كنا بنكافح دائمًا من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية.. كنا بنكافح دائمًا من أجل إقامة عدالة اجتماعية.. من أجل العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، كنا بنجاهد من أجل الوصول إلى هذا. هذا الهدف هو الهدف اللي إحنا يجب أن نكتل كل قوانا من أجل الوصول إليه ومن أجل تحقيقه. لن نستطيع - أيها المواطنون - أن نقيم عدالة اجتماعية بين ربوع هذا الوطن إذا لم نعمل عملاً مستمرًا، إذا لم نجد ونعرق؛ لنزيد من ثروة هذا الوطن، لنزيد من الدخل القومي لهذا الوطن. لن نستطيع - أيها المواطنون - أن نحقق عدالة اجتماعية إلا إذا تكاتفنا جميعًا لنعمل عملاً مستمرًا شاقًا مضنيًا من أجل الأمة جميعها، من أجل الأغلبية كلها لا من أجل فئة قليلة من الناس، ولا من أجل فرد من الأفراد، لنعمل جميعًا - أيها المواطنون - متكاتفين متحدين، نعمل جميعًا من أجل تحقيق عدالة اجتماعية. ولن نستطيع - أيها المواطنون - أن نحقق هذه العدالة إلا بالعمل المتواصل،

بالعمل الشاق، بالجد والجهاد والكفاح، بالبناء.. البناء المستمر. لابد - أيها الإخوة - أن نزيد من دخل هذا البلد، لابد - أيها الإخوة - أن نزيد من ثروة هذا البلد، لابد أن نزيد الدخل القومي، وبهذا.. بهذا فقط - يا إخواني - نستطيع أن نحقق هذا.

وأنا أعتقد أننا اليوم بعد أن شعرنا بأننا أسياد في هذا الوطن - تخلصنا من الاحتلال الأجنبي، وتخلصنا من الاغتصاب الداخلي، تخلصنا من المستغلين، وتخلصنا من المستبدين - أننا سنعمل جميعًا بعزم وإيمان وبتصميم وبجد، سنعمل من أجل هذا الوطن، ومن أجل رفع مستوى هذا الوطن، ومن أجل زيادة دخل هذا الوطن.

ويهذا ستكاتف جميعًا.. جميعًا.. ستكاتف جميعًا من أجل إقامة عدالة اجتماعية، لن يكون هناك احتكار، ولن يكون هناك إقطاع، ولن يكون هناك سيطرة لرأس المال على الحكم، ولن تكون هناك فئة مستغلة، ولن تكون هناك فئة مستبدة، ولن يكون هناك رق، ولن تكون هناك عبودية، ولكن هناك حرية فردية.

إن العامل - أيها المواطنون - مؤمن على رزقه، إن الفلاح شعر بأن رزقه آمن، إن كل فرد في هذا الوطن يشعر اليوم بالحرية الحقيقية؛ ولهذا فأنا أعتقد وأنا أؤمن أننا سنعمل جميعًا.. سنعمل جميعًا.. جميع أبناء هذا الوطن.. إن مصر لن تتخلى عن فرد من أبنائها. وإن مصر - أيها المواطنون - مصر اليوم تحتاج إلى جميع أبنائها لننسى ما مضى.. لننسى ما فات، نتجه جميعًا إلى المستقبل؛ لننسى الماضي بمآسيه، لننسى الماضي بعبره، ولكننا لن نأخذ من الماضي إلا العظة والعبرة، العظة والعبرة للذكرى وللحذر؛ حتى نذكر دائمًا

وحتى لا نخدع، وحتى لا نضلل. سننسى الماضي ونتجه إلى المستقبل، ولن نأخذ من الماضي إلا العظة وإلا العبرة حتى نكون على حذر.

وبهذا - يا إخواني - سنستطيع أن نحقق لهذا الوطن جميعًا عدالة اجتماعية حقيقية تسود فيها العزة ، ويتحقق فيها للمجتمع الرفاهية. هذا هو هدف من أهداف الثورة لم نستطع تحقيقه حتى الآن، ولكنه يحتاج إلى وقت، ويحتاج إلى عمل.. عمل مستمر.. عمل متواصل، وهذا العمل - أيها المواطنون - هو عمل كل فرد منكم، وهذا الواجب - أيها الموطنون - هو واجب كل فرد منكم. وكلما حققنا عملاً أو هدفًا سنجد أمامنا أهدافًا أخرى. تحقيق العدالة لاجتماعية عمل مستمر.. عمل متواصل.. كفاح مستمر يحتاج إلى قوى الشعب، وإلى إمكانيات العب، وإلى سواعد الشعب، وإلى كفاح الشعب. وبإذن الله - أيها الإخوة - سنتجه إلى المستقبل بعزم وإيمان وتصميم؛ حتى نرسي بين ربوع هذا الوطن العدالة الاجتماعية الحقيقية.

أما الهدف الخامس.. كان الهدف الخامس من أهداف الثورة اللي كانت تعبر عن آمال هذا الشعب وعن آلام هذا الشعب.. الهدف الخامس اللي اتكتب قبل 23 يوليو من أحاسيسكم اللي إحنا بنحس بها، ومن مشاعركم اللي هي كانت عبارة عن مشاعرنا؛ لأن إحنا كنا بنحس بهذه الأحاسيس، ولازلنا نحس بهذه الأحاسيس.. كان الهدف الخامس وإحنا كنا أفراد بين جيش هذا الوطن.. كان الهدف الخامس هو إقامة جيش وطني قوي، جيش للشعب، لأهداف الشعب، لحماية الشعب.. كان الهدف الخامس اللي إحنا كنا بنحس به وإحنا أفراد في الجيش، إقامة جيش وطني.. وطني أولاً، لا يعمل لفرد أو لأفراد أبدًا، يعمل لكم أنتم.. لأبناء هذا الشعب،

الجيش اللي هو بيمثلكم، واللي بيتكون منكم ومن أبنائكم ومن إخوانكم. كنا نشعر دائمًا إن إحنا عايزين نحقق هذا الحلم، عايزين نحقق لهذا البلد جيش وطني قوي.

واليوم - أيها الإخوة - نحمد الله أن قد تحقق هذا الأمل، وأصبح لمصر جيش وطني قوي، جيش للشعب، يشعر بالشعب.. بأهداف الشعب وآمال الشعب.

وكان الهدف السادس.. كان الهدف السادس من أهداف الثورة إقامة حياة ديمقراطية سليمة، ليه قلنا: حياة ديمقراطية سليمة؟ ما قلناش حياة ديمقراطية بس؟ إحنا كنا عايشين جميعًا تحت اسم الديمقراطية، وتحت اسم البرلمان والبرلمانية، ولكنا لم نكن نتمتع من الديمقراطية إلا باسمها، ولكن معناها وأصولها وجذورها كانت مفتقدة، كنا لا نحس بها ولا نشعر بها، وكنا نشعر أن هذه الديمقراطية ليست لنا، ولكنها علينا، من أجل فئة من الناس. فقدت الديمقراطية معناها، فقدت الديمقراطية روحها، فقدت الديمقراطية أسبابها، وتحت اسم الديمقراطية تحكم فينا.. تحكم فينا رجعيون مستغلون انتهازيون، تحكمت فينا فئات قليلة كانت تتاجر بالديمقراطية. وكان الشعب ينظر ويكتشف ويعرف ويعلم، ونحن - كشعب قاسينا طويلاً - نستطيع أن نعرف بسرعة، نستطيع أن نعرف الخديعة.. نعرف الخداع والتضليل، تحت اسم الديمقراطية - يا إخواني - قاسينا كثيرًا.

كانت الديمقراطية كفاح من أجل الحكم، وكفاح من أجل السيطرة، وكفاح من أجل الاستغلال، وكفاح من أجل الثراء، وكفاح من أجل السلطة والسلطان. ولهذا حينما كتبت هذه المبادئ قبل الثورة، كتبنا وكنا بهذا نعبر

عن إحساس هذا الشعب وعن آمال هذا الشعب. كتبنا الهدف السادس من أهداف هذه الثورة.. إقامة حياة ديمقراطية سليمة، حياة ديمقراطية نتلافى فيها ما فات، حياة ديمقراطية لا نكتفي منها بالبرلمانية ولا نكتفي منها بالاسم، ولكن حياة ديمقراطية من أجل أبناء هذا الشعب جميعًا.. من أجل الغالبية العظمى من أبناء هذا الشعب لا من أجل الأقلية، ولا من أجل المستغلين، ولا من أجل المستبدين.

كانت هذه هي أهدافنا، كانت هذه هي أهداف الشعب، واليوم نشعر أننا في سبيل تحقيق هذه الأهداف، في سبيل تحقيق الهدف السادس من هذه الثورة. إننا نسعى.. نسعى بعد هذه السنوات الأربعة إلى إقامة حياة ديمقراطية سليمة بين ربوع هذا الوطن. إننا بعد هذه السنوات الأربعة من الثورة التي كافحنا فيها، وكافح الشعب ولم يخدع ولم يضلل، كافح ضد التضليل وضد الخداع في هذه السنين الأربعة في سبيل إقامة حية ديمقراطية سليمة.

النهاردة يا إخواني.. النهاردة أما نبص لهذه الأهداف ونعيها نشوف إحنا حققنا إيه وإحنا عايزين إيه، إيه اللي احنا عايزينه؟ إيه اللي إحنا نطلبه؟ النهاردة كلنا نقدر ننسى الماضي.. ننسى الماضي بمآسيه، وعفا الله عما مضى، ننساه ونتجه إلى المستقبل زي ما قلت لكم.

أما قامت الثورة وكانت تمثل الطليعة.. الطليعة لهذا الشعب؛ لأنها كانت بتنادي بأماني هذا الشعب وبآمال هذا الشعب، كنا نشعر وكنت أشعر أن الطريق سيكون طريقًا سهلاً وإننا سنستطيع أن نسير، ستتكتل الكتل، سيتكتل الشعب بجميع هيئاته وأحزابه وأفراده وراء هذه الأهداف. ولكن - يا إخواني - أستطيع أن أقول لكم اليوم وقد انتهت فترة الانتقال.. أستطيع

أن أقول لكم إن هذه السنين الأربعة تساوي.. تساوي 40 سنة، الأربع سنين اللي فاتوا يساووا 40 سنة من الهدم، هدم المجتمع القديم اللي قام على الاستغلال وعلى الحزبية وعلى الطغيان وعلى الاستبداد، هدم الأنانية وهدم الفردية، هدم الانتهازية. الأربع سنين اللي فاتوا قابلنا فيها معارك، لم تكن هذه المعارك موجهة ضد جمال عبد الناصر، كانت موجهة ضدكم أنتم.. ضد أهداف هذا الشعب؛ الأهداف اللي أنا قلتها اللي هي بتعبر عن آمالكم، واللي هي بتعبر عن آلامكم، الأهداف اللي أنا كنت باحس بها وأنا بينكم قبل قيام هذه الثورة. كل المؤامرات اللي قامت ماكانتش موجهة إلى جمال عبد الناصر، جمال عبد الناصر لا يساوي شيء مطلقًا، ولكن كانت هذه المؤامرات موجهة إليكم.. إلى هذا الشعب وإلى آمال هذا الشعب.

ولهذا - يا إخواني - فنحن حينما قاومنا وحينما كافحنا وحينما قاتلنا في سبيل انتصار هذه المبادئ، كنا نكاح وكنا نقاتل وكنا نتكتل من أجلكم، ومن أجل المحافظة على مبادئكم، ومن أجل المحافظة على أهدافكم. كنا نقاتل وكنا نتكتل وكنا نحاب، كنا نحارب بشدة نحارب بعزم ونحارب بإيمان؛ من أجل المحافظة على هذه الأهداف الستة، من أجل انتصار هذه الأهداف الستة، من أجل هذا اليوم.. من أجل النهاردة.. من أجل 18 يونيو.. من أجل الجلاء، من أجل العزة ومن أجل الحرية، من أجل الكرامة، من أجل الاستقلال. المعارك اللي دخلتها الثورة من أول ما قامت في 23 يوليو سنة 52 كانت من أجل تحقيق هذه الآمال كلها، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف كلها.

كان هناك - أيها المواطنون - فئة من أبناء هذا الوطن، كان فيه ناس

بتتغلب عليهم الانفرادية، وناس بتتغلب عليهم المصلحة الخاصة، وناس بتتغلب عليهم المصلحة الذاتية، وناس بيبصوا إلى الماضي وبيفكروا في الثراء، ويفكروا في استغلال النفوذ، وكانت الثورة بتحاربهم وتقاومهم؛ لأنهم كانوا بيحاربوها، وكانوا بيعتبروا أنها ستحرمهم من استغلال النفوذ، حتحرمهم من السلطة، حتحرمهم من السلطان، حتحرمهم من الحاجات اللي اتعودوا عليها على مر السنين. كانوا بيعتبروا أن هذه الثورة ستخلص الشعب من فئة قليلة سيطرت عليه، وتسلم البلد بقوتها وثروتها إلى أبنائها الحقيقيين، إلى الشعب كله لا إلى فئة قليلة.

ولهذا دخلنا معارك طويلة، ودخلنا معارك مريرة، مش علشان أشخاص أبدًا ولا علشان أفراد؛ علشان مبادئ، علشان مثل عليا. مبادئ كنا بنحس بها قبل هذه الثورة، مثل عليا أنتم كنتم بتنادوا بها، مبادئ كنا بننادي بها سنة 30 زي ما قلت لكم وأنا في سنة تانية ثانوي، وسنة 36 وأنا لسه طالب في المدارس الثانوية. مبادئ كنت باشوف الناس بتقتل وهي بتنادي بها، مثل عليا كنت باشوف الناس بتقتل وهي بتنادي بها. دخلنا هذه المعارك خلال هذه السنين الأربع من أجل نصرة هذه المبادئ، ومن أجل نصرة هذه الأهداف، من أجل آلام هذا الشعب ومن أجل آمال هذا الشعب، دخلنا هذه المعارك طوال السنين الأربعة وكان هناك الرجعية والانتهازية والتضليل والخداع.

والنهارده - يا إخواني - وقد انتهت فترة الانتقال، النهارده بنترك الماضي ونتجه إلى المستقبل، بنترك الماضي بمآسيه، نترك الماضي بعبره، نترك الماضي خلف الظهور ونتجه إلى المستقبل لنعمل جميعًا متحدين، لنعمل جميعًا متكاتفين.

النهارده - يا إخواني - وإحنا بنشعر بالنصر وفرحة النصر نترك الماضي.. نترك كل شيء في الماضي، نتجه إلى المستقبل من أجل إقامة مجتمع تسوده الرفاهية. النهارده - يا إخواني - فيه ناس قاوموا هذه الثورة وكانوا بيقولوا: إنهم بيقاوموا جمال عبد الناصر. أنا ماكنتش أبدًا باحس أنهم بيقاوموا جمال عبد الناصر، كنت باحس أنهم بيقاوموا الأهداف والمثل العليا اللي احنا كنا بننادي بها على مر السنين. هؤلاء الناس اعتقل منهم من اعتقل، وزي أنا ما قلت لكم اعتقل منهم عدد حوالي 2000 أو 2900. النهاردة ما فيش ولا معتقل، خرجوا كلهم، وبنبدأ حياة جديدة، بنبدأ مرحلة جديدة من تاريخ وطنا، نبدأ مرحلة نشعر فيها بالحرية الحقيقية. المعارك اللي فاتت لو كانوا انتصروا فيها.. لو كانت انتصرت الرجعية أو انتصروا المضللين، فيه ناس كانوا مضللين وكانوا بيقاوموا هذه الثورة وهم مقتنعين أنهم بيخدموا وطنهم، مضللين تحت أسماء متعددة؛ باسم الدين، باسم الوطنية، باسم الحرية. أفرج عن جميع المعتقلين.

النهارده بنبدأ حياة جديدة وعفا الله عما فات.. عفا الله عما سلف، ننسى اللي فات، نبص للمستقبل. ولكن عايز أقول حاجة بسيطة بس.. عايز أقول حاجة واحدة: لو كانت الثورة خذلت في أي معركة من هذه المعارك يمكن ماكناش النهارده بنحتفل بهذا اليوم، يمكن ماكناش النهارده بنشعر بالحرية الحقيقية، ولهذا حينما قاومت الثورة.. وقاومت وقاتلت من أجل انتصار مبادئها، حينما كانت تقاوم من أجل تحقيق هذه المبادئ، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف. النهارده لازم نعرف إيه أهدافنا، إيه طريقنا؟ النهارده كوطن.. مواطنين.. إخوان في الوطن.. إخوان في الحرية، أول يوم بنسود

في بلدنا، لازم نعرف إيه طريقنا؟ إيه أهدافنا؟ إيه أغراضنا؟ إيه اللي احنا عايزينه؟ إحنا عايزين مجتمع تسوده الرفاهية، الدستور قال كده.. الدستور قال: عايزين مجتمع تسوده الرفاهية، هذا هو الغرض.. تسوده الرفاهية والعدالة والمساواة، مش رفاهية لفئة من الناس وعبودية لفئة من الناس، المجتمع جميعه تسوه الرفاهية. دا الهدف اللي احنا عايزين نسعى إليه، النهارده لازم نتكتل ونعمل من أجل تحقيق هذا الهدف.

النهارده - زي ما قلت لكم - حناخذ من الماضي عظة وعبرة علشان حاجة واحدة بس؛ عشان ما نخدعش، علشان ما نضللش، علشان باستمرار نفتكر، وعلشان باستمرار نكون على حذر. النهارده من أجل مجتمع تسوده الرفاهية وترفرف فيه العدالة بين الناس، ومن أجل فتح صفحة جديدة في تاريخ هذا الوطن، ومن أجل إعطاء الفرصة لكل مواطن، كل مواطن غرر به، كل مواطن خدع، كل مواطن ضلل، كل مواطن خان هذا الوطن وخان المثل العليا وعايز يكفر عن سيئاته وعايز يكفر عن الماضي، من أجل هذه الحياة الحرة المستقلة.. من أجل الحياة الشريفة اللي إحنا بدأناها من إمبارح تحت علم مصر بس، من أجل دا نتجه إلى المستقبل ونحن ننسى الماضي ومآسي الماضي وآلام الماضي، مافيش حساب على الماضي فيه حساب على المستقبل.

إحنا كشعب كريم.. شعب كريم، وأنا قلت لكم طبيعتنا حتخلينا ننسى الماضي، ولكن سنحاسب على المستقبل. وأنا بأقول لكم يجب أن يكون الحساب على المستقبل حساب عسير، الشعب هو اللي يحاسب حساب عسير، حساب مرير، الشعب لا يتهاون في حقوقه.. لا يتهاون أبدًا في حقوقه، الشعب اللي خدع واللي النهارده شعر بالحرية وتخلص من

الاحتلال، وتخلص من السيطرة المستبدة في الداخل والسيطرة المستغلة في الداخل، هو اللي لن يغفر في المستقبل، لن نغفر في المستقبل أبدًا أي خيانة لأعوان الاستعمار أو للرجعيين أو للمستبدين أو للمستغلين أو للانتهازيين. سنبدأ صفحة جديدة، وهناك فرصة لكل مواطن أن يكفر عما فات وأن يستغفر عما فات، هناك فرصة لكل فرد فرط في حقوق هذا البلد، فرط في المثل العليا، فرط في المبادئ، فرط فينا كشعب، فيه فرصة لكل واحد في هذا الوطن أن يكفر عما مضى، وأن يكفر عن سيئاته.

النهارده بنبدأ صفحة جديدة.. بنبدأ صفحة نشعر فيها بالحرية، بنبدأ صفحة بنشعر فيها بالعزة، بنبدأ صفحة نشعر فيها بالكرامة؛ وعلشان كده أنا قلت لكم إن إمبارح تم الإفراج عن جميع المعتقلين، أفرجنا عنهم، بطبيعة هذا الشعب أفرج عنهم، ولكن اللي أنا بدي أقوله إن إحنا برضه حنكون على حذر.. حنكون على حذر، حنأخذ من الماضي عظة وحنأخذ من الماضي عبرة.. حنأخذ من الماضي عظة وعبرة؛ حتى لا نخدع، وحتى لا يتآمر علينا أي فرد، حتى لا تتآمر الرجعية، ولا تتآمر الانتهازية، ولا يتآمر أعوان الاستعمار، ولا المستغلين، ولا المستبدين، ولا فئة قليلة من الناس تتآمر علشان تستخدمنا من أجل مصلحتها.

ومن أجل هذا أيضًا.. من أجل هذا المستقبل أعلن.. أعلن باسم هذا الشعب إنهاء الأحكام العرفية. الأحكام العرفية التي قامت من 3 سبتمبر سنة 39 من أول ما أعلنت الحرب العالمية التانية. إحنا بنتحكم بالأحكام العرفية، لم نحكم أبدًا بدون أحكام عرفية إلا لشهور قليلة. النهارده - يا إخواني - أقول لكم وأعلن باسم هذا الشعب ما فيش أحكام عرفية،

سنحكم باسم الدستور وبالقانون. من 3 سبتمبر.. من 3 سبتمبر سنة 39 أو بالأحرى طوال مدة دستور 23 إحنا بنحكم بالأحكام العرفية، ولم تكن الأحكام العرفية ضد أعداء الوطن أبدًا.. لم تستخدم ضد أعداء الوطن، كانت الأحكام العرفية تستخدم ضد المواطنين الوطنيين اللي بيطالبوا بحقوق هذا الشعب، واللي بيطالبوا بأهداف هذا الشعب، كانت الأحكام العرفية بتستخدم ضدنا؛ ضد أهدافنا وضد آمالنا وضد أمانينا.

استمر الشعب بعد 23 يحكم بالأحكام العرفية باستمرار، من يوم ما أعلنت الحرب العالمية التانية وإحنا كنا بالأحكام العرفية يمكن لغاية 46 أو 47، من 39 لغاية 46 أو 47، وبعد كده أحكام عرفية تاني علشان حرب فلسطين. وبعدين 3 أشهر أو 4 أشهر بدون أحكام عرفية، وبعدين أحكام عرفية تاني من يوم 26 يناير.

الثورة استخدمت الأحكام العرفية من أجل المحافظة على هذه الأهداف، ومن أجل المحافظة على المثل العليا، كانت الأحكام العرفية مش بتستخدم أبدًا ضد الوطنيين.. كانت تستخدم ضد الخونة أو ضد المضللين اللي كانوا عايزين يعملوا على تنتكس هذه الثورة، وعلى أن تنتكس أهداف هذه الثورة.

النهارده في عهد الحرية الجديد اللي بيرفرف فيه علم مصر بس بهلاله.. علم مصر الأخضر ونجومه، مافيش أحكام عرفية من النهارده، مصر تشعر بحرية حقيقية. كل اللي أطلبه من هذا الشعب أن إحنا باستمرار - يا إخواني - نكون على حذر، قلت لكم: ننسى الماضي، ولكن ما ننساش العبرة، ما ننساش العبرة علشان مانبقاش إحنا عبرة تاني في المستقبل. إحنا

كنا عبرة في الماضي، ننسى الماضي، مانساش العبر والعظات، نذكر، نذكر ونكون على حذر.

النهارده حتكون فيه حرية حقيقية.. حرية الصحافة. كانت دائمًا في هذا الوطن صحافة، يمكن حرية الصحافة اللي كانت بتمارس كانت وسيلة للحزازات وللأغراض. كانت بتستخدم الصحافة.. القصر كان بيستخدمها ضد الأحزاب، والأحزاب كانت بتستخدمها ضد القصر، والأحزاب كانت بتستخدمها ضد بعضيها. ماكانش فيه أبدًا حرية صحافة، كان فيه حزازات، وكان فيه أنانية، وكان فيه حقد ، وكان فيه كراهية، وكان كل واحد بيدور على نفسه، وكل واحد بيدور على الحكم، وكل واحد بيستغل حرية الصحافة علشان نفسه وعلشان يوصل إلى الحكم.

النهارده نعلن إنهاء الأحكام العرفية، وبهذا ستكون هناك حرية صحافة. كل اللي أطلبه باسمكم وباسم هذا الشعب أن حرية الصحافة تستخدم في سبيل المحافظة على السيادة.. سيادة هذا الشعب، وفي سبيل تحقيق أهداف هذا الشعب.. في سبيل تحقيق أهداف الثورة اللي إحنا نادينا بها. وزي ما قلت لكم في المدة اللي فاتت، الثورة ما انتهتش، هذه الثورة دائمة؛ لأن هذه الأهداف أهداف دائمة.

النهارده يجب أن توجه هذه الحرية لبناء مجتمع تسوده الرفاهية، هذا المجتمع لن يكون فيه مكان أبدًا لا للرجعيين أو الانتهازيين أو أعوان الاستعمار - أعوان الاستعمار بالذات - وهذا الشعب لن يرحم أي من أعوان الاستعمار. كل واحد هنا يعمل من أجل مصر ومصلحة مصر، من أجل لوطن ومن أجل هذه الأرض اللي إحنا عايشين فيها. أي واحد يعمل

من أجل الاستعمار.. أي واحد يعمل من أجل نصرة دولة أجنبية علينا وعلى حقنا في الحياة، أي واحد يعمل في هذا السبيل يكون خائن.. خائن للرسالة اللي إحنا بنطلب منه أنه يقوم بها وأنه يعمل من أجلها. أي واحد يعمل لإعادة الرجعية ولتثبيت الرجعية.. أي واحد من دول بيبقى خائن لهذا الوطن؛ لأنه بيبقى بينتكس أهدافنا، بيحارب أمانينا، بيحارب آمالنا، بيحارب الحاجات اللي كنا بنتمناها على مر السنين، واللي آباؤنا كانوا بيتمنوها على مر السنين، واللي أجدادنا كانوا بيتمنوها على مر السنين. لن يكون هناك مكان للرجعية أو للانتهازية أو لأعوان الاستعمار.

أنا قلت لكم - يا إخواني - في الكلمة اللي قلتها في أول الشهر إن الدستور بينظم الحكم، وقلت لكم أيضًا إن نظام الحكم مش غاية أبدًا، نظام الحكم وسيلة؛ وسيلة لتحقيق غاية، غايتنا تحقيق مجتمع تسوده الرفاهية، لا وجود فيه للرجعية أو الانتهازية أو أعوان الاستعمار.

على هذا الأساس - يا إخواني - وضع الدستور.. وضع الدستور بحيث يمنع استغلال الرجعية، واستغلال الانتهازية، واستغلال أعوان الاستعمار للحرية السياسية. إحنا ما تخلصناش من الماضي تخلص كامل، لا زالت هناك آثار للماضي، لا زالوا ناس يعتقدوا أن فيه قوى أجنبية ممكن تمكنهم وممكن تنفعهم زي ما كانت بتمكنهم زمان، وزي ما كانت تنفعهم زمان. لسه هذه الأفكار عالقة في نفس بعض الناس، وإحنا النهاردة بنظام الحكم اللي موجود بنحقق غاية بالدستور اللي حيعرض عليكم للاستفتاء في 23 يونيو، في هذا الدستور بنحقق فعلاً نظام لا يكون فيه مجال للرجعية أو للانتهازية أو لأعوان الاستعمار.

هذا الدستور - يا إخواني - حيمكن الأغلبية لأول مرة من أنها تسود، قد توجد فيه قيود، ولكن هذه القيود قيود ضد حرية السيطرة وحرية التحكم وحرية الاستغلال وحرية الاستبداد، حرية تحكم الأقلية الجشعة في الأغلبية الضعيفة، الحاجات اللي إحنا كنا بنشتكي منها تحت اسم الديمقراطية أو حرية العمل لدولة أجنبية، وضع الدستور بحيث يحقق مجتمع تسوده الرفاهية وتتقارب فيه الفوارق بين الطبقات، دا الدستور اللي وضع.

نظام الحكم لم يكن غاية أبدًا ولكنه وسيلة إلى غاية. هذا الدستور وضع ليحمي هذه الأهـداف.. الأهداف التي كافح الآباء من أجلها، والأهداف التي كافح الأجداد من أجلها، الأهداف الستة اللي أنا قلتها لكم. إحنا تمللي كنا بنشعر بالسيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة من الداخل بتتآمر علينا وعلى أهدافنا وعلى مقاديرنا وعلى أرزاقنا وعلى لقمة العيش، كنا بنشعر بالرق وبنشعر بالعبودية، النهاردة وإحنا بنضع الدستور - دستور 16 يناير - بنضع هذا الدستور اللي هو وسيلة لأن نشعر بالحرية الحقيقة، الدستور اللي هو يحقق لنا الغاية اللي هي إقامة مجتمع تسوده الرفاهية، وتتقارب فيه الفوارق بين الطبقات وبين الناس.

الدستور- يا إخواني - قال في المقدمة: إنه بينظم الجهاد ويصونه، يصونه ضد السيطرة المعتدية من الخارج وضد السيطرة المستغلة من الداخل، ويرسم معالم الطريق إلى مستقبل يبني فيه الشعب بعمله الإيجابي وبكل طاقاته وإمكانياته مجتمع تسوده الرفاهية. الدستور منع تكتل الرجعية والانتهازية في أحزاب تتعاون مع الاستعمار وتعمل من أجل مصالحه. وزي ما أحنا عارفين أن الرجعية مستعدة تبيع البلد وأهل البلد وكل حاجة

في البلد من أجل مصالحها.

الدستور وضع حتى يمكن التخلص من الرجعية ومن آثار الرجعية ومن الانتهازية ومن الاستغلال ومن آثار الاستغلال. الدستور وضع حتى يمكن أن نحطم المجتمع الرجعي اللي إحنا عشنا فيه وقاسينا منه، أو المجتمع اللي فيه بعض الناس وبعض الأفراد ولاؤهم مقسم؛ مقسم بين مصر وبين دولة أجنبية، أو ولاؤهم كله معطى لدولة أجنبية.

هذا الدستور وضع لنحطم الماضي وآثار الماضي، ونحطم أسس المجتمع اللي اتوضعت طوال مدة الاستعمار التركي والاستعمار الإنجليزي، وقبل الاستعمار التركي. إحنا بقي لنا سنين طويلة نئن من حكم الأجنبي ونئن من حكم المستغل، النهاردة عايزين نحطم هذا المجتمع الانتهازي، عايزين نحطم هذا المجتمع الاستغلالي، وعايزين نقيم مجتمع يشعر فيه الفرد بالرفاهية، نقيم مجتمع نشعر فيه بالحرية ونشعر فيه بالعدالة ونشعر فيه بالمساواة.

النهارده - يا إخواني - الدستور دا وضع للإستفتاء في يوم 23 يوليو، عايزين نفهم إيه الغاية من وضعه، وحينما نتوجه.. توجه كل فرد من أبناء هذا الوطن علشان يصوت ويقول رأيه في الدستور يعرف ليه الدستور وضع، الدستور وسيلة لتحمينا من الاحتكار، تحمينا من الاستغلال.

مع الدستور فيه قوانين مكملة للدستور، إحنا قاسينا.. قاسينا باستمرار من استغلال النفوذ، قاسينا من المتاجرة في رخص الاستيراد والتصدير وشراء أرض الحكومة وأموال الحكومة، كلنا نعلم هذا الكلام.

قبل ما تدوا صوتكم على الدستور أعلن قانون محاكمة رئيس الجمهورية والوزراء وعمل الحكم فيه. هذا القانون بيحمي الدستور.. بيحمي نظام

الجمهورية اللي حققته الثورة، وبيعتبر بالنسبة لرئيس الجمهورية والوزراء أن أي خيانة عظمى وعم ولاء للنظام الجمهوري حكمه الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة. أنتم اللي مسئولين إنكم تراقبوا، هذا الشعب اللي خدع في الماضي زي إحنا ما اتخدعنا في الماضي، وكنا بنحس وكنا بنشعر.. كنا بندي فرص وكنا كشعب طيب نتقرص مرة ومرتين، إحنا بعد كده - زي ما قلت لكم في الأول - لازم نحاسب حساب عسير. قانون محاكمة الوزراء بيدي الأشغال الشاقة المؤبدة على استغلال النفوذ أو الثراء أو استخدام المنصب للحصول على فائدة. هذا القانون يجب أن ينفذ، هذا القانون أعلن، القانون دا - يا إخواني - دستور 23 أتكلم عليه، ولغاية ما قامت الثورة ماكانش هذا القانون اتوضع، كان باستمرار فيه معارضة لوضع هذا القانون، ولو إنه وضع في دستور 23، وقالوا: إن فيه قانون هيطلع، لكن لغاية سنة 52 ماطلعش هذا القانون؛ لأن كان فيه هناك تصميم وسبق إصرار على الإثراء، وعلى استخدام النفوذ، وعلى استخدام السلطة، وعلى استخدام هذا الشعب واستغلاله.

النهارده الثورة قبل ما تنهي فترة الانتقال بتضع هذا الدستور علشان الشعب يحاكم، وهذه المحاكم يجب أن لا نتراجع فيها إذا كان هناك اتهام. إذا اتهمنا رئيس الجمهورية.. إذا خان رئيس الجمهورية يجب أن يحاكم، إذا خان وزير من الوزراء؛ خان الأمانة اللي تحملها أو خان الرسالة اللي تحملها يجب أن يحاكم وزي ما قلت - لكن من مدة بسيطة دلوقت وأنا باتكلم معاكم - إحنا بعد كده لن نغفر أبدًا، إحنا كشعب.. هذا الشعب لن يغفر أبدًا لواحد يضلله أو واحد يخدعه، أو واحد يخون الأمانة أو واحد يخون الرسالة.

دا - يا إخواني - هو نظام الحكم اللي إحنا بنتجه إليه، دا نظام الحكم اللي إحنا حنروح نستفتي عليه يوم 23 يوليو، دا دستور 16 يناير. النهارده - وزي ما قلت لكم - إحنا من أول يوم برضه كنا بنطالب بمجتمع تسوده الرفاهية وتتقارب فيه الفوارق بين الطبقات. اتكلمت معاكم في حديثي الماضي أول يونية في المؤتمر التعاوني وقلت لكم إيه اللي اتحقق في الميدان الصناعي، إيه اللي اتحقق في الميدان التجاري، إيه اللي اتحقق في الميادين الأخرى، ما اتكلمتش معاكم إيه اللي اتحقق بالنسبة للقضاء على الإقطاع.

النهارده أحب أقول لكم إزاي عملنا على تقريب الفوارق بين الطبقات. قبل الثورة - قبل قانون الإصلاح الزراعي - كان فيه 1786 فرد، 1786 بيملكوا ٪20 من الأرض، بيملكوا خمس الأرض.. يعني أكثر من مليون فدان، وكان فيه 2 مليون و641 ألف بيملكوا ٪35. النهارده بعد تطبيق قانون الإصلاح الزراعي الـ 1700 بيملكوا خمسة و٪9 بس بيملكوا 353 ألف فدان. دا اللي حصل النهارده.. اللي كانوا بيملكوا في الأول أكثر من مليون أو مليون ونص، النهارده بيملكوا 353 بواسطة قانون الإصلاح الزراعي. الاتنين مليون و641 ألف اللي كانوا بيملكوا ٪35، النهارده زاد عددهم وزادت النسبة، اللي كانوا بيملكوا أقل من 5 فدادين بيملكوا النهاردة ٪49.3 من الأرض المنزرعة. النهارده بنعمل على إقامة مجتمع تسوده الرفاهية فعلاً وتتقارب فيه الفوارق بين الطبقات.

قبل الإصلاح الزراعي كان اللي بيملك أقل من 5 فدادين: 2 مليون 600 ألف؛ كانوا بيملكوا ٪35.5 من الأرض. النهارده فيه 2 مليون 900 ألف بيملكوا ٪49.3 من الأرض.اللي كانوا بيمكلوا من خمس إلى عشر فدادين

كانوا 79 ألف، كانوا بيمثلوا ٪8.8 ، موجودين النهارده زي ما هم. من 10 إلى 50 فدان كانوا 69 ألف، بيملكوا ٪21. اللي بيملك من 50 فدان إلى 100 فدان كانوا ستة آلاف، يمثلوا حوالي ٪7.2. من 100 فدان إلى 200 فدان كانوا 3 آلاف، بيملكوا حوالي ٪7.3. اللي كانوا 200 فدان وأكثر كانوا 1700، كانوا بيملكوا مليون و176 ألف فدان؛ ٪20 من الأرض، النهارده بعد تحديد الملكية بيملكوا 353 ألف فدان أي ٪5.9 من الأرض الموجودة.

النهارده - يا إخواني - ماشيين.. النهارده إحنا ماشيين بنبني مجتمع جديد، مجتمع كنا بنحلم به دائمًا، مجتمع تسوده الرفاهية وكل فرد فيه بيشعر أن البلد بلده، وإنه فعلاً في هذه البلد عنده فرصة متساوية وفرصة متكافئة، وإن البلد مش ملك فئة قليلة من الناس وهو بس بيشتغل فيها عبد أو رق أو بيشتغل علشان يقضي حياته وكتب عليه هذا.

النهارده احنا قدامنا رسالة كبيرة جدًا، دا عملنا في المستقبل، دي مرحلة الكفاح الجديدة، دي مرحلة الكفاح اللي عايزه عمل؛ عمل متواصل، وعايزه جهد، وعايزه تكاتف، وعايزه تآزر، وعايزه نفهم؛ نفهم احنا عايزين إيه، واحنا رايحين فين، وإلى أي غرض نهدف، وإلى أي غرض نسعى. احنا لنا مطالب كتيرة ولنا أماني كثيرة، ولن يمكن - يا إخواني - أن تحقق هذه المطالب ولن يمكن أن تحقق هذه الأماني إلا إذا عملنا واجتهدنا وزودنا ثروة البلد وزودنا دخل البلد.

زي ما قلت لكم الأول إن من أحد مبادئ الورة إقامة عدالة اجتماعية، وأنتم عارفين كنا باستمرار بنقول عايزين نخلص البلد من الاستبداد السياسي، ونخلص البلد من الظلم الاجتماعي. النهارده بعدما خلصنا

البلد من الاستبداد السياسي، من الرجعية والانتهازية وأعوان الاستعمار لازم نعمل حتى نخلص البلد من الظلم الاجتماعي ونقيم عدالة اجتماعية. علشان نخلص البلد منم الظلم الاجتماعي ونقيم عدالة اجتماعية يجب أن نكتل جميع قوى الإنتاج.. جميع قوى الإنتاج في هذا الوطن يجب أن تتكتل؛ تتكتل متخلصة من سيطرة الاحتكار؛ لتعمل من أجل هذا الوطن ومن أجل مصلحة هذا الوطن، متخلصة من سيطرة الرأسمالية الفاسدة؛ لتعمل من أجل هذا الوطن، ومن أجل مصلحة هذا الوطن، ومن أجل أهداف هذا الوطن.

بعدما نحرر القوى الإنتاجية حنستطيع فعلاً أن ننتج وأن نعمل وأن نحقق العدالة الاجتماعية. دا يستدعى مننا إن أحنا ننشئ صنعة قوية حديثة، بجوار الزراعة الحديثة، وبجوار المواصلات الحديثة، وبجوار الجيش الوطني القوي اللي يحمينا وإحنا بنبني، واحنا بنعمل، واحنا بنشتغل.

الصناعة هي الأساس - يا إخواني - لرفع مستوى المجتمع لازم نعمل على التصنيع. الزراعة يجب أن نزيد إنتاجها ويجب أن نعمل على توسيع الرقعة الزراعية. التجارة يجب أن نخلصها من الاحتكار وتكون على أساس تعاوني.

الدستور بين وقال: إيه المقومات الأساسية للمجتمع، الدستور قال: «إن المقومات الأساسية للمجتمع التضامن الاجتماعي هو أساس المجتمع المصري»، وبعدين قال: «إن الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية»، وبعدين قال: «تكفل الدولة الحرية والأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المصريين»، بعدين قال: «ينظم الاقتصاد القومي وفقًا لخطط مرسومة تراعي فيها مبادئ العدالة الاجتماعية وتهدف

إلى تنمية الإنتاج ورفع مستوى المعيشة».

«النشاط الاقتصادي الخاص حر، على ألا يضر بمصلحة المجتمع أو يخل بأمن الناس أو يعتدي على حريتهم أو كرامتهم.

يستخدم رأس المال في خدمة الاقتصاد القومي، ولا يجوز أن يتعارض في طرق استخدامه مع الخير العام للشعب.

يكفل القانون التوافق بين النشاط الاقتصادي العام والنشاط الاقتصادي الخاص، تحقيقًا للأهداف الاجتماعية ورخاء الشعب.

الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون أداء وظيفتها الاجتماعية.

يعين القانون الحد الأقصى للملكية الزراعية بما لا يسمح بقيام الإقطاع.

يحدد القانون وسائل حماية الملكية الزراعية الصغيرة.

تشجع الدولة الادخار، وتشرف على تنظيم الائتمان، وتيسر استغلال الادخار الشعبي.

تشجع الدولة التعاون، وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها، وينظم القانون الأحكام الخاصة بالجمعيات التعاونية».

دا المجتمع الاقتصادي اللي احنا عايزين نعمله من أجل جميع أبناء هذا الوطن، لا من أجل فئة معينة أو من أجل فئة محددة.

النهارده - يا إخواني - وإحنا بنتنسم عبير الحرية، واحنا في فجر الحرية نقول للعالم: احنا إيه وعايزين إيه. احنا زي ما قلنا بنقول: انتهت مرحلة كفاح وبدأت مرحلة كفاح من أجل البناء والإنتاج والعمل. ونعلن للدنيا كلها.. للعالم كله، أن احنا حنحافظ على استقلالنا لآخر قطرة في

دمائنا.. حنحافظ على هذا الاستقلال لآخر نقطة دم فينا. احنا سياستنا واضحة صريحة، احنا حنعمل كل ما نستطيع حتى نؤمن أنفسنا ضد العدوان الخارجي بتقوية جيشنا وقوتنا المسلحة علشان نؤمن أنفسنا ضد العدوان الخارجي، حنحافظ على استقلالنا، ونؤمن أنفسنا ضد العدوان الخارجي.

بعد كده لازم نبني بلدنا بأي وسيلة من الوسائل وبأي طريقة من الطرق، لازم نعبئ قوى الإنتاج، ونعمل ونتعاون مع من يريد أن يتعاون معنا، ونتفق مع اللي عايز يتفق معانا. اللي مستعد يعاوننا في بناء بلدنا حنتفق معاه علشان نبني هذه البلد، اللي مستعد يساعدنا علشان هذه البلد تبني، تصنع وتتقدم أهلاً وسهلاً، احنا مستعدين نسير في هذا الطريق، دا كلام صريح.

بيقولوا علينا: لنا أطماع استعمارية، ولا مالناش أطماع استعمارية، ولا عايزين لنا نفوذ أبدًا، كل اللي عايزينه عايزين استقلالنا وحريتنا، تحرير قوميتنا، تحرير بلدنا، ونبني بعد كده في بلدنا، عايزين نوجه كل جهودنا إلى البناء وإلى العمل.

احنا في يوم 23 يونيو حنتوجه للاستفتاء على الدستور وعلى رئاسة الجمهورية، كل واحد فيكم حيقول رأيه، كل واحد فيكم من أبناء هذا الوطن حيقول رأيه في الدستور، وحيقول رأيه في رئاسة الجمهورية؛ بحرية كاملة، بسرية كاملة. كل واحد هياخذ ورقة ويدخل في أوضة ويعلم علامة، ماحدش هيعرف قال أيوه واللا لأ.

كل واحد هيكون حر في التعبير عن إرادته والتعبير عن ضميره، حيتقال لكم سؤال اللي حتجاوبوا عليه: إيه رأيكم في هذا الدستور؟ نظام الحكم اللي وضع في دستور 16 يناير، نظام الحكم اللي شرحته لكم

النهارده، واللي قلته لكم إنه وسيلة وليس غاية إلى إقامة مجتمع ترفرف عليه الرفاهية. وحتسألوا سؤال ثاني: إيه رأيكم في جمال عبد الناصر كرئيس للجمهورية؟ (هتاف من الجماهير.. عاش جمال.. عاش جمال)..

أنا بدي عايز أقول كلمة بسيطة قبل كل واحد فيكم ما يروح ويجاوب على هذا السؤال: جمال عبد الناصر في يوم من الأيام قال لهذا الشعب.. قال لكم كإخوة: إن أنا لن أخدعكم أبدًا ولن أضلل في المستقبل.. جمال عبد الناصر باستمرار لن يخدع ولن يضلل. لن يمكن أبدًا - يا إخواني - إني حاعمل على إرضاء فئة من الناس على سبيل المصلحة العامة.. مش ممكن، مهما كانت الوسائل ومهما كانت الطرق، ويمكن مهما كانت المكاسب الشخصية، لن أعمل مطلقًا على إرضاء أي فئة من الناس أو أي هيئة أو أي جماعة على حساب مصلحة هذا الوطن.

كل اللي هنعمله - زي الأربع سنين اللي فاتت - تمسك بالمبادئ، تمسك بالمثل العلي. وأنا باستمرار - يا إخواني - طوال الأربع سنين اللي فاتت كنت باقول ان أنا سأتمسك بالمبادئ وبالمثل العليا وحاعمل من أجلها؛ المبادئ اللي آمنت بها من زمان، من أيام ما كنا بنطلع مظاهرات في ميدان المنشية وميدان قصر النيل وشارع قصر النيل، من أيام الشباب وأيام الطفولة، هذه المبادئ لا يمكن أن أحيد عنها مطلقًا بأي وسيلة من الوسائل، وبأي طريقة من الطرق. قد يغضب بعض الناس، ولكن أنا لازم أتجه إلى المبادئ وأتجه إلى المثل العليا، وأتجه إلى الهدف الأكبر اللي أنا أسعى إليه؛ إقامة مجتمع.. مجتمع يشملنا جميعًا من أجل أبنائنا ومن أجل مستقبلا، ومن أجل تثبيت استقلالنا.

ولهذا فأنا باقول النهارده ويأتكلم بكل صراحة لن أرضي الفئات، لن أرضي هيئات أبدًا على حساب هذا الوطن مهما كانت الوسائل، وسأحافظ على هذه المبادئ وسأحافظ على هذه المثل العليا، ولن أحيد عنها - بأي وسيلة من الوسائل أو بأي طريقة من الطرق - لآخر قطرة في دمي، ولآخر عرق بينبض في حياتي؛ لأن يعني كنا زمان كانوا بيرشوا الهيئات وبيغدقوا على الطوائف، ويرضوا فئات من الناس على حساب الجماعة، الكلام دا لن يمكن إنه يطبق.

يا إخواني:

أنا برضه بدي نفهم هذا الكلام ونعقله ونحس به، ونعرف أي نوع من المجتمع حنعيشه، وأي نوع من أنواع المجتمع كنا عايشين فيه. باقول أن أنا لن أرضى هيئة على حساب المصلحة العامة، ولن أرضى طائفة على حساب المصلحة العامة. كان زمان يرشوا الجماعة دول علشان يسكتوا، ويغدقوا على الجماعة دول علشان يؤيدوا؛ ولكني لن أعمل إلا للمجتمع كمجتمع، للوطن ككل، لا لفئة ولا لجماعة، مجتمع كله كمجتمع، الوطن كله بجميع أبنائه؛ أبنائه الأقوياء وأبنائه الضعفاء، بل يمكن أنا حكون باعمل لأبنائه الضعفاء قبل ما أعمل لأبنائه الأقوياء، أبنائه اللي حرموا قبل كده على مر السنين وعلى مر الأيام.

دي - يا إخواني - المثل اللي أنا باؤمن بها، واللي لا يمكن أن أنا أحيد عنها ولو على رقبتي أو على حياتي، على دمي. دي مثل باؤمن بها من سنين طويلة، وباعتبر أنها انعكاس لأحاسيسكم. احنا كمجتمع بقى.. كمجتمع جديد يجب أن نعاون ويجب أن نتكاتف، إن اللي حصل ما يحصلش، مش الطايفة اللي تشعر بالقوة تنتهز هذه القوة علشان تستغل أو علشان تستفيد..

أبدًا، كل فائدة لازم تعود على الوطن ككل، كل فايدة لازم تعود على الجماعة ككل. دي المبادئ اللي أنا باؤمن بها، قد تغضب بعض الناس؛ الناس اللي لا زالت آثار المجتمع الماضي، آثار السنين الطويلة الماضية، لا زالت هذه الآثار عالقة بتفكيرها أو بنفسيتها أو بقلوبها. ولكن دا سبيلنا، دا مبدؤنا، دا طريقنا سنسير فيه، سنعمل من أجل تحقيق أهداف هذه الثورة.

بعد كده - يا إخواني - فاضل حاجة.. احنا بنتكلم على إقامة عدالة اجتماعية، القضاء على الظلم السياسي والقضاء على الظلم الاجتماعي، إذا كنا عايزين نقضي على الظلم الاجتماعي ونقيم عدالة اجتماعية، ونقيم مجتمع تسوده الرفاهية، ونقيم مجتمع تتقارب فيه الفوارق ين الطبقات، ونقيم مجتمع كل فرد من أبنائه يشعر بالسعادة ويشعر بالحرية، ونحقق الأماني ونحقق المطالب؛ لازم نعمل.. لازم نعمل جميعًا على مضنى، عمل شاق للتصنيع وللزراعة وللإنتاج، ماحدش يتضجر لأنه بيعمل. بدون عمل يا إخواني مش هنقدر أبداً نبنى بلدنا، سبيلنا.. سبيلي باقول لكم قبل 23 يوليه تجنيد هذه البلد جميعها إلى العمل وإلى البناء وإلى حشد جميع القوى الإنتاجية علشان حاجتين:

بنعوض السنين اللي فاتتنا، ونعوض السنين اللي احنا ماشين فيها؛ احنا لازم نمشي بسرعتين؛ سرعة السنين اللي فاتتنا وكنا فيها بنشعر بذل الاستبداد والاستعباد والسيطرة الأجنبية، ولازم نحصل العالم ولازم نسير مع العالم جنباً إلى جنب. دا يستدعي من الـ 23 مليون انهم يعملوا ويعملوا ويعملوا، ومافيش واحد أبداً يضج أو يشعر بالضجر من العمل، عايزين نشتغل ونعمل علشان نبني هذا الوطن وعلشان نحقق هذه الأهداف.

إذا ما عملناش، إذا ابتدينا نتداعى ونتجه إلى الكسل وما نشتغلش؛ يبقى المبدأ الرابع اللي هو بيقول: إقامة عدالة اجتماعية لن يتحقق أبداً. مهما عملت أنا لوحدي مش حاقدر أبداً ولو يعني أعطيت كل القوى اللي أقدر، ما اقدرش أحققها. اللي يحقق هذا المبدأ إقامة عدالة اجتماعية انتم.. الشعب.. الفلاحين، العمال، الموظفين، التجار، أصحاب رأس المال، كل فرد من أبناء هذا الوطن إذا حط هذا الهدف نصب عينه نقدر نحققه، أنا لوحدي مش حاقدر أبداً أحقق هذا الهدف.

دا يا إخواني سبيلنا في المستقبل، وهذا ما أقصده حينما قلت لكم لقد انتهت مرحلة من مراحل الكفاح وبدأت مرحلة أخرى من مراحل الكفاح؛ بدأت مرحلة أخرى من أجل إقامة عدالة اجتماعية، من أجل البناء، من أجل العمل، من أجل التصنيع، من أجل زيادة الرقعة الزراعية، من أجل الإنتاج، من أجل إقامة مجتمع تسوده الرفاهية وتتقارب فيه الفوارق بين الطبقات.

دي مرحلة كفاحنا الجاية لازم نعرفها ونعرفها كويس، كل واحد يعرفها ويعرف ان احنا خلصنا من السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة من الداخل، خلص الكلام دا انتهى، وبعدين حنتجه إلى إيه؟ هل حققنا المنى؟ هل حققنا النصر؟ هل حققنا كل ما نريد؟ أبداً.. احنا لسه في أول الطريق.. الطريق اللي مرحلة الكفاح اللي انتهت انتهت، قدامنا مرحلة كفاح شاقة، مرحلة كفاح طويلة، مرحلة كفاح تحتاج إلى عمل كل فرد منا، مرحلة كفاح تنتهي بحياة كل واحد منا؛ هذه المرحلة مالهاش نهاية أبداً؛ لأنها مرحلة مستديمة مستمرة متصلة؛ لأن احنا باستمرار زي ما قلت لكم لنا مطالب ولنا أماني ولنا تبعات، ولنا أحلام عايزين نشوفها وعايزين نحققها.

ولهذا يا إخواني فمرحلة الكفاح الجديدة التي بدأت اليوم بعد أن هبت نسائم الحرية وبعد أن حققنا النصر وبعد أن حققنا الاستقلال؛ مرحلة مستمرة متصلة متواصلة لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة، ولا تنتهي إلا بانتهاء العمر.

دي مرحلة الكفاح إذا أردنا أن نبني وطن نعتز به ونفخر به. احنا كانوا باستمرار بيطمعوا فينا في الخارج، احنا عندنا موقع هام كانت كل الدول بتطمع فيه وكل الدول بتحب انها تسيطر علينا. احنا النهارده إذا كنا عايزين نثبت الاستقلال وندعم هذا الاستقلال لازم نبني، ولازم نعمل، ولازم نصنع، وهذا يا إخواني هو هدفنا. دا الكلام اللي أنا عايز أقوله لكم، عايز أقول ان احنا لا يأخذنا النصر ولا يأخذنا الفرح ونفتكر ان احنا حققنا كل حاجة، إذا كنا عايزين نحقق الاستقلال ونعمل من بلدنا بلد نعتز به لازم نعمل، نزيد ثروته، نزيد دخله، نزيد إنتاجه، وبهذا نستطيع أن نقول: إننا نحقق عدالة اجتماعية أو نعمل على تحقيق عدالة اجتماعية.

الوطن يا إخواني ما يبقاش قوى بفئة قليلة من أبنائه، الوطن يكون قوى بقوة جميع أبنائه. أما تبقى فيه فئة صغيرة هي اللي بتشعر بالرفاهية وتسود لها الرفاهية، وبعدين الغالبية العظمى من أبناء الوطن بتشعر بالظلم الاجتماعي، ما نقدرش نقول ان احنا أقوياء، قوة البلد بقوة جميع أبنائها، قوة الوطن بقوة جميع أفراده. وإذن ان احنا نتجه إلى المستقبل من أجل كل فرد من أبناء هذا الوطن، من أجل قوة مصر اللي بتتمثل في قوة كل فرد من أبناء مصر، دا سبيلنا.. دا هدفنا.. دا طريقنا.. دا غايتنا اللي احنا بنتجه إليها.

أيها الإخوة.. أيها المواطنون:

في سبيل المحافظة على استقلالنا، وفي سبيل تأمين حدودنا، وفي سبيل بناء وطننا، في سبلي التلات نقط اللي أنا قلتها دي والتلات أسس؛

علاقتنا الخارجية تبنى بكل وضوح وبكل صراحة؛ عايزين نحافظ على استقلالنا، نحمي حدودنا، ونحافظ على حريتنا، ونبني جيشنا، ونبني بلدنا. تلات أسس.. تلات مبادئ على أساسها بتقوم سياستنا الخارجية. زي ما قلت لكم في الماضي: ان احنا نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا، دا مبدؤنا. حاجة طبيعية اللي بيسالمنا نسالمه، اللي بيعادينا نعاديه، احنا عايزين السلام، عايزين نعيش في سلام بعيد عن المؤامرات الدولية، احنا عايزين نعيش مستقلين، واحنا قلنا وأكرر النهارده باسم هذا الشعب ان احنا لن نقبل أن نكون منطقة نفوذ لأحد، لن نقبل مطلقاً ان احنا نكون منطقة نفوذ لأحد، لن نقبل مطلقاً ان احنا نأخذ أوامر من الخارج، كل سياستنا تنبعث من مصلحتنا، من ضميرنا، من نفسنا، من أرضنا.. من مصر مش من أي دولة أجنبية؛ دي العوامل اللي احنا بنمشي عليها، لن نقبل أبداً إن سياستنا تكون من أي مكان.

النهارده الاحتلال انتهى وبدأنا مرحلة جديدة في تاريخنا، مرحلة تخلصنا فيها من العقد النفسية، بنعلن هذا الكلام للعالم أجمع ونعلنه بالذات للدول الكبرى؛ نعلنه لأمريكا، لروسيا، لإنجلترا، لجميع الدول، دي أهدافنا، سياستنا الخارجية مبنية على هذا الأساس، مبنية على هذا السبيل.

في سبيل هذا.. في سبيل المحافظة على استقلالنا، المحافظة على حدودنا، وتأمين نفسنا ضد العدوان، بناء وطننا، نستعد أن نكون على علاقة طيبة مع الجميع، نتعاون مع الجميع على ألا يكون هذا على حساب قوميتنا أو على حساب عروبتنا أو على حساب أي من الدول العربية، دا كلام واضح وكلام كويس.

النهارده سياستنا واضحة كل الوضوح بالنسبة لعلاقتنا الخارجية، بالنسبة لإنجلترا، وفت إنجلترا بتعهداتها اللي تعهدت بها في اتفاقية الجلاء، كان لها 80 ألف عسكري في منطقة القنال خرجوا جميعاً. بالنسبة لإنجلترا، احنا ليس لنا أي أغراض عدوانية بالنسبة لهم أبداً، بالعكس.. احنا عايزين نصادق الجميع ونتعاون مع الجميع، ولكن سنعادي من يعادينا ونسالم من يسالمنا، دا مبدؤنا.. اللي عايز يسالمنا حنسالمه، اللي عايز يعادينا حنعاديه.

النهارده الوقت اختلف عن زمان، كلام أحب اقوله كلمة للصحافة البريطانية بالذات إنهم يفوقوا ويعرفوا إن النهارده غير زمان، واقول النهارده غير الأول، دا أنا باقول النهارده للصحافة صحافة بريطانيا وصحافة لندن الطريقة اللي كانوا بيتكلموا بها زمان وبيعتبروا انها تقض مضاجعنا وتهز أعصابنا، ما بقيناش النهارده أبداً نحس بها. لازم يفهموا ان الأحوال تغيرت وان السنين تغيرت وإن الظروف تغيرت، وإن القومية والاستقلال والحرية تطغى.. تطغى على العالم، الاستعمار ليس له بقاء، مصير الشعوب إلى الحرية.

حينما أقول ان احنا بنبص لإنجلترا بعد أن أوفت بتعهداتها، وبنقولها ان احنا ليس لنا نوايا عدوانية برغم ما فات وبرغم ما مضى، باقول هذا وأنا أعبر عن طبيعة هذا الشعب.. الشعب الكريم، الشعب العزيز، الشعب الأبى؛ طبيعتنا ان احنا ناس كرماء.. كرماء، وأنا باقول هذا الكلام بدل ما كنت أقف وأتكلم عن الاحتلال وأشتم، باقول هذا الكلام النهارده سنسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا، واللي حيمد لنا إيده حنتعاون معاه، مافيش

فرق.. ليس هناك فرق بين دولة من الدول. روسيا مدت لنا إيدها حنتعاون معاها، أمريكا مدت لنا إيدها هنتعاون معاها، إنجلترا مدت لنا إيدها هنتعاون معاها، من يعادينا سنعاديه.

دا سبيلنا، سياستنا واضحة كل الوضوح، ليس لنا أطماع.. ليس لنا أي غرض، ليس لنا إلا هدف واحد هو أن نحرر قوميتنا، هو أن نربط بين عروبتنا. وأنا يا إخواني زي ما قلت لكم ان أنا ممكن أتعاون مع أي دولة، ولكن مش على حساب قوميتنا ولا على حساب عروبتنا، كل ما نهدف إليه أن تستقل جميع الدول العربية أنا سعيد النهارده وتتحقق لها العزة، وتتحقق لها الكرامة.

النهارده يا إخواني ولأول مرة واحنا بنعمل اجتماع هنا في القاهرة بيتواجد بيننا ممثلين لجميع الدول العربية كنا بنشوفهم دائماً وبنعتز بهم، ويتواجد أيضاً النهارده لأول مرة ممثل لمراكش المستقلة ولي عهد مراكش، وممثل لتونس المستقلة هو نائب رئيس وزارة تونس، زدنا والحمد لله، ربنا وفقنا والحمد لله، وأرجو يا إخواني الاجتماع القادم في هذا المكان أن يكون هناك ممثل للجزائر المستقلة العربية.

احنا يا إخواني دا كل ما نرجوه، كل ما نتمناه أن ندعم قوميتنا وأن ندعم عروبتنا، كل ما نرجوه للقومية العربية من مراكش إلى بغداد أن تتمتع بالعزة وبالحرية وبالكرامة، كل ما نرجوه لهذه الدول ان احنا نمد لها إيدنا هي تمد لنا إيدها.. يد الأخ إلى أخيه.. يد الأخ اللي بيشعر بشعور الأخ، هذا كل ما نطلبه، هذا كل ما نبغيه. مستعدين نتعاون مع جميع دول العالم، ولكن مش على حساب قوميتنا ولا على حساب عروبتنا، ولا على حساب أي دولة من شقيقاتنا الدول العربية.

دا يا إخواني سبيلنا إلى القوة وسبيلنا إلى العزة، أسباب ضعفنا في الماضي لازم نقلبها لكي تكون لنا أسباب قوة، قوتنا تتمثل في قوميتنا، قوتنا تتمثل في عروبتنا، قوتنا تتمثل في تكاتفنا وتآزرنا. النهارده وقد ضاع واحتلت قطعة عزيزة من أرض الوطن؛ احتلت فلسطين، هذا المصير ممكن ان احنا نلاقيه كلنا إذا لم نعيد التفكير ونعوض ما فات.

النهارده لازم نقوى لكي نتحرر، لكي نحرر أرض العروبة كلها من مراكش إلى بغداد لكي تكون أرض العرب للعرب لا للمحتلين ولا للمستغلين، لكي لا يتكرر ما حدث في فلسطين، ولكي نستطيع أن نعيد إلى شعب فلسطين حقه في الحرية وحقه في الحياة، دا يا إخواني سبيلنا إلى المستقبل.

أيها الإخوة:

تركنا الماضي وراء الظهور.. نسينا الماضي، بنتجه إلى المستقبل، لازم نعرف إيه هو طريقنا في المستقبل؛ أنا قلت لكم الآن في كلمة بسيطة ليس فيها أي تعقيد، كل اللي أرجوه من الله أرجو الهداية، ربنا يهدينا جميعاً ويوفقنا.. يهدينا ويوفقنا، ربنا يهدينا ويوفقنا من أجل تحقيق هذه الآمال ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، ربنا اللي نصرنا يوم 23 يوليو واللي نصرنا يوم 18 يونيو، إن شاء الله سينصرنا دائماً وسيمكننا من أن نحقق هذه الأهداف، وأن نثبت دعائم العزة ودعائم الحق ودعائم الكرامة. والله يوفقكم جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله.

أشهر خطاب لناصر
وإعلانه تأميم قناة السويس

كان إعلان تأميم قناة السويس معركة مستقلة من المعارك التي خاضها ناصر وقد ذكر تفاصيلها في أشهر خطاب له والذي أعلن فيه تأميم القنال

فماذا قال؟

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في عيد الثورة الرابع من الإسكندرية (خطاب تأميم قناة السويس)

26/ 7/ 1956

أيها المواطنون:

نحتفل اليوم باستقبال العيد الخامس للثورة.. باستقبال السنة الخامسة للثورة، بعد أن قضينا أربع سنوات نكافح ونجاهد ونقاتل؛ للتخلص من آثار الماضي البغيض.. للتخلص من آثار الماضي الطويل.. للتخلص من آثار الاستعمار الذي استبد بنا قرونا طويلة، وللتخلص من آثار الاستبداد الذي تحكم فينا، وللتخلص من آثار الاستغلال الأجنبي والاستغلال الداخلي.

إننا اليوم أيها المواطنون ونحن نستقبل العام الخامس للثورة نستقبله أشد عزماً، وأمضى قوة، وأشد إيماناً.

نعم أيها المواطنون لقد اتحدنا وثرنا وكافحنا وقاتلنا وجاهدنا وانتصرنا. واليوم ونحن نتجه إلى المستقبل.. اليوم أيها المواطنون ونحن نتجه إلى المستقبل، بعد سنوات أربع من الثورة، نتجه بقوة وعزم وإيمان، نعتمد على الله وعلى أنفسنا، نعتمد على الله وعلى عزيمتنا، نعتمد على الله وعلى قوتنا؛ من أجل تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها هذه الثورة. من أجل تحقيق هذه الأهداف التي جاهد من أجلها الآباء والتي كافح من أجلها الأجداد، نتجه إلى المستقبل ونحن نشعر أننا سننتصر بعون الله انتصارات متتالية.. انتصارات متتابعة؛ من أجل تثبيت مبادئ العزة، ومن أجل تثبيت مبادئ الحرية، ومن أجل تثبيت مبادئ الكرامة،

ومن أجل إقامة دولة مستقلة استقلالاً حقيقياً، لا استقلالاً زائفاً.. استقلالاً سياسياً، واستقلالاً اقتصاديا.

أيها المواطنون:

حينما نتجه إلى المستقبل نشعر أن معاركنا لم تنته، فليس من السهل.. ليس من السهل أبداً.. مش سهل أبداً ان احنا نبني نفسنا في وسط الأطماع.. الأطماع الدولية المتنافرة، والاستغلال الدولي، والمؤامرات الدولية.. مش سهل أبداً ان احنا نبني نفسنا.. نبني وطنا، ونحقق استقلالنا السياسي، ونحقق استقلالنا الاقتصادي. قدامنا أيها الإخوة معارك طويلة سنكافح فيها.. قدامنا معارك طويلة لنعيش أحرار، لنعيش كرماء، لنعيش أعزاء.

النهارده وجدنا الفرصة ووضعنا أساس العزة، ووضعنا أساس الحرية، ووضعنا أساس الكرامة. سنتجه أيها الإخوة دائماً إلى المستقبل؛ لنثبت هذه العزة، ولنثبت هذه الحرية، ولنثبت هذه الكرامة.

النهارده وضعنا مبادئ من أجلنا.. من أجل مصر، ووضعنا مبادئ بنادى بها في السياسة العالمية وفي السياسة الدولية؛ من أجل حرية الإنسان، ومن أجل رفاهية الإنسان.. لازم نجد الفرصة لننشر هذه المبادئ.

سنتجه قدما إلى الأمام، نؤيد الحرية ونؤيد التحرير، نقاوم الاستعمار وأعوان الاستعمار. أمامنا أيها الإخوة معارك طويلة.. مستمرة؛ من أجل تحقيق المبادئ اللي آمنا بها، واللي آمن بها كل فرد من أبناء هذا الوطن.

هذه المعارك لم تنته ولن تنتهي، ويجب أن نكون دائماً على حذر.. نكون دائماً على حذر وعلى حيطة من ألاعيب المستغلين والمستعمرين

وأعوان المستعمرين.

حاول الاستعمار بكل وسيلة من الوسائل أن يضعضع قوميتنا، وأن يضعف عروبتنا، وأن يفرق بيننا؛ فخلق إسرائيل صنيعة الاستعمار.

في الأيام اللي فاتت استشهد اتنين من أخلص أبناء مصر لمصر.. اتنين أنكروا ذاتهم، وكانوا يكافحوا ويجاهدوا في سبيل تحقيق غرض أسمى.. في سبيل تحقيق غرض كبير؛ في سبيل تحقيق المبادئ، وفي سبيل تحقيق المثل العليا؛ من أجلكم.. من أجل مصر ومن أجل العرب. كان كل واحد فيهم بيؤمن بقوميته، وبيؤمن بعروبته، وبيؤمن بمصريته، وكان يعتبر انه يستطيع أن يقدم روحه ودمه فداء لهذا الإيمان، وفداء لهذه المبادئ.

من أيام قليلة ماضية استشهد اتنين من أعز الناس لنا بل من أخلص الناس لنا استشهد مصطفى حافظ قائد جيش فلسطين وهو يؤدي واجبه من أجلكم، ومن أجل العروبة، ومن أجل القومية العربية.. مصطفى حافظ اللي آلى على نفسه أن يدرب جيش فلسطين، وأن يبعث جيش فلسطين، وأن يبعث اسم فلسطين، فهل سها عنه أعوان الاستعمار؟ هل سهت عنه إسرائيل صنيعة الاستعمار؟ هل سها عنه الاستعمار؟ أبداً.. إنهم كانوا يجدون في مصطفى حافظ.. كانوا يجدون فيه تهديداً مباشراً لهم، وتهديداً مباشراً لأطماعهم، وتهديداً مباشراً ضد المؤامرات التي كانوا يحيكونها ضدكم، وضد قوميتكم، وضد عروبتكم، وضد العالم العربي؛ فاغتيال مصطفى حافظ بأخس أنواع الغدر، وأخس أنواع الخداع. اغتيل مصطفى حافظ، ولكنهم هل يعتقدون انهم بقتل مصطفى حافظ أو بالتخلص من مصطفى حافظ، لن يجدون من يحل محل مصطفى حافظ؟ إنهم سيجدون

في مصر وبين ربوع مصر جميع المصريين، كل واحد منهم يحمل هذه المبادئ ويؤمن بهذه المبادئ، ويؤمن بهذه المثل العليا.

أما صلاح مصطفى.. صلاح مصطفى أخوكم.. أخي الذي قام معي في 23 يوليو، قام يجاهد من أجل مصر وهو يؤمن بالمبادئ والمثل العليا. صلاح مصطفى قام وهو يؤمن بكم.. يؤمن بحريتكم، ويؤمن بعزتكم، ويؤمن بكرامتكم يوم 23 يوليو، ولكنه آثر أن يكافح ويجاهد في صمت وفي سكون.. ما كانش حد فيكم أبداً يعرف مين هو صلاح مصطفى، إيه اللي عمله صلاح مصطفى، إيه دور صلاح مصطفى في ثورة 23 يوليو. آثر صلاح مصطفى أن يكافح ويجاهد وهو يؤمن أنه قد وهب نفسه ووهب روحه ودمه في سبيلكم.. في سبيل مصريتكم، وفي سبيل مبادئكم، وفي سبيل مثلكم، كان يؤمن أنه قد وهب روحه ووهب نفسه ووهب دمه في سبيل القومية العربية وفي سبيل الوطن العربي.

فإذا كانوا.. إذا كانوا اغتالوا صلاح مصطفى وقتلوا صلاح مصطفى بأبشع أساليب الغدر وبأبشع أساليب الخيانة، إذا كانوا اغتالوا صلاح مصطفى بهذه الوسائل التي كانوا يتبعونها قبل سنة 48، فأنا أشعر أن العصابات التي تحولت إلى دولة تتحول اليوم مرة أخرى إلى عصابات.

هذا يبشر بالخير أيها المواطنون .. إن إسرائيل اليوم ابتدت تتبع أساليب العصابات التي كانت تتبعها قبل 48، إن يوم النصر لقريب. إذا كانوا يعتقدون انهم بقتلهم فرد صلاح مصطفى والتخلص منه، لن يجدوا في مصر أمثال هذا الفرد؛ فإنهم واهمون. إذا كانوا يعتقدون أنهم بهذه الأساليب الغادرة يستطيعون أن يبثوا الرعب في نفوسنا أو في نفوس الأمة

العربية؛ فإنهم واهمون. كلنا.. كلنا نعمل من أجل هذه المبادئ العليا، كلنا نعمل من أجل هذه المثل، كلنا نعمل من أجل قوميتنا، كلنا نعمل من أجل عروبتنا، كلنا نعمل لنحمي أنفسنا من الاستعمار وأعوان الاستعمار وإسرائيل صنيعة الاستعمار، كلنا سنجاهد.. كلنا سنكافح.. كلنا سنفدي أوطاننا بأرواحنا وبدمائنا.

هذه أيها المواطنون هي المعركة التي نسير فيها.. هذه أيها المواطنون هي المعركة التي نخوضها الآن؛ معركة ضد الاستعمار.. معركة ضد أساليب الاستعمار.. معركة ضد وسائل الاستعمار.. معركة ضد إسرائيل صنيعة الاستعمار، التي خلقها الاستعمار ليقضي على قوميتنا كما قضى على فلسطين. قضوا على فلسطين، وسندوا إسرائيل بالعصابات وقووا إسرائيل؛ حتى يقضوا علينا ويحولونا إلى دولة من اللاجئين، وشجعوا إسرائيل؛ حتى تعلن على الملأ أن أرضها المقدسة تمتد من النيل إلى الفرات. نحن نشعر بهذا الخطر، كلنا سندافع عن قوميتنا، كلنا سندافع عن عروبتنا، كلنا سنعمل؛ حتى يمتد الوطن العربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي.

أيها المواطنون:

إن القومية العربية تتقدم.. إن القومية العربية تنتصر.. إن القومية العربية تسير إلى الأمام، وهي تعرف طريقها، وهي تعرف سبيلها.. إن القومية العربية تشعر من هم أعداؤها ومن هم أصدقاؤها.. إن القومية العربية تعلم أن وجودها في اتحادها، وإن قوتها في قوميتها.

وأنا اليوم أيها المواطنون أتجه إلى إخوان لكم في سوريا.. سوريا

العزيزة.. سوريا الشقيقة، وقد قرروا.. قرروا وأعلنوا أن يتحدوا معكم اتحاداً حراً سليماً عزيزاً كريماً؛ لندعم سوياً مبادئ الحرية، ولندعم سوياً مبادئ العزة، ولندعم سوياً مبادئ الكرامة، ولنرسي سوياً القومية العربية، ولنرسي سوياً الوحدة العربية.

إنني اليوم أقول لإخوانكم في سوريا باسمكم: إننا نرحب بكم أيها الإخوة؛ فقد قلتم في دستوركم: إنكم جزء من الأمة العربية، وقلنا في دستورنا: إننا جزء من الأمة العربية، وسنسير معاً أيها الإخوة متحدين.. يد واحدة.. قلب واحد.. رجل واحد؛ لنرسي مبادئ العزة الحقيقية، ولنرسي مبادئ الكرامة الحقيقية، ولنقيم بين ربوع الوطن العربي وبين ربوع الأمة العربية استقلالاً سياسياً حقيقياً، واستقلالاً اقتصادياً حقيقياً (تصفيق).

أيها المواطنون:

منذ أن أعلنت مصر سياستها الحرة المستقلة، وبدأ العالم ينظر إلى مصر ويعمل لها حساب.. بقوا يعملوا لنا حساب.. اللي كانوا زمان ما بيعبروناش وما بيحسبوش حسابنا.. بقوا النهارده يعملوا لنا حساب، بدءوا يعملوا للعرب حساب، وللقومية العربية حساب. كنا زمان نتطلع على مكاتبهم؛ مكاتب المندوب السامي والسفير البريطاني، النهارده بعد تحقيق حريتنا السياسية وبعد إعلان مبادئنا، وبعد تكاتفنا وإقامة جبهة وطنية متحدة من جميع أبناء هذا الشعب ضد الاستعمار، وضد الطغيان، وضد التحكم، وضد السيطرة، وضد الاستغلال، وضد التدخل الأجنبي؛ بيعملوا لنا حساب، وبيعرفوا ان احنا دولة لها قيمتها، تستطيع أن تفعل ما تريد.

النهارده قيمة مصر في المجال الدولي كبرت، وقيمة العرب

الأمة العربية في المجال الدولي كبرت وعظمت، وعلى هذا الأساس أيها الإخوة تم مؤتمر بريوني.. تم مؤتمر بريوني وسافرت لاجتمع بالرئيس(تيتو) رئيس جمهورية يوغوسلافيا والرئيس (نهرو) رئيس وزراء الهند الاتنين اللي أعلنوا سياسة عدم الانحياز؛ السياسة الحرة المستقلة. وزرت وأنا رايح إلى بريوني يوغوسلافيا، والتقيت بالشعب اليوغوسلافي، ووجدت ولمست صداقة الشعب اليوغوسلافي للشعب المصري، وتقدير الشعب اليوغوسلافي للشعب المصري. واتجهت إلى بريوني وابتدأنا نبحث الوسائل ونتبادل الرأي في المشاكل العالمية وفي مشاكلنا،وانتهى مؤتمر بريوني بانتصار كبير للسياسة التي تتبعها مصر؛ اللي هي سياسة عدم الانحياز.. انتصار كبير للقضايا العربية، وأعلنت في المجالات الدولية.

مؤتمر بريوني قرر انه يتبع مبادئ باندونج العشرة، وقال في القرار اللي صدر: إن رؤساء الحكومات الثلاثة؛ يوغوسلافيا والهند ومصر، استعرضوا التطورات الدولية، وأدى تشابه نظرتهم للمسائل الدولية إلى التعاون الوثيق بينهم، كما لاحظوا باغتباط أن السياسات التي تتبعها دولهم قد ساهمت إلى حد ما في تخفيف التوتر الدولي، وفي إنماء العلاقات بين الأمم على أساس المساواة.

وبعدين أصدر المؤتمر قرار: إن مؤتمر باندونج الذي عقد في العام الماضي قد أقر مبادئ معينة يجب اتخاذها أساس للعلاقات الدولية، ويؤكد رؤساء الدول الثلاثة من جديد هذه المبادئ العشرة، التي لاقت دائماً التأييد من جانبهم، وهم يدركون أن النزاع والتوتر الدولي قد أديا إلى ما يسود العالم من مخاوف في الحاضر والمستقبل، وطالما ظلت هذه

المخاوف تسيطر على العالم فإنه لا يمكن إرساء السلام على قواعد ثابتة.

مبادئ باندونج العشرة اللي قررت في العام الماضي بتقول: من الطبيعي أن يكون لجميع الأمم الحق في أن تختار بحرية نظمها السياسية والاقتصادية وطريقة حياتها؛ وفقا لأغراض ومبادئ وميثاق الأمم المتحدة، وبالتحرر من الشك والخوف، وبالثقة وحسن النية المتبادلين، يجب على الأمم أن تمارس التسامح، وأن تعيش معا في سلام.. يجب على الأمم ان تعيش جيرانا صالحين، يعملون لتمكين التعاون الصادق على الأسس الآتية:.. دي الأسس اللي وضعها مؤتمر باندونج للعلاقات بين الدول: ـ

أولاً: احترام حقوق الإنسان الأساسية وأغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

ثانياً: احترام سيادة جميع الأمم وسلامة أراضيها.

ثالثاً: الاعتراف بالمساواة بين جميع الأجناس، وبين جميع الأمم كبيرها وصغيرها.

بعدين.. الامتناع عن أي تدخل في الشئون الداخلية لبلد آخر.

وبعدين.. احترام حق كل أمة في الدفاع عن نفسها انفرادياً أو جماعياً.

ثم الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى.. كالأحلاف اللي بيعملوها وبيدخلوا فيها تحت اسم الدفاع علشان تخدم مصالحهم.

وبعدين.. امتناع أي بلد عن الضغط على غيره من البلاد.

بعدين.. تجنب الأعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف

ضد السلامة الإقليمية، أو الاستقلال السياسي لأي بلد من البلاد.

وبعدين.. تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية.

وبعدين.. تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل.

وبعدين.. احترام العدالة والالتزامات الدولية.

دي المبادئ اللي أقرها مؤتمر باندونج للعلاقات بين الدول؛ حتى لا تستخدم الدول الكبرى الدول الصغرى ألعوبة في يدها.. تستخدمها كمخلب للقط تنفذ بها سياستها من أجل السيطرة ومن أجل النفوذ.

هذه المبادئ التي أقرها مؤتمر باندونج أعاد مؤتمر بريوني تأكيدها، وأعلن تمسكه بها، وأعلن أن هذه المبادئ يجب أن تكون أساس العلاقات بين الدول. (تصفيق).

وبعدين في مؤتمر بريوني أعلن أن توسيع نطاق الجهود للسير قدماً في إنماء المناطق المتخلفة في العالم، ليعد أحد المهام الأساسية في تحقيق السلام الدائم والاستقرار بين الأمم.

وبعدين اتكلم مؤتمر عن الشرق الأوسط.. اتكلم زعيم الهند (نهرو)، وافق على هذا، وزعيم يوغوسلافيا (تيتو)، وافق على هذا؛ على وجهة النظر العربية.

في الشرق الأوسط أدت المصالح المتعارضة للدول الكبرى إلى ازدياد الصعوبات التي تكتنف الموقف، وقال: يجب البحث في هذه المشاكل على ضوء حقائقها، وعلى النحو الذي يضمن المصالح الاقتصادية المشروعة؛ بشرط وضع الحلول على أساس حرية الشعوب

التي يعنيها الأمر. إن حرية شعوب تلك المناطق وإراداتها الخالصة ليست ضرورية للسلام فحسب، بل هي ضرورية أيضاً لضمان المصالح الاقتصادية المشروعة.

وبعدين أعلن مؤتمر بريوني.. قال: يعتبر الموقف في فلسطين على وجه الخصوص خطراً على السلام الدولي، ويؤيد رؤساء الحكومات الهند ويوغوسلافيا ومصر قرار مؤتمر باندونج في هذا الصدد.

قرار مؤتمر باندونج في هذا الصدد بيقول إيه؟ بيقول: بالنظر إلى التوتر القائم في الشرق الأوسط بسبب الموقف في فلسطين، وخطر ذلك التوتر على السلام العالمي، أعلن المؤتمر الآسيوي الإفريقي تأييده لحقوق شعب فلسطين العربي، ودعى إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين.

وبعدين مؤتمر بريوني اتكلم عن مشكلة الجزاير اللي هي مشكلة عربية أيضاً بحث رؤساء الحكومات الثلاثة الموقف في الجزاير، الذي يعتبر في رأيهم بالغ الأهمية، بل ويتطلب اهتماماً عاجلاً من وجهة نظر الحقوق الطبيعية لشعب الجزائر، ولدعم السلام في ذلك الجزء من العالم. ونظراً لإيمان رؤساء الحكومات الثلاثة بأن السيطرة الاستعمارية غير مرغوب فيها إطلاقاً، فضلاً عما يترتب عليها من إضرار بالحاكمين والمحكومين معاً، فإنهم يرون من واجبهم التعبير عن عطفهم التام على رغبة شعب الجزائر في الحرية. وهم يدركون أنه يوجد في الجزائر عدد كبير من الأشخاص الذين من أصل أوروبي، والذين تجب حماية مصالحهم دول اللي بتتحجج بهم فرنسا على أنه يجب ألا يقف هذا في

طريق الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الجزائري. وهم يؤيدون كل الجهود والمفاوضات التي تهدف إلى إيجاد حل عادل وسلمى، وبخاصة وقف أعمال العنف.

إذن طلعنا من مؤتمر بريوني بان احنا أعلنا مبادئ أساسية للعلاقات بين الدول، وأعلنا رأينا في المشاكل العالمية؛ مشكلة ألمانيا في أوروبا، مشكلة الصين في آسيا، ومشكلة فلسطين والجزائر العربية اللي تهمنا احنا كأمة عربية وكشعب عربي.

وكانت وجهة نظر الرئيس (تيتو) والرئيس (نهرو) تتمشى مع وجهة النظر العربية، وبهذا استطاعت وجهة النظر العربية أن تأخذ لها حصنا آخر، وأن تفرض وجودها في العالم.

دا الكلام اللي حصل في مؤتمر بريوني.. أما نبص نجد أن مصر منذ قامت الثورة كانت بتجاهد لتنقل قضاياها وقضايا العروبة إلى طريق آخر غير طريق الاستجداء. وكنا بنجد ان احنا نستطيع أن نحقق هذا إذا حققنا استقلالنا السياسي، وإذا حققنا الاستقلال الاقتصادي. وكنا نؤمن منذ قامت الثورة من سنة 52 ومن قبل 52.. من قبل ما تقوم الثورة ان الاستقلال السياسي لا يمكن أن يكتمل إلا إذا كان معه استقلال اقتصادي، وإلا إذا كان معه اقتصاد سليم يستطيع أن يقف ضد مؤامرات المستعمرين، وضد مؤامرات المستغلين، وضد مؤامرات الطامعين.

في الوقت اللي احنا كنا فيه بنعمل من أجل تحقيق الاستقلال السياسي، كنا فيه أيضاً بنعمل من أجل تحقيق الاستقلال الاقتصادي.

كنا بنعمل من أجل جلاء الإنجليز المحتلين عن أرض مصر، بوسائل

مختلفة كلكم تعرفوها؛ بالقوة واللين، بالعنف وبالمفاوضات، وكان غرضنا من هذا أن نحقق لمصر استقلالاً سياسياً حقيقياً، وألا تكون السيادة في مصر إلا لأبناء مصر، وألا يرفرف في سماء مصر إلا علم مصر.

كنا بنسعى إلى هذا منذ قامت الثورة، ونسعى بعزم، وكنا نؤمن ان احنا حنستطيع أن نحقق هذا الاستقلال السياسي، سنستطيع مادمنا نقضى على أعوان الاستعمار. وحينما تخلصنا من أعوان الاستعمار تداعي الاستعمار وتداعي الاحتلال.. انتهى الاستعمار، والاحتلال ما قدرش يقعد؛ لأنه ما وجدش بينكم بين أبناء مصر.. بين هؤلاء المواطنين واحد يتعاون معاه، أو واحد يسنده، أو واحد يعاونه على وجوده؛ فسلم الاستعمار، وسلم الاحتلال، وجلت عن مصر في الشهر الماضي آخر قوة من قوات الاحتلال التي دخلت أرضنا سنة 1882، واللي لما دخلت إسكندرية سنة 82 انهزموا، وانضربوا في كفر الدوار، وما قدروش أبداً انهم يكملوا غزوهم، وما قدروش أبداً انهم يكملوا حملتهم.. انضربوا.. ضربهم عرابي في كفر الدوار وهزمهم شر هزيمة.. لم يستطيعوا أن يتغلغلوا في أراضينا، ولكنهم انسحبوا.. انسحبوا من الإسكندرية ورجعوا.. ما قدروش يواجهونا وجهاً لوجه، ولكنهم واجهونا بالغدر والخديعة، واجهونا بالخيانة، اتجهوا إلى قنال السويس، وعن طريق أعوانهم في قنال السويس استطاعوا انهم يدخلوا من هناك ويواصلوا إلى التل الكبير، واستطاعوا انهم يحتلوا مصر ويقضوا على قوة مصر.

لم يستطيعوا أن يواجهونا وجهاً لوجه.. هزمنا هم سنة 1882، وهزمنا

هم سنة 1807 أما جت حملة (فريزر) في مصر هنا؛ من أجل احتلالها ومن أجل السيطرة عليها، ووصلت إلى رشيد.. خرج لها أهل رشيد أهل رشيد المدنيين واستطاع أهل رشيد المدنيين انهم يهزموا الحملة العسكرية البريطانية ويردوها على أعقابها للبحر.

الكلام دا حصل أيها المواطنون .. أيها الإخوة سنة 1807 وحصل أيضاً سنة 1882.

دي مصر الحقيقية.. دي مصر الحقيقية.. هزمت (فريزر) سنة 1807، هزمت الإنجليز في كفر الدوار سنة 1882، ولكن الإنجليز اتبعوا معنا أساليب الغدر، واتبعوا معنا أساليب الخداع، واستطاعوا بعد هذا أن يتحكموا فينا، واستطاعوا بعد هذا أن يحتلونا.

كنا نتجه أيها المواطنون منذ قامت الثورة لتحقيق الاستقلال السياسي.. لإعادة العزة، لإعادة الكرامة المسلوبة، ووفقنا بحمد الله واستطعنا في يوم 18 يونيه أن نرفع في سماء مصر علم مصر وحده، وأن نبقى بين ربوع مصر سيادة مصر وحدها. وبهذا تحقق جزء كبير جداً من الأهداف اللي احنا كنا بنصبو إليها، وتحقق جزء كبير جداً من الأهداف اللي كنا بنطالب بها.

ولكنا لن نهمل أبداً أيها الإخوة في نفس الوقت أن نعمل من أجل الاستقلال الاقتصادي.. لم نهمل هذا أبداً من سنة 52 منذ قامت الثورة؛ لأننا نؤمن ونعتقد أن الاستقلال السياسي لا يمكن أن يكون لَه وجود إلا إذا كان هناك استقلال اقتصادي، وأن الاستقلال الاقتصادي مكمل للاستقلال السياسي، وأن الاستقلال السياسي يكون زائف إذا لم يكن

هناك استقلال اقتصادي، بل إذا كان هناك تحكم اقتصادي؛ لأنه إذا كان هناك تحكم اقتصادي فسيستعمل هذا في الضغط وفي التوجيه.

واتجهنا من سنة 53 في العمل على تنمية الإنتاج، وكان هدفنا في هذا أن يكون لنا استقلال اقتصادي؛ اتجهنا في هذا ونجحنا.. نجحنا لأننا معتمدين على نفسنا، وعلى مالنا، وعلى عرقنا، وعلى قوتنا. استطعنا أن نرفع الدخل القومي من سنة 52 إلى سنة 54 بما يقرب من ٪16، وبعد كده استطعنا ان احنا نحقق من سنة 54 إلى 56 ما يساوي هذا الرقم أو أكثر.

إذن احنا نعمل، واحنا ما احناش ساهيين.. لسنا لاهين، واحنا عارفين الأساليب والألاعيب اللي انكوينا بها واتكوت بها آباءنا وأجدادنا، ولهذا حينما كنا نعمل من أجل الاستقلال السياسي، كنا نعمل في نفس الوقت من أجل الاستقلال الاقتصادي.

بعد كده في أيام الجلاء وفي أعياد الجلاء، وحينما شعرنا بالاستقلال السياسي؛ اتجهنا إلى العالم أجمع، وقلنا: لننس ما مضى، واتجهنا برضه إلى المستعمرين، وإلى الناس اللي جم احتلونا وخرجوا، واللي قتلوا من آبائنا وأجدادنا، وقلت في يوم 19 يونيو: ان أنا أمد إيدي للجميع، وإن مصر تمد يدها إلى الجميع، وإنها ستسالم من يسالمها وتعادي من يعاديها.

إننا نتجه لتحقيق سياستنا.. سياسة مستقلة، تنبع من مصر، لا من لندن، ولا واشنطن، ولا موسكو، ولا أي دولة من الدول؛ تنبع من ضميرنا.. تنبع من إحساسنا. وقلت ان احنا مستعدين نتعاون مع الجميع، ولكن هذا التعاون لن يكون أبداً على حساب قوميتنا، أو على حساب عروبتنا، وطبعا

لن يكون على حساب استقلالنا، أو على حساب كرامتنا.

هذا الكلام اللي أنا قلته يوم 19 يونيو الماضي هو نفس الكلام اللي أنا كنت باقوله منذ قامت الثورة، وأنا النهارده حاقول لكم على كل حاجة حصلت منذ قامت الثورة، في المفاوضات وفي المقابلات وفي كل شئ؛ حتى تكونوا على بينة.

من سنة 52 وبعد نجاح الثورة بدأت تتصل بنا انجلترا وبدأت تتصل بنا أمريكا، وبدءوا يطالبونا بأن نتحالف معهم ونتفق معهم؛ نعمل محالفات ونعمل اتفاقات. كان كلامنا لهم ان احنا لا نستطيع أن نتحالف.. مش ممكن ندخل في حلف إلا الحلف الذي يضم الدول العربية وحدها. وكنت باقول لهم وهذا الكلام موجود يمكن في محاضر المفاوضات إذا دخلنا في حلف مع بريطانيا هل ستستطيع مصر أن تملى إرادتها على بريطانيا؟ بل هل ستستطيع مصر أن يكون لها رأى بجانب بريطانيا؟ وإذا قعدنا على ترابيزة واحدة وكان فيها (مستر إيدن) بيمثل بريطانيا العظمى واحنا بنمثل مصر، ازاي تتحالف دولة كبرى مع دولة صغرى زينا؟! هذا لن يكون حلف ولكنه يكون تبعية. وكنت باقول لهم إن دي تبعية، ونحن لا نقبل أن نكون تابعين.. نستطيع أن نتعاون معكم معاونة الند للند، نستطيع أن نتفاهم، نستطيع أن نكون أصدقاء، ولكنا لا نقبل أبداً أن نكون أذيال أو نكون تابعين..

في أول جلسة من جلسات المفاوضات وأعتقد أنها كانت في إبريل يمكن سنة 53 كان (جنرال روبرتسون) موجود، وطلب مننا أن احنا نوقع مع بريطانيا محالفة مدتها 25 سنة، ورفضنا، وقطعت المفاوضات بعد جلستين. رفضنا هذه المحالفة، وقلنا: ان احنا نريد أن نوقع اتفاق للجلاء،

ولكنا سنكافح من أجل هذا، لن نتحالف؛ لأن محالفتنا سنجعلنا ذيل، وستجعلنا تابعين. الكلام اللي قلناه في سنة 52 هو نفس الكلام اللي بنقوله النهارده، مش عارف إيه الفرق في هذا الكلام! هذا الكلام قيل في سنة 52 في جميع المحاضر وفي جميع الجلسات.

ابتدينا في سنة 52 نتكلم على تموين الجيش المصري بالأسلحة، وقلنا لهم عايزين تبينوا إنكم أصدقاء ادونا السلاح اللي احنا عايزينه.. ما بنشحتش منكم.. مستعدين ندفع تمن هذا السلاح، قالوا لنا: ما نديكمش سلاح إلا إذا وقعتوا معنا ميثاق الأمن المتبادل.

تعرفوا ميثاق الأمن المتبادل معناه إيه؟ معناه انه تيجي بعثة أمريكية تقعد في مصر هنا تمشي أمور الجيش المصري، وعبد الحكيم عامر ما يقالوش دعوة بالجيش المصري؛ دا ميثاق الأمن المتبادل.

قلنا لهم ان احنا لنا تجارب، واحنا كناس عسكريين كنا موجودين في الجيش لنا تجارب كبيرة بهذا الخصوص.. لنا تجارب مع البعثات العسكرية. كان فيه بعثة عسكرية جت في الجيش المصري سنة 36، واحنا كنا ضباط صغيرين كنا ملازمين تواني وملازمين أوائل وكنا بنحتك بهم، وكنا بنجد ان هدفهم الأول هو إضعاف الجيش المصري.. هدفهم الأول هو بث روح الهزيمة وبث روح عدم الثقة في الجيش المصري، واحنا عندنا مركب نقص وعقدة لا يمكن أن تنحل من البعثات العسكرية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال ان احنا نقبل بعثة عسكرية؛ وبهذا لا يمكن ان احنا نمضي معاكم ميثاق الأمن المتبادل.

احنا عايزين الجيش المصري يمثل مبدأ الثورة، احنا قلنا في مبادئنا: إن

إقامة جيش وطني قوي.. عايزين الجيش المصري يكون جيش وطني قوي، ولكنا لا نقبل أبداً أن يكون الجيش المصري جيش تحت سيطرة ضباط أجانب؛ سواء كانوا أمريكان أو غير أمريكا، أو يعمل بتوجيه ضباط أجانب.. هذا الجيش لن يعمل إلا لمصلحة هذا الشعب، ولمصلحة أبناء هذا الشعب.

دا اللي احنا كنا بنعتقد به؛ ولهذا رفضنا ان احنا نمضي ميثاق الأمن المتبادل، قلنا لهم: مستعدين نشتري أسلحة بفلوس، ما بنطلبش منكم معونة، وما بنطلبش منكم حسنة، وما بنطلبش منكم انكم تدونا حاجة مجاناً. ولكنهم ترددوا، ثم وعدوا.. قالوا لنا: مستعدين نديكم.. في آخر سنة 52 قالوا لنا مستعدين نديكم الأسلحة اللي انتم عايزينها، وبعتنا ناس علشان تجيب الأسلحة، ولكن طبعا رجعوا هؤلاء الناس خاوين الوفاض، وقصة الأسلحة طبعا كلكم انتم تعرفوها.. تعرفوها بالتفصيل.

ما رضيوش يدونا أبداً أي حاجة، لا مجاناً ولا بالفلوس إلا أما نمضي؛ نمضي صك كرامتنا، ونمضي صك عبوديتنا، ونمضي صك يسلم وطنا ويسلم أبناءنا لهم؛ علشان يسيروهم زي ما هم عايزين، وعلشان يعملوا في مصر زي ما يطلبوا.. نمضي صكوك تمكنهم مننا وتعتبرنا في هذه البلد غرباء لا نستطيع أن نقرر سياستنا، ولكنا نتبع السياسات التي تملى علينا من الاستعماريين، وتجار الحروب، والمستغلين والمستبدين.

دا الكلام اللي قلناه يا إخواني سنة 52. الكلام اللي احنا بنقوله النهارده بحس عالي وبنعلنه للعالم مش كلام جديد، الكلام دا موجود في محاضر المفاوضات اللي كانت في سنة 53، وقلناه من أول يوم من أيام الثورة. وبعد هذا بدأ الكفاح في القنال؛ كفاح ماكناش بننشر أخباره في

الجرايد.. قتال؛ قتال مرير ماتوا فيه ناس كانوا بيؤمنوا بالنصر، وبيؤمنوا بحرية مصر، بيؤمنوا بكم وبيؤمنوا بعزتكم، وكان أقصى ما يتمناه كل واحد انه يهب روحه؛ يهب روحه فداء هذه المبادئ العليا زي مصطفى حافظ وزي صلاح مصطفى ناس راحوا في القنال وقعدوا هناك في القنال؛ ليقاتلوا ويكافحوا، واستطاعوا انهم يخلوا القوة الإنجليزية الـ 80 ألف اللي موجودة في القنال مش بتحمي الشرق الأوسط ولا بتحمي القنال، استطاعوا انهم يخلوا هذه القوة؛ مش قادرة تحمي نفسها، استطاعوا انهم يخلوا هذه القوة موجودة لتدافع عن وجودها.

دول الناس اللي راحوا القنال.. الجنود المجهولين.. الجنود المجهولين اللي خرجوا من وسطكم وراحوا وروا.. وروا قوات الاحتلال كل ضروب العنف والقوة، واستطاعوا... وقفوا الأخر وقالوا: ان احنا لا يمكن أن نوجد في بلد معادي، القاعدة ما بقتلهاش فايدة في بلد معادي، الـ 88 ألف اللي جايبينهم يحموا الشرق الأوسط مش قادرين يحموا نفسهم، مافيش داعي ان احنا نخليهم.

دا السبب الأساسي في الوصول إلى اتفاقية الجلاء؛ الكفاح، والعرق، والدماء، والجهاد، والاستشهاد.. الناس اللي ماتوا وما قلناش أساميهم، الناس اللي أصيبوا وما قلناش أساميهم في معارك القنال الطويلة اللي استمرت منذ قامت الثورة حتى أعلن اتفاق الجلاء.. دا كان السبب الأساسي في الجلاء.

إنجلترا خرجت من مصر وهي تعتقد.. وهي تؤمن ألا وجود لها في مصر؛ لأن شعب مصر قد استيقظ، ولأن شعب مصر قد آلى على نفسه

أن يحقق لها الحرية في الحياة، ولأن شعب مصر آلى ألا تكون سيادة في مصر إلا لشعب مصر، ولأن شعب مصر آلى ألا يرتفع في سماء مصر إلا علم مصر.

دا كان السبب الحقيقي.. ماكانش الكلام أبداً، وماكانتش المفاوضات. واستطعنا ان احنا نصل إلى اتفاق مع إنجلترا تجلو به جميع القوات البريطانية.. كانت معركة طويلة، وكانت معركة مريرة، ولكن هل انتهت هذه المعركة؟ لم تنته هذه المعركة.

الاستعمار يا إخواني له أشكال مختلفة.. الاستعمار له أشكال متلونة.. الاستعمار أول ما بدأ كان يتمثل في الاحتلال بالقوات المسلحة، وبعد هذا أخذ يتطور ويتطور ويتطور. النهارده الاستعمار بيتمثل في أعوان الاستعمار.. الاستعمار بدون جنود، وبدون قوى مسلحة بيستطيع أن يحقق مآربه، ويستطيع أن يحقق أغراضه بواسطة أعوانه من الخونة الذين يتواجدون في كل بلد.. وبيتواجدوا ويأخذوا منه السلطة ويأخذوا منه النفوذ، وبعدين يستولوا على السلطة في البلد دي، وتكون البلد دي تابعة له وتحت إرادته بدون قوة مسلحة، وبدون احتلال، وبدون أسلحة. الاستعمار كان بيتلون ويتشكل.

آلينا على أنفسنا ان احنا نقاوم الاستعمار بجميع أنواعه؛ الاستعمار السافر، الاستعمار المسلح، الاستعمار المصحوب باحتلال، والاستعمار المقنع تحت أشكال أعوان الاستعمار، وتحت شكل المحالفات، وتحت شكل الاتفاقات اللي بتعتبر فيها الدول ذيول وأذناب.

وبدأ الاستعمار يتآمر من حولنا ويحيط الدسائس؛ حتى يستولى على

الدول العربية دولة دولة.. يضع يده عليها دولة دولة، وبهذا يحاصرنا.. يحاصرنا من جميع النواحي، وبهذا يستطيع انه يملي علينا إرادته؛ ققاومنا.. قاومنا هذه الدسائس، وكان الوعي العربي وكانت القومية العربية قد استيقظت، واشتعلت، واتقدت في جميع البلاد العربية.. في كل مكان؛ فلم يستطع الاستعمار أن يحقق أغراضه، ولم يستطع الاستعمار أن يحقق أهدافه، وانتصرت القومية العربية.. انتصرت حركة التحرير العربية.. انتصرت القومية العربية على الاستعمار، وهزم الاستعمار شر هزيمة.

هزم الاستعمار في ديسمبر الماضي في الأردن، حينما أرسل (جنرال تمبلر) ليجبر الأردن كان الاستعمار بيعتقد انه قوى، وقوة هائلة، وان الأردن اللي بيتكون من مليون ونص أو اتنين مليون سيخضع ويخنع، ولكن رئيس أركان حرب الإمبراطورية البريطانية (جنرال تمبلر) هرب من الأردن.. هرب رئيس أركان حرب الإمبراطورية؛ لأن القومية العربية انتصرت.. القومية العربية انتصرت وآمنت بنفسها، وآمنت بقوتها، وآمنت بحقها في الحياة.. القومية العربية انتصرت.. القومية العربية اشتعلت، ولم يستطع الاستعمار أن يحقق أبداً أي غرض من أغراضه.

وبهذا كان حلف بغداد؛ اللي هو بيعتبره وسيلة من الوسائل ليتحكم فينا، ويتحكم في رقابنا، ويستطيع أن يقيدنا بالسلاسل،ويملي علينا إرادته.. حلف بغداد؛ بفضل الوعي العربي، وبفضل القومية العربية، وبفضل الرأي العام العربي.

إذن يا إخواني دخلنا معارك.. دخلنا معارك في مصر، والعرب دخلوا معارك في خارج مصر.. فيه معارك في الوطن العربي كله.. الاستعمار

عاون فرنسا في الجزاير وفي تونس وفي مراكش. قوات حلف الأطلنطي؛ اللي عملوها وسلحوها، وبقى لهم خمس سنين بيسلحوا فيها واللا أكتر من خمس سنين وبيصرفوا عليها بلايين الدولارات، كلها انتقلت من أوروبا إلى شمال إفريقيا؛ لتقاتل الناس اللي بيطالبوا بحقهم في الحرية، وبيطالبوا بحقهم في تقرير المصير.. الناس اللي بيطالبوا بحقهم في الحياة. أمريكا زعيمة العالم الحر تؤيد فرنسا المستعمرة في تقتيل الجزائريين في الجزائر، بريطانيا تؤيد.. الدول اللي بتنادي بنفسها وبتقول: ان احنا زعماء العالم الحر، وان احنا اللي بنتمنى الحرية.. احنا اللي بنتمنى الحرية وبنتمنى تقرير المصير، الدول اللي عملت ميثاق الأمم المتحدة وحقوق الإنسان، الدول اللي عملت إعلان الأطلنطي.. أعلنه (روزفلت): لكل شعب أن يقرر مصيره.. ولكل شعب أن يكون حر..

الكلام دا كله نسيوه أو تناسوه، وابتدوا يحاربوا القومية العربية في الجزاير.. سنتين النهارده جيوش الدول دي كلها بتحارب في الجزاير.. بتحارب 10 مليون جزائري، هل استطاعوا أن ينتصروا على الجزائر؟

لقد استطاعت القومية العربية في الجزائر أن تهزم فرنسا وتوقع بها أشد الهزائم، واستطاعت القومية العربية في الجزائر أن تهزم حلفاء فرنسا اللي بيصرحوا لها بالأسلحة؛ أمريكا وبريطانيا ودول الأطلنطي كلها، بل استطاع المجاهدون في الجزائر.. استطاعوا انهم بأسلحتهم البسيطة المحدودة يقضوا على القوات المسلحة بالدبابات والمدافع وأكبر الأسلحة.. القوات اللي كانوا الإنجليز والأمريكان مجهزينها علشان تقف قدام روسيا.. بعتينها للجزاير.. ما قدرتش تقف قدام الجزاير!

دا معناه إيه يا إخواني؟ القومية العربية اشتعلت زي ما قلت لكم من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي، القومية العربية تشعر بوجودها، تشعر بكيانها، تشعر بقوتها، وتشعر بحقائق الحياة.

هذه هي المعارك اللي احنا بندخل فيها.. ما نقدرش نقول معركة الجزائر دي مش معركتنا، وما نقدرش نقول إن معركة الأردن في ديسمبر ماكنتش معركتنا، وما نقدرش نقول إن معارك الأحلاف مش معاركنا؛ لأن احنا إذا قلنا هذا نتنكر لعروبتنا، ونتنكر لقوميتنا، ونتنكر لنفسنا، ونتنكر لمصريتنا؛ لأن مصائرنا مرتبطة.. مصيرى هنا مرتبط بمصير أخويا في الأردن، وأخي في لبنان وفي سوريا وفي كل بلد، وفي السودان مصائرنا مرتبطة. احنا اتخلقنا كده في هذا المكان من العالم، مصائرنا تؤثر على مصائر البعض.. مصير كل واحد فينا يؤثر على مصير الآخر، ما نقدرش نقول أبداً إن دي مش معاركنا.. هذه معاركنا.. معارك كل فرد فيكم.. معارك كل فرد من أبناء العروبة.

إيه اللي عايزه الاستعمار؟ الاستعمار عايز ان احنا نكون تابعين، وحينما يأمر نلبي أي أمر.. نكون تحت الأمر. فيه دول كتير متبعة هذه الطريقة، تعرفوها وما فيش داعي إني أقول أسماءها وأعمل أزمات دبلوماسية أو أزمات سياسية. الدول دي كل واحد فيكم يعرفها.. الدول اللي بتاخد أوامر.. بتنفذ الأوامر.. اللي بيتولى الأمر فيها صنائع الاستعمار وأعوان الاستعمار، واللي لا يؤمنوا بنفسهم ولا يؤمنوا بوطنهم، ولا يؤمنوا بقوميتهم، ولكنهم يؤمنوا بالسفراء والمندوبين السامين إلى آخر هذا الكلام.

عايزينا نبقي بهذا الشكل؟ مش ممكن.. قامت ثورة ليه؟! الشعب قاتل

ليه؟! الشعب كافح ليه؟! الناس اللي ماتوا مننا في سنة 19 وسنة 36، وقبل كدة على مر السنين، هل كانوا بيقاتلوا ويموتوا علشان برضه الأخر نبقى تابعين ناخذ أوامرنا من أي بلد من البلاد؟! عايزين مننا ان احنا لما نسمع أوامرهم.. طبعاً نسمع أوامرهم بخصوص إسرائيل، يقول لك: إسرائيل حقيقة واقعة كما هي الآن، طلبات إسرائيل يجب أن تلبى، حدود إسرائيل موجودة.. بتقول لهم وأهل فلسطين؟! يقول لك دا موضوع نبقى نتكلم فيه بعدين.. موضوع يعني مؤجل!

طب دول عرب زينا؟!يمكن انتم يعني ما تنظروش إليهم النظرة اللي احنا بننظر إليها.. عرب فلسطين اللي شردوا، حقوق شعب فلسطين؟ يقول لك: ندفع لهم شوية فلوس. مش كل واحد يبيع بلده بالفلوس.. فلسطين دي بلد قديمة لها آلاف السنين.. يمكن انتم بلدكم بقى لها 100 سنة أو 200 سنة بس، عمرها صغير كالهاش تاريخ طويل. احنا بنعتز بأرضنا وبنعتز بهذه العروبة وبنعتز بوطنا.. وطن الواحد فينا وأرضه لا تقدر بتمن ولا تقدر بمال، ولكن انتم يمكن بتنظروا نظرة مادية.. احنا ما ننظرش للأمور كشرقيين هذه النظرة المادية.. احنا يمكن عندنا النظرة المعنوية تساوى أكبر مبلغ يمكن واحد يتصوره.

كانوا عايزين مننا طبعا ان احنا نسلم لإسرائيل بكل شئ، ونهمل حقوق عرب فلسطين ولا نتجه إليها، وعايزين مننا طبعا ان احنا نتنكر لإخواننا في شمال إفريقيا، ويمكن اكتر من كده عايزينا نوافق زي مجلس الأمن ما وافق.. مجلس الأمن من أسبوعين اللي بتسيطر عليه هذه الدول الكبرى وافق واعترف، وأقر قيام المذابح والمقصلة في الجزائر؛ لأنه رفض انه يناقش

موضوع الجزائر في مجلس الأمن؛ كانوا عايزينا نتبع هذه الطريقة ونتبع هذا الأسلوب.. عايزينا ننفذ السياسة التي تملى علينا.

أما قامت مصر وأرادت أن تكون لها الشخصية المستقلة، وأرادت أن تكون لها قومية حقيقية وعزة حقيقية وحرية حقيقية؛ منع عنا السلاح واتسلحت إسرائيل، وبدأ خطر إسرائيل يهددنا. ابتدينا نطالب بالسلاح من بريطانيا، وراحت بعثة لبريطانيا تطالب بالسلاح، قالوا لهم إيه؟ مستعدين نديكم سلاح على شرطين؛ الشرط الأول ان عبد الناصر ما يسافر باندونج يسكت خالص ما يتكلمش! والشرط التاني انكم بطلوا تهاجموا سياسة الأحلاف وتسيبونا ننفذ خطتنا زي ما احنا عايزين. ما بقتش العملية بيع وشرا، بقت العملية استخدام السلاح للسيطرة والتحكم. طب هو احنا عايزين سلاح يقرر سياستنا، واللا عايزين سلاح احنا اللي نقر سياسته؟! هل عايزين سلاح يقودنا ويسيرنا كيف يريد الناس اللي بيبيعوه لنا، واللا عايزين سلاح نستخدمه في تحقيق أهدافنا، وفي تثبيت دعائم حريتنا واستقلالنا؟! طبعا مافيش داعي أبداً ان احنا نجيب سلاح ونبيع وندفع فيه تمن.. ندفع شخصيتنا، وندفع فيه مبادئنا؛ وبهذا ما قدرناش ناخذ سلاح. طالبنا بالسلاح.. وطالبنا بالسلاح بدون أي فايدة.. بالتمن، ماكناش طالبين سلاح مجاناً، ولا معونة ولا صدقة ولا حسنة.

وبعدين استطعنا ان احنا نشتري سلاح من روسيا.. باقول من روسيا مش من تشيكوسلوفاكيا.. من روسيا.. اتفقنا مع روسيا على انها تمدنا بالسلاح، ووافقت روسيا على أن تمدنا بالسلاح، وتمت صفقة الأسلحة، وبعدين حصلت ضجة كبرى.. إيه الغرض من الضجة دي؟ بيقولوا: دا

السلاح الشيوعي، مش عارف أنا فيه سلاح شيوعي وسلاح غير شيوعي؟! أنا أعرف السلاح اللي ييجي هنا في مصر يبقى سلاح مصري.

وابتدت صحافتهم.. وبقيت استغرب إيه الضجة دي؟! وكل واحد بيستغرب إيه الضجة دي؟! إيه السبب في الضجة؟ هم قالوا: إنهم عاملين خطة للحفاظ على ميزان التسلح في الشرق الأوسط زي ما هم فاهمين هذا الكلام 70 مليون عربي ومليون صهيوني.. أما يدوا الـ 70 مليون عربي بندقية، حيدوا للمليون صهيوني بندقيتين؛ علشان باستمرار يكونوا متفوقين على العرب، ويكونوا عامل تهديد لهم.

دا حفظ التوازن، يدوا الدول العربية كلها طيارة.. أي دولة عربية يدوها طيارة ويروحوا لإسرائيل يدوها طيارة، ويقولوا: دا حفظ التوازن في المنطقة.. أي توازن؟! ومين اللي عملوكم أوصياء علينا علشان تحققوا التوازن في هذه المنطقة؟ هل احنا طلبنا منكم الوصاية؟! إحنا شعب حر مستقل ولا نقبل الوصاية من أحد.. ما نقبلش أبداً ولكن كان في جيبهم سلاح.. احتكار السلاح.. الاحتكار اللي كانوا بيتحكموا به فينا، فحينما استطعنا أن نقضي على هذا الاحتكار، واستطعنا أن نحصل على الأسلحة التي نريدها بأسرع وقت شفتوها في الاستعراض اللي فات نحصل على هذه الأسلحة؛ انهارت كل الخطط،ما بقاش فيه تحكم عن طريق السلاح.. ما بقتش فيه سيطرة.. لن يستطيع الاستعمار أن ينفذ أغراضِه وأهدافه عن طريق الوعد ببعض الأسلحة.

فيه واحد إنجليزي كان كاتب في جريدة من الجرايد بيقول ان احنا عارفين العرب دول، كل ما يزعلوا نديهم شوية أسلحة كلعب يلعبوا بها.. كلام كاتبينه في جريدة من الجرايد، علشان بس يضللونا ويخدعونا،

وبعدين طبعاً يمسكوا إيدهم.

ومين اللي قوم إسرائيل في هذه المنطقة؟ مين اللي كان ماسك الانتداب على فلسطين؟ مين اللي كان قائم بالانتداب على فلسطين؟ مين اللي سلمته عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى حق الانتداب على فلسطين؟ بريطانيا، مين اللي ادى وعد (بلفور) سنة 17؟ بريطانيا، مين اللي سبب نكبة أهالي فلسطين بأنه سمح للصهيونيين انهم يتسلحوا والعرب أنهم ما يتسلحوش؟ بريطانيا؛ لأنها هي اللي كانت قائمة بالانتداب، وكانت تعلم أن هناك منظمات إرهابية، وتعلم أن هناك منظمات مسلحة، وتعلم أن في داخل إسرائيل جيش اسمه جيش (الهاجناه) مسلح بأسلحة حديثة، وحيقوم علشان يستولى على فلسطين، ويقضى على العرب قضاءاً كاملاً.

بريطانيا وهي تعلم هذا جات في يوم 15 مايو سنة 48 وسابت العرب للصهيونيين، وهي تعلم أن الصهيونيين مسلحين وتسليحهم قوى، وان العرب عزل من السلاح. ماذا كانت تهدف بريطانيا من هذا؟ بل ماذا كان يهدف الاستعمار؟ وماذا كانت تهدف أمريكا؛ اللي اعترفت بإسرائيل يوم 15 مايو، بعد دقيقة من إعلانها؟ كانوا يهدف حاجة واحدة، يجب ان كل فرد فينا يعرفها ويعلمها لأولاده، القضاء على قوميتنا.. بيعتبروا ان احنا لنا قومية تجمعنا من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي، كلنا عرب بنتكلم لغة عربية، هذه قوة يجب أن يعمل لها حساب، إذا استيقظت فستكون قوة دولية كبرى، كيف السبيل إلى تلافي هذا في المستقبل؟

ييجوا على حتة زي فلسطين لأول مرة في التاريخ؛ في تاريخ العالم، يحدث ما يحدث في فلسطين يقضوا على أهل فلسطين قضاء كامل، ويجيبوا

بدلهم الصهيونيين. كان بيحصل غزو.. كان فتح.. ألمانيا فتحت فرنسا.. غزت فرنسا كذا مرة، وبعدين ألمانيا غزيت في الحرب العالمية التانية، بلاد كتير غزيت، ولكن ماكانش فيه إبادة للجنس، ماكانش فيه إبادة للقومية، بعد الحرب كل واحد بيرجع بلده، ولكن الجنس يبقى والقومية تبقى.

ما حدث في فلسطين كان عملية إبادة، ولم تكن هذه العملية تهدف إلى إبادة فلسطين فقط؛ ولكنها كانت تهدف إلى إبادة القومية العربية جميعا.. كانت تهدف إلى القضاء على القومية العربية، وكان الصهيونيون يعلنون دائماً أن وطنهم المقدس يمتد من النيل إلى الفرات، وكان الصهيونيون لغاية وقت قريب بيقولوا: ان احنا عايزين نستأنف حرب التحرير لنحرر سينا يحرروا سينا من مصر! ونحرر الأردن من العرب، ويحرروا جزء من العراق.. بيقولوا هذا الكلام، وبيقولوه في البرلمان بتاعهم.. بيقولوا عايزين نكمل حرب التحرير.

إذن لم تكن العملية عملية فلسطين، ولم تكن العملية فقط وطن قومي لليهود؛ ولكنها كانت عملية إبادة.. إبادة للقومية العربية، وإبادة للعرب.. إبادة كاملة.. قضاء على جنس كامل. كان لازم نطلب سلاح علشان ندافع عن نفسنا؛ علشان ما نبقاش لاجئين زي ما أصبح أهالي فلسطين لاجئين وهم في حماية بريطانيا تحت الانتداب. كان لازم نجد سلاح بأي سبيل من السبل، وبأي طريقة من الطرق؛ حتى لا نكون دائماً تحت هذا التهديد، وحتى لا نكون دائماً تحت تهديد الاستعمار بأن يحرك ضدنا ربيبته إسرائيل، وصديقته إسرائيل.

جبنا السلاح، وتعاقدنا على هذه الأسلحة، وأحب أن أقول لكم احنا

نؤمن بمبادئ؛ كانت هذه الأسلحة بدون قيد ولا شرط، ندفع تمنها بس.. مافيش أي قيد، مافيش أي شرط، وهذه الأسلحة اليوم أصبحت ملك لنا.

بعد إعلان صفقة الأسلحة أرسلت واشنطن مندوب إلى مصر (مستر ألان).. (جورج ألان) اللي هم نقلوه، ودوه أتينا الجمعة اللي فاتت جا هنا مندوب إلى مصر يحمل رسالة من الحكومة الأمريكية، وكان مفروض انه حيقابلني، وجت التلغرافات من واشنطن ووكالات الأنباء تقول: إن (مستر ألان) يحمل إنذار إلى مصر.. (مستر ألان) يحمل تهديد إلى مصر، تهديد بقطع كذا وقطع كذا، وعمل كذا وعمل كذا. وبعدين اتصل بس أحد الأمريكان الرسميين وطلب مقابلة خاصة، قابلته، قال لي: إنه متأسف جداً على الحالة يمكن اللي وصلت إليها العلاقات بين أمريكا ومصر، إن (ألان) معاه رسالة شديدة من حكومة أمريكا قد تمس القومية المصرية والعزة المصرية، وإني أطمنك بهذا الخصوص ان هذه الرسالة مش حيكون لها أثر؛ لأن سنستطيع أن نقضي على آثارها، وأنا أنصحك انك تقبل هذة الرسالة.

سألته.. قلت له رسالة فيها إهانة للقومية المصرية والعزة المصرية؟.. يعني إهانة للقومية المصرية والعزة المصرية؟! قال: دي رسالة من (مستر دالاس) وهي رسالة شديدة جداً، واحنا مستغربين كيف أرسلت هذه الرسالة! وان احنا نطلب منك أن تكون هادئ الأعصاب وأنت طول عمرك هادئ الأعصاب وتقبل هذه الرسالة بأعصاب هادئة: بعدين قلت له ازاي بس أقبل رسالة يعني فيها تهديد، فيها جرح للعزة المصرية؟! فقال: لن تترتب على هذه الرسالة أي نتيجة عملية، وأنا أضمن لك هذا، هي بس رسالة مكتوبة حتجرح العزة المصرية في الجواب، لكن في العمل مش

حتجرح العزة المصرية.

قلت له اسمع أنا مانيش رئيس وزارة محترف، أنا رئيس وزارة جاي بثورة، وعمري ما فكرت في حياتي إني أنا حابقى رئيس وزارة، يعني دي عملية جات بهذا الشكل. مندوبكم إذا جا لي المكتب واتكلم كلمة حاطرده بره المكتب.. دا كلام رسمي، وحاطلع أعلن.. حاعلن للشعب المصري انكم أردتم أن تهينوا عزته وتهينوا كرامته، وسنقاتل جميعا لآخر قطرة في دمائنا، وأنا عن نفسي سأقاتل في سبيل عزة مصر وكرامتها لآخر قطرة في دمي؛ لأن هذه هي المبادئ اللي أنا قمت من أجلها.. دي المبادئ اللي أنا قمت من أجلها. حتهددوا بقطع معونة، مافيش تهديد، حاطلع أعلن قطع المعونة، تهددوا بأي شئ، سأعلنه، وأحب انكم تعرفوا ان احنا ما أخدناش دروس في الدبلوماسية ولا في السياسة، احنا ناس قمنا بثورة، وبنتجه إلى تحقيق أهداف هذه الثورة.

الكلام دا حصل في أوائل أكتوبر، وبعدين جا لي تاني.. طلبني تاني، وقال لي: إنه راح بلغ هذا الكلام لـ (مستر ألان) وأن (مستر ألان) محتار.. بيقول: لو جا لك يبلغك هذه الرسالة حينطرد، ولو راح لـ (مستر دالاس) من غير ما يبلغ الرسالة، (مستر دالاس) حيطرده، إيه اللي يحصل؟ (ضحك من الجماهير) قلت له والله أنا ما أعرفش، أنا أعرف شئ واحد؛ إنه إذا جا بلغني هذه الرسالة حاطرده، كون (دالاس) حيطرده أو ما يطردوش دا موضوع ما يهمنيش. وجا (مستر ألان) وما فتحش بقه بكلمة، قعد واستمع إلى وجهة النظر المصرية، وقال وجهة النظر الأمريكية بإيجاز.

فدى الضجة اللي حصلت بعد السلاح.. تهويش، تضليل، بيعاملونا

على أساس زمان.. فاهمين ان احنا سياسيين محترفين، ولكن استطاعت مصر أن تحافظ على عزتها، وأن تحافظ على كرامتها. قامت ضجة في كل مكان علشان الأسلحة، وتهديدات، وكنت باقرا الجرايد البريطانية والفرنسية والأمريكية كل يوم.. اقرا فيها العجب، شتيمة لا حد لها، وكنت أقول يعني إنهم يستطيعوا أن ينفسوا بهذا لسبب واحد؛ هم بيشتمونا مش علشان خدنا سلاح، بيشتمونا لأن احنا فلتنا.. فلتنا من الخية اللي كانوا عاملينها لنا.. فلتنا من السلاسل اللي كانوا بيحطونا فيها.. فلتنا، واستطعنا ان احنا غصب عنهم نبني بلدنا، نبني قوتنا، ونقرر سياسة مستقلة حقيقية.

دي ضجة الأسلحة، ودي صفقات الأسلحة.. طبعا الباقيين كانوا بيهددوا وبيتكلموا، ولكن أنا ليه كنت باتكلم هذا الكلام؟ كنت باتكلم وأنا مطمئن يا إخواني كل الاطمئنان، كنت باتكلم وأنا بشعر بالقوة، ليه؟ لأني كنت أشعر ان هذا الشعب جميعه 23 مليون كلهم حيكافحوا في سبيل العزة اللي تحققت، وفي سبيل الاستقلال لأخر قطرة في دمهم.. هذا الشعب جميعه.. ماكنتش باتكلم بقوة جمال عبد الناصر، أنا حاقاتل على أد ما أقدر، وزي ما قلت لهم لأخر قطرة في دمي، وفعلاً لأخر قطرة في دمي، ولكن كنت متأكد أيضا انكم جميعاً.. كل أبناء مصر حيقاتلوا لأخر قطرة في دمهم، مافيش تفرقة.. مافيش حزبية.. مافيش انقسامات ينفذوا منها كما كانوا ينفذوا في الماضي، وإنما نحن جميعاً كتلة وطنية، جبهة متحدة وراء أهداف هذه الثورة اللي قامت سنة 52 تعبر عن آمالنا. كنت أتكلم بقوة.. أتكلم بهذه الشجاعة لأني عارف إن ضهري مسنود.. مسنود بكم أنتم.. ومسنود بقوتكم، مسنود بعزيمتكم، مسنود بتصميمكم.

دا كان موقفي.. مش العملية شجاعة من جمال عبد الناصر، أو قوة من جمال عبد الناصر.. العملية شعب متحد، شعب قوي.. جمال عبد الناصر بيحس ان ضهره مسنود.. بيحس إنه وراه شعب قوي قاتل على مر الأيام، وكافح على مر الأيام، ومستعد أن يقاتل، ومستعد أن يكافح.. شعب قوي عرف طعم الحرية وعرف طعم العزة، وشاف لأول مرة علم بلده بيرتفع وحيد.. شعب قوي، حس بهذه الأحاسيس، مستعد إنه يقاتل، مستعد إنه يضحي زي ما ضحى محمود حافظ وصلاح مصطفى في الأسابيع اللي فاتت، وكانت آخر كلمة قالها صلاح مصطفى.. أخر كلمة قالها صلاح مصطفى بعد ما أغمى عليه يومين، قال: الحمد لله، بلغوهم في مصر علشان يخلوا بالهم.. كانت أخر كلمة قالها صلاح مصطفى؛ لأنه كان يؤمن بمبادئ.

دي الطينة اللي خلق منها هذا الشعب.. صلاح مصطفى واحد منكم، ابن تاجر في المنصورة، اتعلم في مدرسة المنصورة، وخرج في الفلاحين.. في الدقهلية وفي المنصورة، يحس بإحساسكم ويشعر بمشاعركم. كنت حاسس إن ورايا 22 مليون صلاح مصطفى، كل واحد فيهم حيضحى بدمه ويضحى بنفسه في سبيل إرساء قواعد العزة، وفي سبيل إرساء الاستقلال.

دا الدافع اللي كان بيديني القوة، ودا الدافع اللي كان بيخليني أكلم مندوب الحكومة الأمريكية بأساطيلها وقوتها وعظمتها هذا الكلام، وأقوله ان أنا حاطرده.. حاطرده لأني عارف ان الشعب المصري لن يقبل هذا، وسيكافح ضد هذا، وسيقاتل في سبيل حريته لأخر نقطة دم في عروقه.

وانتهت.. انتهت قصة المفاوضات والأحلاف الأولانية، وبعدين انتهت قصة السلاح، وبدأت قصة السد العالي.

في سنة 53 يا إخواني زي ما قلت لكم عملنا خطة للتنمية الإنتاجية؛ لزيادة الدخل القومي، وقلنا يجب ان احنا نزيد الدخل القومي بسرعة مضاعفة؛ لسبب.. احنا بنزيد كل سنة نص مليون، يعني بعد 30 سنة حنبقى حوالي 40 مليون، ومستوى المعيشة بتاعنا يعتبر مستوى معيشة منخفض.

إذن قدامنا عمليتين نعملهم؛ العملية الأولى ان احنا ننتج لرفع مستوى المعيشة، وننتج حتى نوجد دخل للنص مليون اللي بيجوا لنا كل سنة؛ يعني لازم إنتاجنا يكون مضاعف، الزيادة اللي علينا بتعوز زيادة في الدخل القومي، زيادة مستوى المعيشة تحتاج إلى زيادة في الدخل القومي. وابتدينا نفكر.. وجدنا ان مياه النيل بتتجه إلى البحر.. بتروح للبحر هدر كل سنة، قلنا: نستطيع أن نستفيد من مياه النيل.. فيه واحد جا قال لنا على مشروع.. مشروع السد العالي، من سنة 52، وضع موضع البحث سنة 53. هذا المشروع كان موجود من سنة 24، وكانوا بيقولوا على الراجل دا مجنون، ما كانش حد راضي يصدقه ووعنا هذا الموضوع موضع الدراسة، وبعدين قابلتنا عقبة التمويل. المشروع طلع مشروع صالح؛ يدينا حوالي مليون ونص فدان زيادة عن الأرض، يخلص بعد 10 سنين، يدينا كهربا حوالي 2 مليار كيلو وات، تزيد باستمرار. إذن مشروع فعلاً له دخل، وله تأثير في مستوى المعيشة وفي رفع الدخل القومي. قلنا: فلنتجه إلى تنفيذ هذا المشروع بجانب تنفيذ المشروعات الأخرى الخاصة بتنمية الإنتاج، وابتدينا نقابل عقبة التمويل.. ما عندناش فلوس كفاية علشان ندفع نفقات هذا المشروع؛ اللي هي حوالي ألف مليون دولار.. من 800 لـ 1000 مليون دولار على 10 سنوات.

في سنة 53 اتصلنا بالبنك الدولي كلكم طبعا دلوقت عندكم فكرة عن البنك الدولي بعد البيانات اللي طلعها والردود عليه اتصلنا به سنة 53 وطلبنا منه واحنا مشتركين في البنك الدولي ودافعين في صندوق البنك الدولي 10 مليون دولار من فلوسنا إنه يساهم معانا في تمويل هذا المشروع. فقال يعني: إن فيه عقبات، والأحوال عندكم لا تدعو إلى الاطمئنان، فيه الإنجليز وفيه إسرائيل، أما تسووا موضوعكم وخلافكم مع الإنجليز، وتسووا موضوعكم وخلافكم مع إسرائيل، نبقى نمول هذا المشروع، وكمان أنتم يعني ما عندكوش نظام برلماني، احنا نطلب منكم إنكم تعملوا استفتاء على هذا المشروع!

دا الكلام اللي قالوه، وكان كلام غريب جداً! أما رجع وزير المالية بهذا الكلام، كان من الواضح أن مافيش مساعدة حنالها من البنك الدولي، فقلنا نعتمد على أنفسنا، ونعتمد على شركات الصناعة اللي حتعاوننا في بناء هذا السد. اتصلنا بالشركات الألمانية وبالحكومة الألمانية، وبعدين قالوا إن هم مستعدين يدونا 5 مليون جنيه كقرض متوسط الأجل، وبعدين اتفقت الشركات الألمانية مع الشركات الفرنسية مع الشركات الإنجليزية طبعاً اتفقوا على إنهم حيأخدوا هذا المشروع لأنهم حيكسبوا منه؛ لأن المشروع بحوالي بليون دولار، أما حيشتركوا فيه طبعاً حياخدوا حوالي تلت هذا المبلغ أو نص هذا المبلغ في الحاجات اللي حيدوها لنا، فيه تنشيط لصناعتهم وبعدين قالوا لنا التلاتة كلهم 5 مليون على أساس قرض متوسط.

في شهر نوفمبر سافر وزير المالية إلى لندن وقابل وزير المالية الإنجليزي (مستر باتلر)، واتكلم معاه، فقال له: إن هم مستعدين يرفعوا هذا

القرض المتوسط الأجل من 5 مليون لـ 15 مليون مليون يعني يبقوا التلاتة 45 مليون يدونا قرض عملة أجنبية علشان تمول السد العالي، والباقي نكمله احنا عملة مصرية، فسافر وزير المالية إلى واشنطن على هذا الأساس.

الأمريكان قالوا: إنهم كانوا مقررين لمصر 40 مليون دولار معونة، كانوا مقررينها على الورق، لكم ما ادوناش دا الكلام دا كان في ديسمبر هم كانوا مقررينها من يونيو اللي قبله، لمصر 40 مليون دولار معونة، والمفروض انهم حيدوها لنا، ولكن كنا بنطالب، كان باين انهم مش ناويين أبداً يدونا هذه المعونة، فقالوا: طبعاً احنا نستطيع ان احنا نحول لكم هذه المعونة للسد العالي.

الإنجليز رجعوا في كلامهم، قالوا: إنكم تاخدوا قرض من البنك الدولي، وان احنا نديكم معونة 16 مليون دولار؛ فالإنجليز يدونا معونة 16 مليون دولار، يعني 5 مليون جنية، والأمريكان يدونا معونة حوالي 56 مليون دولار، يعني حوالي 20 مليون جنيه.

دي المعونة اللي هم عرضوها، 20 مليون جنيه من الأمريكان، و 5 مليون جنيه من الإنجليز، والبنك الدولي قال: إنه مستعد يدينا 200 مليون دولار بعد 5 سنين بعد البدء في المشروع بخمس سنين واحنا بقى في الـ 5 سنين الأولى علينا نصرف من مالنا ومن عرقنا 300 مليون دولار. احنا حنصرف من جيوبنا 300 مليون دولار، الإنجليز حيصرفوا 16 مليون دولار كمعونة، والأمريكان حيصرفوا 56 مليون دولار كمعونة؛ دي المرحلة الأولى من بناء السد العالي اللي هي الـ 5 سنين الأولى، وبدءوا على هذا يشترطوا ويتحكموا.

حدثت مباحثات في ديسمبر في أمريكا مع الحكومة الأمريكية مع مندوب الحكومة البريطانية ومع مندوب البنك الدولي، وأخر هذه المباحثات الطويلة المريرة جت اقتراحات من البنك الدولي. هذه الاقتراحات جواب من البنك الدولي بعته لي، بيقول: إنه مستعد يشترك في تمويل السد العالي بـ 200 مليون دولار، يعني بعد 5 سنين، وإن الـ 200 مليون دولار مش حاخدهم مرة واحدة، حاخدهم على أجزاء زي ما أنا عايز، كل جزء نتفاوض فيه، وبعدين حط في هذا الجواب شروط يجب ان مصر تتبعها علشان تستطيع انها تاخد هذا القرض من البنك الدولي.

البنك الدولي قال: يقدم البنك الدولي 200 مليون دولار إذا طلبها التمويل بالعملات الأجنبية، تمويل البنك دفع الفلوس دي يتوقف على الاتفاق على شروط القرض، وشروط القرض دي نتفاوض عليها من وقت لآخر، وطبعا يا نتفق يا ما نتفقش، وبعدين قال: إن هذا القرض يتوقف على الشروط الآتية:

يجب ان يطمئن البنك اطمئنان كامل إن العملات الأجنبية المطلوبة، اللي حتيجي من المنحة الإنجليزية والمنحة الأمريكية، ما تتقطعش، يعني البنك ربط نفسه بالمنحة الإنجليزية والمنحة الأمريكية، قال: اديكم 200 مليون دولار على شرط ان الإنجليز والأمريكان يكونوا راضيين عنكم ويدوكم المنحة

وبعدين الشرط التاني: يجب أن يتفاهم البنك البنك الدولي مع الحكومة المصرية، ويتفق معها من وقت لآخر.. يتفق على إيه؟ يتفق حول برنامج الاستثمار.. برنامجنا الخاص بالاستثمار والتصنيع لازم هو يتفق

معانا ويوافق عليه؛ وصاية من البنك الدولي على الحكومة المصرية! تاني حاجة.. حول الحاجة إلى ضبط المصروفات العامة للدولة مع الموارد المالية التي يمكن تعبئتها.. لازم أنا أتفق معاه ازاي أضبط مصروفات الدولة، ولازم البنك الدولي يوافق على هذا الكلام!

وبعدين لا تتحمل الحكومة المصرية أي دين خارجي.. ما نستلفش من حد أبداً ولا مليم، وكذا اتفاقات دفع.. ما نعملش اتفاق دفع زي اتفاق الأسلحة مع روسيا، ما نعملوش إلا بعد موافقة طبعا البنك.

كذا اتفاقات دفع تزيد عن الكميات المتفق عليها بين الحكومة المصرية والبنك بين وقت وآخر؛ حتى يكون البنك على بينة دائماً من أحوال مصر، وتتفاهم مصر مع البنك مقدما قبل الاتفاق على أي التزام.

وبعدين قال: إن تنظيم المشروع وتنفيذ المشروع وإدارة المشروع، وإدارة كل مرحلة من مراحل المشروع تخضع للاتفاق بين الحكومة المصرية والبنك.

كل الشروط دي، وبعدين الآخر كتب في آخر الجواب إيه؟ قال: وأخيراً يجب أن تعملون أن اتفاقات البنك للمساعدة في إقامة المشروع خاضعة بلا شك لإعادة النظر فيها إذا جدت ظروف استثنائية تستلزم ذلك.

دا الجواب اللي بعته لي البنك بعد مفاوضات ديسمبر.

الحكومة الأمريكية بعتت مذكرة، والحكومة البريطانية بعتت مذكرة، والبنك بعت الجواب دا. الحكومة الأمريكية تحيلني على مذكرة الحكومة البريطانية وجواب البنك، وجواب البنك يحيلني على مذكرة الحكومة

البريطانية ومذكرة الحكومة الأمريكية، مذكرة الحكومة الإنجليزية تحيل على دي... يعني العملية بقت عقدة، وظهر ان فيه هناك فخ بيعمل لنا للسيطرة على استقلالنا الاقتصادي.

هذا الكلام رفض رفض بات، وقلنا: ان احنا مش ممكن نبيع نفسنا بـ 70 مليون دولار معونة.

اتكلمنا مع الأمريكان، وقلنا لهم: هل فيه شروط زي دي على المعونات اللي بتعطى لإسرائيل؟ الـ 40 مليون اللي اعتمدوا لمصر كمعونة تعطى لنا علشان نصرفها ما أخدناهاش، ودلوقت بتقولوا نديها لكم تبعاً لشروط البنك الدولي، والبنك الدولي عايز يبعت مدير يقعد مطرحي في مصرن وحنقدر نمشي ازاي بهذا الكلام؟ هذا الكلام يتنافى مع سيادتنا، يتنافى مع استقلالنا، يتنافى مع مبادئنا.

قلنا لهم: إذا كنتم عايزين تدونا مساعدة، لدونا مساعدة على طول نصرفها زي ما نصرفها، وقارنا بين موقفنا وموقف العرب بإسرائيل، وقلنا: إنكم بتقولوا انتم أصدقاء العرب، إيه المساعدات اللي انتم بتدوها لإسرائيل؟! المساعدات اللي بتديها أمريكا لإسرائيل، واللي أنا ذكرتها وأذكرها لكم.. الهبة السنوية من الحكومة الأمريكية لإسرائيل منذ قيامها حتى الآن من 30 إلى 50 مليون دولار.. إسرائيل كل سنة بتأخد من أمريكا ما بين 30 و 50 مليون دولار. المساعدة الفنية اللي بتاخدها إسرائيل من أمريكا تبلغ سنوياً من 6 إلى 14 مليون دولار. المواد الغذائية الفائضة التي تهديها أمريكا لإسرائيل كل سنة 7 مليون دولار. رءوس الأموال الأمريكية

الموظفة في إسرائيل ومشاريع إسرائيل 214 مليون دولار. اللي اتباع من سندات قرض الدولار الإسرائيلي في أمريكا حتى الآن 234 مليون دولار. في 7/ 12 سنة 55 أعطى بنك أمريكا قرض لإسرائيل قدره 30 مليون دولار. ما جمع من جباية اليهود في أمريكا لإسرائيل حتى الآن ودا معفي من الضرائب بقانون أمريكي 3 آلاف مليون دولار. ما أعطى لإسرائيل من أمريكا من قروض رسمية 164 مليون دولار. ما أرسل من تبرعات وهدايا للمؤسسات الإسرائيلية 117 مليون دولار. مجموع التعويضات الألمانية التعويضات اللي بتدفعها ألمانيا الغربية النهارده، واللي وافقت على انها تدفعها سنة 53 بواسطة ضغط أمريكا 3 آلاف و500 مليون دولار. تدفع كل سنة جزء منها بضائع وسفن ومصانع.

برغم هذا عجز ميزانية إسرائيل التجاري في العام 230 مليون دولار، هذا العجز بيسدد كله من المساعدات الأمريكية، تبرعات يهود أمريكا في الستة شهور الأولى من 1956 بلغت 65 مليون.. في الست شهور الأولانيين من السنة دي 65 مليون دولار، يقابلها 58 مليون دولار جمعت خلال سنة 55 كلها.

دي المساعدات اللي بيدوها لإسرائيل، فاللي عايز يساعد بيدي، دا يعني موضوع بيرجع إلى الرغبة.. اللي عايز يعاون واحد بيدي له، وطبعاً إسرائيل زي ما نعرف ربيبة أمريكا؛ فهي بتاخد معونات؛ لأن إسرائيل بدون هذه المعونة لا تستطيع أن تعيش. دا بالإضافة إلى طبعاً حيدوهم معونة حاجات ما قلتهاش؛ يدوهم معونة علشان يوطنوا اللاجئين مش اللاجئين

العرب؛ اللاجئين الصهيونيين اللي جايين من شمال إفريقيا، واللي جايين من بلاد أوربا 50 مليون دولار بناء على اتفاقية بين أمريكا وبين إسرائيل.

اتكلمنا مع ممثلين أمريكا، وقلنا لهم: في فترة 5 سنين سيصرف على السد العالي 370 مليون دولار، 300 مليون مصر حتدفعهم و70 مليون انتم حتدفعوهم، وبعد كده المشروع اللي حيتكلف بليون دولار ألف مليون دولار البنك الدولي حيدفع منه 200، وانتم دفعتم منه 270، واحنا حندفع حوالي 730 مليون دولار، ازاي أنا اللي حادفع 730 مليون دولار أسلمك الخزنة بتاعتي، وأسلمك الحساب بتاعي، وما اعملش حاجة إلا بأوامرك؟! ما اعملش اتفاق دفع إلا أما آخذ إذن من البنك الدولي، ما اعملش قرض إلا أما آخذ إذن من البنك الدولي، ما أقدرش أقرر مشاريع داخلية إلا أما آخذ إذن البنك الدولي، ما أقدرش أقرر خطة تنمية إلا أما آخذ إذن البنك الدولي.. ازاي بس؟! مين يقبل هذا الكلام؟!

قلت لهم: ان احنا لنا تجربة في هذا.. تجربة، وان احنا استغلينا، وان احنا احتللنا على هذا الأساس، وإن النتيجة جا (كرومر) قعد لنا هنا في مصر. ورفضنا هذا رفض كامل، وقلنا: ان احنا لن نقبل هذه الطريقة.

في هذا الوقت.. في هذه الأيام حضر السفير الروسي، وقال: إن روسيا مستعدة انها تشترك في تمويل السد العالي دا بعد ديسمبر فأنا قلت له ان احنا بنتكلم دلوقت مع البنك الدولي، ونؤجل الكلام في التفاصيل.

ابتدينا نتكلم مع البن الدولي، عرفوا ان هناك عرض روسي، عرفوا اعتراضاتنا، وصل إلى مصر في فبراير 1956 فبراير الماضي مدير البن الدولي، وبعت جواب قال: إنه عايز نبعت له دعوة علشان ييجي يتكلم

معانا، وهو حيسهل كل هذه الأمور. وبدأت المفاوضات في شهر فبراير مع مدير البنك الدولي، وحينما قابلت مدير البنك الدولي، قلت له بصراحة.. قلت له احنا عندنا عقد من القروض والفوايد، وما نقدرش نفصل هذا عن السياسة، وان احنا احتلينا بسبب الفوايد وبسبب القروض وما نقدرش ننسى، هذا التاريخ عالق بذهننا وعالق بدمنا، لا يمكن أبداً ان احنا نقبل أي مادة تمس بسيادتنا.

وبعدين قلت له يعني أنا مش شايف كمان.. يعني مافيش ثقة، مش شايف حتى أما تشرفوا على ميزانيتنا انكم حتصلحوها؛ لأن فيه بلد جنبنا في الشمال انتم مشرفين على ميزانيتها لأنها عاملة اتفاقيات معاكم، واقتصادها منهار، وطالبة دلوقت تدوها قرض ما انتوش راضيين، فإذا كنتم انتم فعلاً يعني الإشراف بتاعكم بيصلح؛ كنتم صلحتم البلد اللي انتم واخدين فيها هذه المشاريع ويتدوها القروض. وان احنا نثق في نفسنا، وإن تقرير البنك الدولي للاقتصاد المصري بيقول: إن الاقتصاد المصري سليم، ومصر تستطيع انها تتحمل نصيبها في هذه النفقات.

وقلت له كان مفروض ان احنا نبتدي في يونيه الحالي.. نبتدي في يونيه الحالي أول مرحلة من مراحل المشروع والكلام دا كان في فبراير قلت له على هذا الأساس ما نقدرش أبداً نقرر البدء في المشروع قبل ما نعرف إيه الاتفاق النهائي اللي حييجي بينا وبينكم!

بعد مفاوضات طويلة قال: إن هو ما يقدرش يوقع اتفاق نهائي في الوقت الحالي؛ لأن هناك مسائل قانونية، ولغاية ما نحل اتفاق الميه بين

السودان ومصر.. وبعد ما نحل اتفاق الميه بين السودان ومصر بيبقوا يوقعوا الاتفاق، وأن احنا نقدر نبتدي من النهارده في المشروع معتمدين على السبعين مليون دولار اللي جايين لنا من أمريكا وإنجلترا.

وبعدين هل إنجلترا وأمريكا حتدينا معونات تاني غير الـ 70 مليون دولار؟! هم المفروض كانوا قايلين حيدونا 40 مليون دولار كل سنة، دلوقت بيقولوا 5 سنين حيدونا 70 مليون دولار، فقالوا: إنهم ما يضمنوش انهم يقولوا لنا على المستقبل يقدروا يدونا أكتر من السبعين مليون دولار أو لأ!

ظهر الفخ اللي في العملية؛ ظهر ان احنا ناخد السبعين مليون دولار ونبتدي نبني المشروع، واحنا طبعاً متحمسين عايزين نبني السد العالي، وكل يوم بنقوم ونقول: السد العالي وبناء السد العالي وفعلاً احنا كنا ابتدينا في عمل طرق، وابتدينا في إنشاء محطات هناك وبناء بيوت للعمال، وبعد ما نمضي المشروع بعد ما نبتدي في البناء ونصرف فلوس، حنبتدي نصرف الـ 300 مليون دولار وناخد الـ 70 مليون دولار المعونة الأمريكية، نيجي نطلب من البنك الدولي انه يوقع معانا الاتفاق النهائي علشان يدينا الـ 200 مليون دولار، سيفرض البنك الدولي شروطه، وحنكون قدام حاجة من الاتنين؛ يا إما نرفض هذه الشروط، يقول: ارفضوا ما اديكوش.. مافيش.. يا تقبلوا شروطي.. مافيش، وبعدين نيجي ونقف في وسط المشروع ونبقى صرفنا 300 مليون دولار هباء، نبقى رميناها في البحر، أو نضطر ان احنا نخضع ونستسلم ونقبل شروط البنك الدولي انه يبعت واحد يقعد مطرح وزير المالية، ويبعت واحد يقعد مطرح وزير التجارة، ويبعت واحد يقعد مطرحي، واحنا نبقى قاعدين في هذه البلد ما نعملش حاجة إلا بعد ما ناخد

منهم التعليمات وناخد منهم الأوامر.

دا الفخ اللي ظهر، وبعدين قررنا، وأبلغنا مدير البنك الدولي ان احنا قررنا ألا نبدأ في السد إلا بعد توقيع اتفاقية المياه مع السودان الشقيق، وبعد توقيع الاتفاق النهائي مع البنك الدولي، ونعرف شروطه إيه، وأوله إيه ونهايته إيه، وان احنا ادينا أوامر بإيقاف العمل في هذا المشروع من شهر فبراير في الحاجات اللي ماشية هناك؛ حتى لا ندخل في مغامرة يتحكم فينا الاستعمار بسببها، ويحاول أن يستغلنا اقتصادياً ويسيطر علينا اقتصادياً بعد أن فشل في أن يستغلنا سياسياً ويسيطر علينا سياسياً.

وبلغنا هذا الكلام لمدير البنك الدولي، ومدير البنك الدولي قال: طيب أنا مستعد أغير الشروط، وأبعت لكم جواب مافيهش الكلام اللي أنتم بتشتكوا منه. قلت له هل تضمن لي إن الجواب اللي حتبعته مافيهش هذا الكلام هو الاتفاق النهائي، واللا هذا الجواب اللي أنا حابتدي على أساسه المشروع شيء والاتفاق النهائي شيء آخر؟ فلم يضمن أن يكون الاتفاق النهائي مماثل للجواب.

قلت له نكتب الاتفاق دلوقت ونمضي عليه دلوقت ونؤجله، نقول ينفذ بعد توقيع اتفاقيه المياه مع السودان، بس نكون عارفين قبل ما نبتدي إيه شروطكم. فرفض، وقال: لأ ما نقدرش نمضي اتفاق إلا بعد ما تتفقوا مع السودان وتحلوا مشاكلكم القانونية، وانتم تقدروا تبتدوا دلوقت في المشروع بفلوسكم بالسبعين مليون دولار وبعدين في نص السكة نبتدي نتفاوض علشان نعقد لكم القرض.

طبعاً كانت هناك خدعة.. كان هناك خديعة كبيرة جداً.. العملية توريط

علشان نتذل لهم، ونقع تاني تحت رحمتهم، يتحكموا فينا. قدامنا حلين: يا نبني السد ونسيبه ككوبري، وما نرضاش نقبل شروطهم، يا نقبل شروطهم علشان نكمل السد، في نفس الوقت تكون فلوسنا الـ 300 مليون دولار استنزفت وراحت في الهوا بدون أن نأخذ منها أي نتيجة.

قررنا ألا نبدأ في السد إلا بعد أن نعلم كل العلم كيف سيمول السد، بعد ما نتفق مع البنك الدولي اتفاق نهائي، وبعد ما نتفق على اتفاقية الميه، وبعد ما نمول مواردنا، وقبل ما نبتدي في الطريق نعرف ازاي حننتهي. وفي فبراير الماضي أوقفنا هذا العمل كله، ومدير البنك الدولي بعت لنا جواب.. طبعاً هذا الجواب ليس له قيمة، وأنا من هذا الوقت باعتبر ان هذا الجواب مالوش قيمة؛ لأنه جواب بيقول: ان أنا حاشترك معاكم بـ 200 مليون دولار بعد حل الميه مع السودان، الفلوس تاخدها على أقساط بمفاوضات بين البنك وبينكم. لكن طبعاً هذا الجواب مافيش بنك يصرفه.. ليس له أي قيمة، والأيام اللي فاتت دي أثبتت طبعاً انه مالوش أي قيمة وليس له أي اعتبار. رغم هذا قررنا ان احنا نوقف وما نبتديش لغاية ما نعرف الطريق السليم، وبعدين الجواب اللي بعته لنا البنك الدولي ماكانش فيه أي حاجة تمس سيادتنا، أو سيطرة على ماليتنا، أو كلام من دا فقبلنا هذا الجواب.

ولكن كانت هناك مذكرة الحكومة البريطانية ومذكرة الحكومة الأمريكية؛ اللي كانوا بعتوها مع الجواب الأولاني، وبيقولوا فيها برضه بعض حاجات تمس سيادتنا، وتبين أن هناك نية إلى سيطرة اقتصادية وتحكم اقتصادي.

ففي فبراير السفير الأمريكي والسفير الإنجليزي في مصر بلغوا ان

احنا غير موافقين على هذه المذكرات، وانكم إذا كنتم عايزين تقدموا هذه المعونة قدموها ولكن بمذكرة تشيلوا منها كل كلام يبين انكم حتسيطروا على سياستنا أو على سيادتنا أو على اقتصادنا، وأي كلام يمثل السيطرة على استقلال مصر، والكلام دا. راحت المذكرتين للحكومة الأمريكية والحكومة البريطانية من فبراير، وطبعاً ما رجعش أي رد عن المذكرتين حتى الآن.

في مارس.. قبل مارس في 29 فبراير، كان الكلام اللي قبل كده بيقولوا إنهم.. بريطانيا عايزة تتوسط بينا وبين إخوانا السودانيين في سبيل الوصول إلى تفاهم، فجا (سلوين لويد) في 29 فبراير وتقابلنا عندي في البيت، وابتدا يتكلم إنه عايز.. بيعرض انه يعاون على حل المشاكل الخاصة بالمياه بينا وبين السودان. فأنا قلت له والله إن تصرفاتكم تدل على انكم ما انتوش بتحلوا المسائل ولكن بتعقدوا المسائل، تصرفاتكم في السودان وتصرفات جرائدكم ومحطة إذاعتكم كلها متجهة إلى إثارة السودانيين ضد السد العالي، وهذه وقائع ملموسة. جميع المقالات اللي في جرايدكم، محطة إذاعة لندن، محطة إذاعة الشرق الأدنى اللي هي بتاعة الإنجليز كلهم بيقولوا تعليقات الغرض منها بث روح الخوف والرفض في إخوانا السودانيين. بعدين قلت له والأنكى من هذا سفارتكم في الخرطوم بتلم المقاولات دي كلها وطبعتها في كتاب ووزعتها في الخرطوم، وبتقول للسودانيين: إن السد العالي ضد مصالحكم، وإن السد العالي ضدكم، وانكم كذا وكذا وكذا، ودا يفهمني انكم عايزين تخلقوا عداء بين مصر والسودان، دا كلام مع (سلوين لويد.)

فمنين هذه الوقائع الملموسة بتحصل، ومنين انت دلوقت جاي بتقول إنك عايز تقوم بدور وسيط بين مصر والسودان، أو تساعد على

حل المشاكل المعلقة بالسودان؟ كان الواضح يا إخواني ان الإنجليز بكل قوة، وبكل ما يستطيعوا من قوة بيحاولوا يبثوا روح الكراهية في إخوانا السودانيين؛ لأن الإنجليز طبعاً يهمهم ان احنا نقع مع السودان، وإذا وقعت مصر مع السودان سيستطيعوا هم انهم ينفذوا لحماية أي منهم ضد الآخر.

الكلام دا حصل في فبراير.. في نفس الوقت وقف (لورد كليرن) كلنا نعرف (اللورد كليرن) في مجلس اللوردات البريطاني وقعد يشتم في مصر ويقول: مصر ازاي نديها المساعدة؟ مصر ازاي نعاونها؟ مصر اللي ما بتسمعش كلامنا، مصر اللي النهارده بتنادي بحرية، وبتتزعم الدعوة التحريرية، وبتحاربنا في كذا، ازاي نديها الـ 5 مليون جنيه؟! فيجب ان احنا ما نديش مصر الـ 5 مليون جنيه.. ويجب ان احنا ما نديش مصر 5 مليون جنيه ونقطع عنها هذه المعونة... وكلام في منتهى البذاءة.. كلام من (لورد كليرن).. طبعاً كلكم عارفين مين هو (اللورد كليرن)، وبدأ في مجلس العموم كلام بهذا الشكل.

في يوم 14 مارس قابلت السفير البريطاني في البيت، وقلت له احنا شعب عاطفي، يمكن احنا نفضل الكلمة الحلوة عن مليون دولار، ولا نقبل الشتيمة بـ 15 مليون دولار، والكلام اللي بيتقال عندكم من النواب واللوردات و (كليرن) بالذات كلامه لا نقبله. احنا ما طلبناش منكم هذه المعونة، واحنا قبلناها حتى لا يكون رفضنا لها يعتبر إهانة. انتم اللي عرضتم انكم تدفعوا 5 مليون، احنا ما رضيناش نقول لأ، واحنا دولة مش غنية قوى لكن دولة غنية، الـ 5 مليون نستطيع ان احنا نوفرهم. وقلت له احنا نستطيع نوفر 5 مليون جنيه، لو دقينا زلط زيادة شوية وطلعنا طوب

زيادة شوية من مصر نجيب الـ 5 مليون جنيه اللي انتم بتدوهم معونة، فاحنا واخدين هذه المعونة علشان ما نرفضهاش، وعلشان ما يانش ان دا يعني خطوة من مصر بترفض علامة حسنة منكم. قبلناها، ولكن إذا تكرر هذا الكلام فاحنا حنرفضها، واحنا نستطيع ان احنا نشتغل زيادة شوية، نكسر طوب زيادة شوية، نجيب 5 مليون جنيه في مصر؛ لأن دخلنا القومي أكتر من 900 مليون جنيه.

وسار الحال على هذا الأساس، وبعدين ما ردتش لا الحكومة البريطانية ولا الحكومة الأمريكية على المذكرات اللي احنا بعتناها.

طبعاً حصل في فبراير تاني حصل في أواخر فبراير ان (جلوب) انطرد من الأردن، وان (سلوين لويد) لما راح البحرين حاصروه هناك وضربوه بالطوب، وبيقولوا: دا نتيجة كلام مصر. وحصلت اضطرابات في عدن نتيجة ان العمال طالبين رفع الأجور، وبدأت حملة شنيعة من أول مارس في الصحافة البريطانية ضد مصر، لدرجة ان فيه واحد نائب اسمه (فريزر).. (يوز فريزر)، قال: احنا لازم نشوف لنا طريقة نخلص من مصر، نروح نعمل سد عند النيل من أوغندا وكينيا ونمنع الميه عن مصر علشان نخلص منها خالص! دا يعني يبين الجنون اللي وصلوا إليه هؤلاء الناس.

بدأت حملة شديدة من الكراهية.. ان احنا بنهددهم في أرزاقهم، وان احنا بنهددهم في البترول اللي بياخدوه. وأنا أعلنت واديت تصريح في الصحف البريطانية، وقلت ان احنا ليس لنا أي دخل في المصانح الاقتصادية المشروعة لأي دولة في هذه المنطقة زي الكلام اللي طلع في

مؤتمر بريوني ولكننا نقاوم ما تسمونه بمناطق النفوذ.. لا يمكن ان احنا نبقى منطقة نفوذ لحد.. لا يمكن أبداً أن يقف واحد في البرلمان الإنجليزي أو مجلس العموم ويقول منطقة النفوذ البريطانية في الشرق الأوسط أو منطقة النفوذ في مصر، دا موضوع ما نقبلوش، أما مصالحكم المشروعة احنا موافقين عليها.. ليس لنا أي اعتراض عليها.. مصالحكم الاقتصادية المشروعة ليس لنا أي اعتراض عليها.

في شهر يونيو سنة 1956 الشهر اللي فات تقررت زيارة وزير خارجية روسيا إلى مصر (مسيو شيبيلوف) وفي نفس الوقت بعت مدير البنك الدولي قال: إنه عايز ييجي في هذا الوقت، قلنا له: اتفضل أهلاً وسهلاً. حدثت المحادثات.. حدثت محادثات بين الحكومة المصرية و (مسيو شيبيلوف) وزير خارجية الاتحاد السوفيتي وعرض وزير خارجية الاتحاد السوفيتي استعداده لمعاونة مصر في جميع الميادين التي تطلب المعونة فيها، إلى درجة إعطاء قروض طويلة الأجل (تصفيق)، وقال: إن كل حاجة سيتعاونوا فيها حتكون بدون قيد ولا شرط، وان احنا اللي علينا نطلب منهم. وقال: ان احنا ما احناش عايزين منكم مواد خام؛ لإن احنا عندنا جميع المواد الخام، وقال أيضاً (شيبيلوف) وزير خارجية روسيا قال، وقال لي هذا الكلام: ان احنا مش عايزين نوقع بينكم وبين الدول الغربية؛ لإن احنا بنتجه إلى السلام ويهمنا أن يكون فيه سلام بينكم وبين الدول الغربية، وقال: ما تعتبرش ان احنا غرضنا من ان احنا نتعاون معاكم ان احنا نثيركم على الدول الغربية أو نخلق اضطرابات، احنا بنعمل الآن على كسر حدة التوتر في العالم؛ ولهذا سياستنا انكم تكون علاقتكم كويسة مع الغرب،

واحنا نتعاون معاكم، ولا نهدف أبداً إلى إثارتكم مع الغرب.

شكرت وزير خارجية روسيا على هذا الكلام، وقلت له ان احنا نؤجل الكلام في التفاصيل لحين زيارتي إلى روسيا في شهر أغسطس.

تاني يوم جا مدير البنك الدولي.. وجا قابلني في البيت بالليل الساعة 10 أو بعد 10، وقال: إنه جاي ليؤكد ان البنك الدولي عند وعده اللي قاله في شهر فبراير، وانه مصمم على تمويل هذا المشروع، وانه يستطيع انه يقول إن الحكومة الأمريكية والحكومة البريطانية وهو متصل بهم برضه عند هذا الوعد، فقلت له: واحنا برضه عند الكلام اللي كنا فيه في فبراير حنتفاوض ونتفاهم، وما احناش حنبتدي المشروع إلا بعد ما نصل إلى الاتفاق النهائي.

دا الكلام اللي حصل لغاية حوالي 20 يونيو من الشهر الماضي. وصل سفيرنا في أمريكا إلى مصر، وقابل (دالاس) قبل ما ييجي،وجا قال لي: إنه هو في مقابلته (لدالاس).. هم عايزين يمولوا المشروع ويستمروا في معونة المشروع، ولكن همه حاسين أن احنا ما احناش عايزين. قلت له والله احنا عايزين هم يمولوا المشروع واحنا حاسين إن هم مش عايزين، دا اللي احنا حاسينه، وإنك انت تقدر تسافر هناك وتقول لهم: ان احنا عايزين نتكلم ونتفاوض لتمويل هذا المشروع.

وصل أحمد حسين سفيرنا في واشنطن إلى مقر عمله على انه يقابل (دالاس) ويبعتوا الرد على المذكرات اللي احنا بعتناها، ويقولوا لنا رأيهم النهائي في هذا الموضوع.

وبعد يومين أعلنت الحكومة الأمريكية بيان في الصحف، وصفت البيان دا أول امبارح بما يستحقه حاقراه النهارده أذاعته وزارة الخارجية يوم 20 / 7 قالت فيه: إنهم اشتركوا في ديسمبر 55 مع إنجلترا ومع البنك الدولي في عرض مساعدة مصر، وبعدين قالوا: إن هذا المشروع ذو جسامة بالغة، إتمامه يستغرق زمن يتراوح بين 12 سنة و 16 سنة، تقدر نفقاته بنحو 1300 مليون دولار، منها أكثر من 900 مليون دولار بالعملة المحلية. وبعدين اتكلموا على حقوق في مياه النيل.. هذا المشروع لا يؤثر في حقوق مصر ومصالحها وحدها، بل يؤثر كذلك في حقوق بلاد أخرى ومصالحها، تساهم في مياه النيل، ومنها السودان وإثيوبيا وأوغندا.

طبعاً أول مرة يثيروا إثيوبيا وأوغندا، وبرضه بيحاولوا يعملوا فتنة بين مصر وبين السودان زي ما قلت لكم في الأول بهذا البيان. هم يهمهم طبعاً ان الدول في هذه المنطقة تتخانق مع بعضها، وكل دولة تقع مع التانية، وكل دولة تروح تقول لأمريكا: تعالى ساعديني أحسن الدولة دي تعتدي على والدولة دي تغتصب مني كذا، وبهذا ييجوا هم ويتحكموا في هذه المناطق.

لم يثار ولا في تقرير البنك الدولي موضوع إثيوبيا ولا موضوع أوغندا. ولا موضوع السودان أنا بلغتهم انكم مالكوش دعوة بموضوع السودان، لا عايزين وساطتكم ولا عايزين مساعدتكم ولا عايزين منكم أي حاجة، ان احنا اتكلمنا مع السودانيين، وإخوانا السودانيين متفاهمين معانا، جميع الفئات. أما جا هنا إسماعيل الأزهري اتكلمت معاه، والراجل كان مستعد لأن نتفاهم، واحنا كنا مستعدين نتفاهم، ماكانش واحد فينا بيحذد... حينما وصل الميرغني حمزة وزير الري في السودان اتكلمنا وكل واحد فينا ريح

التاني، ما حصلش شد وجذب، ماكانش باين ان احنا بنختلف اختلاف مرير، أما جا عبد الله خليل رئيس وزارة السودان الحالي كانت روحه طيبة جداً.

دي روح إخوانا السودانيين بجميع فئاتهم وبجميع أحزابهم، مافيش داعي بقى للإنجليز ولا الأمريكان يتدخلوا علشان يتوسطوا، واللا علشان يحاولوا انهم يقربوا. قلت لهم يعني انتم مالكوش دعوة، بس بلاش المنشورات اللي بتوزعوها والكراسات اللي بتوزعوها ضد المشروع. لكن طبعاً وزارة الخارجية قايمة بتقول: مصالح السودان ومصر. مصالح السودان ومصر تقررها السودان ومصر، وإيه دخل واشنطن في هذا الموضوع؟.. إيه دخل أمريكا في هذه العملية؟!

مصر والسودان اتخلقوا بهذا الشكل، مربوطين في بعض ماحدش حيقدر يفصلهم أبداً، موجودين من أول الخليقة حتى الآن؛ مصر في الشمال والسودان في الجنوب. مافيش دولة منهم حتعزل حتروح أمريكا الشمالية ولا أمريكا الجنوبية، قاعدين هنا إلى أبد الآبدين، دا كلام يعني طبيعي، موضوع مفروغ منه، هم دخلهم إيه؟! ولكن حب الوصاية، وحب التحكم، وحب السيطرة، وإثارة النفوس، وإثارة المنازعات، وخلق البلبلة.

وبعدين طبعاً دخلوا أوغندا علشان يدخلوا إنجلترا؛ لأن أوغندا تعتبر مستعمرة بريطانية، فبقت مصالح إنجلترا في مياه النيل، وبعدين الحبشة.

وبعدين البيان قال: إن هناك اعتبار هام آخر يتعلق بإمكان تنفيذ المشروع، ومن ثم بجدوى المعونة الأمريكية المعونة الأمريكية اللي هم الـ 54 مليون دولار، واللا الـ 56 مليون دولار المعونة الأمريكية من

الناحية العملية وهو استعداد مصر وتوافر القدرة لديها على تركيز مواردها الاقتصادية في هذا البرنامج الإنشائي الضخم، ولم تكن التطورات التي شهدتها الشهور السبعة الماضية ملائمة لنجاح المشروع.

وعلى هذا انتهت أمريكا إلى أنه من غير العملي في الظروف الحاضرة أن تشترك في المشروع؛ إذ لم يتم الاتفاق بين الدول المشتركة في مصادر مياه النيل، كما أن مقدرة مصر على تخصيص موارد كافية تضمن نجاح المشروع باتت أكثر افتقاراً إلى التوكيد مما كانت عليها عند تقديم العرض.

التطورات اللي ظهرت في الشهور السبعة الماضية، إيه هي؟ يا ترى دي تطورات اقتصادية واللا تطورات سياسية؟ فيه حاجة غريبة كمان في هذا البيان الأمريكي أنا ما قريتهاش، بتقول: بيتكلموا.. وزير خارجية أمريكا بيكلم الشعب المصري؛ يعني بيقول: القرار دا لا ينم على تغيير في العلاقات الودية بين الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي والشعب المصري؛ يعني الكلام اللي احنا بنتكلم فيه دا بيتعلق بجمال عبد الناصر بس، ما بيتعلقش بالشعب المصري، هم بيتكلموا رأساً إلى الشعب المصري. طبعاً طريقة يعني باين فيها... واحنا خبرناها بمئات السنين آبائنا وأجدادنا وعارفين الطرق دي.

إيه التطورات اللي حصلت في السبع شهور الماضية؟ بيشككوا في الاقتصاد. في السبع شهور الماضية الاقتصاد المصري والإنتاج المصري تدعم وزاد، من الناحية الاقتصادية في سنين الثورة، وأنا حاقرا لكم كلام جاي في تقرير للأمم المتحدة، اللي هو الكتاب الإحصائي السنوي للأمم المتحدة. الكتاب الإحصائي السنوي للأمم المتحدة بيقول: زاد مجموع

الدخل القومي المصري من 748مليون جنيه سنة 52 إلى 780 سنة 53 ثم إلى 868 سنة 54. يعني احنا بنشتغل وبننتج وثروتنا بتزيد، ووضعنا الاقتصادي زاد.. دخلنا القومي كان 748 سنة 52، (سنة 54 بقى 868، يعني زدنا 120 مليون جنيه في سنتين.. دخلنا زاد 120 مليون جنيه في سنتين.

زاد مجموع الدخل الزراعي في سنة 55 / 54 بمبلغ 38 مليون جنيه أي15٪، بلغ 420 مليون جنيه بعد أن كان 382، زاد الإنتاج الزراعي من 123٪ سنة 52 إلى 131٪ سنة 54، برضه دا من نفس الكتاب الإحصائي بتاع الأمم المتحدة سنة 55.

سجل الإنتاج الصناعي في سنة 55 تقدماً كبيراً؛ إذ تراوحت نسبة الزيادة في فروعه المختلفة بين 15٪ و 25٪، وأنا اتكلمت عن هذا في خطبتي اللي قلتها في أول يونيو في التعاون، بلغت الزيادة أقصاها في إنتاج الحديد والزهر.. زاد إنتاج الحديد والزهر 094٪

انتعشت حركة المبادلات الخارجية فبلغت الصادرات المصرية في المدة من أول يناير إلى آخر يونيه سنة 56 (91) مليون جنيه؛ أي بزيادة قدرها 21 مليون جنيه... إلى آخر البيانات الاقتصادية اللي معروفة، واللي اتنشرت في الميزانية.

إيه التطورات اللي حصلت في السبع شهور الماضية؟ هم بيحاولوا يبينوا ان هي تطورات اقتصادية، التطورات تطورات استقلالية، تطورات حرية، تطورات عزة، تطورات كرامة.. التطورات اللي حصلت في السبع شهور الماضية ان احنا بنينا سد للعزة والكرامة، سد للحرية والاستقلال ضد الأطماع.. التطورات اللي حصلت ان احنا صممنا نقوى جيشنا ونسلح

جيشنا، صممنا تكون لنا شخصية مستقلة، صممنا تكون لنا حرية مستقلة.

الغرض طبعاً من هذا الإجراء اللي أعلن يوم 20 يونيو.. وأنا باتكلم عن الحكومة الأمريكية مش حاتكلم عن الحكومة البريطانية؛ لأن الحكومة البريطانية أعلنت يوم 21، تاني يوم بعدما أعلنت الحكومة الأمريكية بعد ما وصلها الجواب من أمريكا، والبنك الدولي طبعاً أعلن بعد بريطانيا برضه، بعد ما وصلته التعليمات من أمريكا، فأنا باتكلم عن أمريكا في هذا الموضوع، إيه الغرض من هذا؟ بيعاقبوا مصر؛ لأن مصر رفضت أن تقف بجوار التكتلات العسكرية. مصر نادت بالسلام وتحقيق حقوق الإنسان، مصر نادت بالمبادئ اللي كتبوها هم في ميثاق الأمم المتحدة ونسيوها.. كتبوها بعد الحرب العالمية التانية ونسيوها، هي اللي احنا بنادي بها النهارده: الحرية، حق تقرير المصير، القضاء على الاستعمار، عدم الانحياز، التعايش السلمي الإيجابي، التعاون مع جميع الدول، نعادي من يعادينا ونسالم من يسالمنا. ذا الكلام اللي بتنادي به مصر، ازاي نقدر نقول هذا ولا نسمعش كلام الكونجرس الأمريكي اللي بيمثل تكساس، اللي بيمثل مش فاهم إيه؟! ليه؟ ازاي ما ناخدش أوامرنا من هناك؟!

ويقفوا أعضاء الكونجرس.. من قيمة شهر ونص أو شهر وقف واحد من أعضاء الكونجرس يقول: ازاي مصر تتبع هذا الكلام وتتبع سياسة وما تسمعش كلامنا؟! اقطعوا المعونة عنها و... و... و... إلى أخره، ما تدوهاش المعونة اللي بتاخدها. واحنا ما بناخدش ولا مليم معونة منهم، حاجة يعني غرور وتحكم في الشعوب.

احنا رفضنا ان احنا نقبل هذا التحكم.. نقبل هذه السيطرة، بيعاقبونا

بهذا بالـ 70 مليون دولار اللي كانوا حيدوهم لنا على خمس سنين بـ 12 مليون دولار فوائد وبيعاقبونا على هذا على أساس ان احنا بنعمل مشروع تنمية وعايزين ننمي الإنتاج ونرفع مستوى الإنتاج في البلد، فبيقولوا: إنهم حيعطلوا لنا هذا، وبيقولوا في جرايدهم: ان احنا بنعمل الكلام دا علشان الشعب المصري يعرف ان ناصر ضره، والشعب المصري يبقى يعني يضغط عليه علشان يسمع كلام الأمريكان وكلام أمريكا.

دا الكلام اللي بيقولوه في جرايدهم، ما يعرفوش ان أنا بارفض لأن الشعب المصري مش موافق على هذا الكلام اللي بيطلبوه، العملية بهذا الشكل، إجراء...

احنا كنا مأجلين السد العالي، هم ابتدوا يقولوا ويتكلموا على تمويل السد العالي. حينما وصل (بلاك) اللي هو مدير البنك الدولي وابتدا يتكلم معايا في تمويل السد العالي وقعد يقول: ان احنا بنك دولي، احنا ما احناش بنك سياسي، وأنا ماليش دعوة بأمريكا مطلقاً، أنا مستقل أقول الرأي اللي أؤمن به، فأنا قلت له إن مجلس الإدارة بيمثل دول، كيف يكون مجلس الإدارة بيمثل دول وما يكونش بنك سياسي؟ طبعاً أنت بنك سياسي؛ لأن ما تقدرش تعمل أي قرار إلا إذا وافق عليه مجلس الإدارة اللي بيمثل الدول، ومجلس الإدارة أغلبه من الدول الغربية اللي ماشية في فلك أمريكا.

وابتدأت أنظر إلى (مستر بلاك) اللي هو قاعد على الكرسي وكنت أتخيل ان أنا قاعد وقاعد قدامي (فرديناند ديلسبس)، رجع بي التفكير إلى الكلام اللي كنا بنقراه سنة 1854؛ وصل مصر (فرديناند ديلسبس)

وراح لمحمد سعيد باشا اللي هو الخديوي، وقعد جنبه وقال له: عايزين نحفر قنال السويس، قنال السويس حتفيدك فائدة لا حد لها، قنال السويس مشروع ضخم سيعيد لمصر الكثير.

كل (بلاك) ما كان يقعد يتكلم وأحس بالعقد اللي موجودة، والحاجات اللي موجودة في الكلام اللي موجود، يرجع بي التفكير إلى (فرديناند ديلسبس). وبعدين قلت له اسمع.. ان احنا عندنا عقدة من هذه المواضيع، ما احناش عايزين نجيب (كرومر) في مصر تاني علشان يحكمنا. عملوا زمان قروض وفوايد على القروض، والنتيجة ان بلدنا احتلت، فأرجوك في كلامك معايا تحط هذا الاعتبار في نفسك؛ عندنا عقدة من (ديلسبس)، عندنا عقدة من (كرومر)، عندنا عقدة من الاحتلال السياسي عن طريق الاحتلال الاقتصادي.

دي الصورة اللي صورت؛ صورة (ديلسبس) حينما وصل إلى مصر. وصل (ديلسبس) إلى مصر في 7 نوفمبر سنة 1854، حاحكي لكم هذه القصة: جا إسكندرية، وبدأ يعمل في حذر وخديعة. في 30 نوفمبر سنة 1854 بعد أن اتصل (ديلسبس) بالخديوي محمد سعيد حصل على امتياز القنال في 30 نوفمبر 1854. في صدر الامتياز اللي منحه سعيد (لديليسبس) قال الآتي: حيث أن صديقنا (مسيو فرديناند ديلسبس) قد لفت نظرنا إلى الفوائد التي قد تعود على مصر من توصيل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر نفس القصة بواسطة طريق ملاحي للبواخر الفوائد اللي تعود على مصر وأخبرنا عن إمكان تكوين شركة لهذا الغرض من أصحاب رؤوس الأموال، فقد قبلنا الفكرة التي عرضها علينا، وأعطينا بموجب هذا تفويضا

خاصاً لإنشاء وإدارة شركة لحفر قنال السويس، واستغلال القناة بين البحرين.

دا.. الكلام دا كان سنة 1854. في سنة 1856 من 100 سنة بالظبط طلع فرمان، اتكونت الشركة، مصر خدت من الشركة 44٪ من الأسهم والتزمت بالتزامات (لديلسبس). شركة (ديلسبس) خاصة مالهاش دعوة لا بحكومات، ومالهاش دعوة بسيطرة ولا باحتلال.. مالهاش دعوة بالاستعمار. (ديلسبس) بيقول للخديوي: أنا صديقك جاي عايز أفيدك وأعمل لك قناة بين البحرين تستفيد منها.

اتكونت شركة قناة السويس، اشتركت مصر بـ 44٪ من الأسهم، وتعهدت مصر بإنها تدي العمال اللي يحفروا القنال كسخرة 120 ألف عامل ماتوا في حفر القنال مجاناً. حفرت القنال بأرواحنا وجماجمنا وعظامنا ودمائنا، دفعنا 8 مليون، وبعدين علشان (ديلسبس) يتنازل عن امتيازات أو بعض الامتيازات كنا بندفع له تعويضات. كان مفروض ان احنا ناخد أيضاً 15٪ من الأرباح اللي زيادة على الأرباح اللي بتاخدها هذه الأسهم 44٪ أسهم، 15٪ من الأرباح تنازلنا عن 15٪ من الأرباح، وبعد ما كانت القناة محفورة لمصر زي ما قال الخواجه (ديلسبس) للخديوي بقت مصر ملك للقناة.

في اتفاق 22 فبراير سنة 1866 ابتدأت الاتفاقات، مادة 16، قال: بما أن الشركة العالمية لقنال السويس البحرية شركة مصرية فإنها تخضع لقوانين البلاد وعرفها. هل خضعت فعلاً لقوانين البلاد وعرفها؟ لغاية دلوقت لم تخضع لقوانين البلاد ولا عرفها، بل تعتبر نفسها دولة داخل

الدولة. المنازعات التي تنشأ بين الشركة ومصر في مصر بين الشركة والأفراد من أي جنسية، تختص بالفصل فيها المحاكم المصرية تبعاً للأوضاع التي تقررها قوانين البلاد وعاداتها.. تختص المحاكم المصرية بالفصل في المنازعات التي قد تنشأ بين الحكومة المصرية والشركة، ويقضي فيها طبقاً للقوانين المصرية.

نتيجة الكلام اللي قاله (ديلسبس) للخديوي سنة 1856 والصداقة والديون.. النتيجة احتلال مصر سنة 1882. مصر اداينت في هذا الموضوع، عملت إيه؟ اضطرت مصر في عهد إسماعيل إنها تبيع نصيبها الـ ٪44، على طول إنجلترا بعتت تشتري الـ ٪44 نصيب مصر في قنال السويس، تشتريها بكام؟ بـ 4 مليون جنيه. وبعدين كان إسماعيل متنازل عن الأرباح اللي كان بياخدها، ٪5 للشركة نظير تنازلها عن بعض الامتيازات اللي اداها لها، فاضطر بعدما إنجلترا اشترت منه الـ ٪44 من الأسهم بأربعة مليون جنيه. انه يدفع لها سنوياً ٪5 نظير الأرباح اللي هو كان تنازل عنها، فدفع لها أكثر من 4 مليون جنيه؛ أي أن بريطانيا أخذت أسهم مصر الـ ٪44 مجانا!

دا التاريخ اللي حصل في القرن الماضي، هل التاريخ يعيد نفسه تاني بالخداع والتضليل؟! وهل يكون الاستقلال الاقتصادي.. هل يكون الاستقلال أو التحكم الاقتصادي والسيطرة الاقتصادية سبباً في القضاء على حريتنا السياسة واستقلالنا السياسي؟!

لا يمكن مطلقاً أيها الإخوة أن يعود التاريخ مرة أخرى. احنا النهارده

ما بنكررش اللي فات، احنا النهارده بنقضي اللي فات، احنا النهارده بنبني بلدنا بناء قوي سليم جديد، وفي نفس الوقت حينما نتجه إلى الخلف إنما نتجه لنقضي على آثار الماضي؛ آثار الماضي البغيض اللي ترتبت على السيطرة علينا، آثار الماضي البغيض اللي حصلت غصب عننا، آثار الماضي البغيض اللي عملوها المستعمرين خداعاً وتضليلاً.

النهارده قنال السويس أيها الإخوة اللي احنا مات من أبنائنا فيها 120 ألف حفروها بالسخرة، دفعنا في تأسيسها 8 مليون؛ قناة السويس اللي أصبحت دولة داخل الدولة، اللي ذلت الوزرا والوزارات وكانت تعصى على كل واحد، هذه القناة قناة مصرية، شركة مساهمة مصرية، اغتصبت بريطانيا مننا حقنا فيها الـ 44٪ من أسهم الشركة، ويا ريت اديتنا فلوس، خدتهم وخدت عليهم فلوس، ولازالت بريطانيا من وقت افتتاح القنال حتى الآن بتاخد قصاد الـ 44٪ دول فوايد، الدول كلها بتاخد فوايد، والمساهمين بتاخد فوايد، ودولة داخل الدولة، وشركة مساهمة مصرية!

دخل قنال السويس في سنة 1955، 35 مليون جنيه؛ أي 100 مليون دولار.. دخل الشركة المصرية، شركة قنال السويس المصرية 100 مليون دولار؛ 35 مليون جنيه، بناخد منهم احنا اللي مات من أبنائنا 120 ألف وهم بيحفروها، واللي دفعنا فلوس بنائها بناخد مليون جنيه؛ 3 مليون دولار.

شركة قنال السويس اللي قامت زي ما قال الفرمان من أجل مصلحة مصر ومن أجل منفعة مصر، بتجيب 35 مليون جنيه دخل سنوي؛ 100 مليون دولار. عارفين الأمريكان والإنجليز حيدونا مساعدة أد إيه في

الخمس سنين؟ 70 مليون دولار 70، وعارفين 100 مليون دولار دي مين اللي بياخدها؟ اللي بتيجي سنوياً هم طبعاً.

مش عيب أبداً ان أنا أبقى فقير وأحاول استلف وأبني بلدي، أو أحاول أن أجد مساعدة لأبني بلدي، ولكن العيب ان أنا أمتص دماء الشعوب وأمتص حقوق الشعوب.. دا العيب.

احنا لن نكرر الماضي أبداً، ولكن سنقضي على الماضي؛ سنقضي على الماضي بإننا نستعيد حقوقنا في قنال السويس. هذه الأموال أموالنا، هذه القنال ملك لمصر؛ لأنها شركة مساهمة مصرية، حفرت قنال السويس بواسطة أبناء مصر، 120 ألف مصري ماتوا وهم بيحفروها.

شركة قنال السويس اللي قاعدة في باريس شركة مغتصبة؛ اغتصبت امتيازاتنا.. (ديلسبس) أما جا هنا كان جاي زي ما جا (بلاك) علشان يتكلم معايا، نفس العملية.. التاريخ لن يعيد نفسه، بل بالعكس حنبني السد العالي، وسنحصل على حقوقنا المغتصبة.. حنبني السد العالي زي ما احنا عايزين، حنصمم على هذا.. 35 مليون جنيه كل سنة بتاخدها شركة القنال.. ناخدها احنا، 100 مليون دولار كل سنة بتحصلها شركة القنال لمنفعة مصر.. نحقق هذا الكلام، يبقى الـ 100 مليون دولار نحصلهم احنا لمنفعة مصر برضه.

ولهذا.. لهذا.. إننا اليوم أيها المواطنون حينما نبني السد العالي نبني أيضا سد العزة والحرية والكرامة، ونقضي على سدود الذل والهوان، ونعلن مصر كلها جبهة واحدة.. كتلة وطنية.. متكاتفة.. متحدة.. مصر

كلها ستقاتل لآخر قطرة من دمائها.. كل واحد من أبنائها زي ما قلت لكم زي صلاح مصطفى وزي مصطفى حافظ كلنا سنقاتل لآخر قطرة من دمائنا في سبيل بناء بلدنا، وفي سبيل بناء مصر. لن نمكن منا تجار الحروب، لن نمكن منا المستعمرين، لن نمكن منا تجار البشر، سنعتمد على سواعدنا وعلى دماءنا وعلى أجسامنا.

احنا أغنياء.. كنا متهاونين في حقوقنا بنستردها، وقلت لكم في الأول: معركتنا مستمرة، نسترد هذه الحقوق خطوة خطوة، وسنحقق كل شئ.. سنبني مصر القوية، وسنبني مصر العزيزة.

لهذا قد وقعت اليوم، ووافقت الحكومة على القانون الآتي: قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقنال السويس البحرية. (تصفيق وهتاف).

بيان تأميم قنال السويس

باسم الأمة.. باسم الأمة

رئيس الجمهورية..

مادة 1: تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية، وينتقل إلى الدولة جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات، وتحل جميع الهيئات واللجان القائمة حالياً على إداراتها، ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكونه من أسهم وحصص بقيمتها، مقدرة بحسب سعر الإقفال السابق على تاريخ العمل بهذا القانون في بورصة الأوراق المالية بباريس، ويتم دفع هذا التعويض بعد إتمام استلام الدولة لجميع أموال وممتلكات الشركة المؤممة.

مادة 2: يتولى إدارة مرفق المرور بقناة السويس مرفق عام ملك للدولة.. يتولى إدارة مرفق المرور بقناة السويس هيئة مستقلة تكون لها الشخصية الاعتبارية، وتلحق بوزارة التجارة، ويصدر بتشكيل هذه الهيئة قرار من رئيس الجمهورية، ويكون لها في سبيل إدارة المرفق جميع السلطات اللازمة لهذا الغرض، دون التقيد بالنظم والأوضاع الحكومية.

ومع عدم الإخلال برقابة ديوان المحاسبة على الحساب الختامي، يكون للهيئة ميزانية مستقلة، يتبع في وضعها القواعد المعمول بها في المشروعات التجارية، وتبدأ السنة المالية في أول يوليو، وتنتهي في أخر يونيو من كل عام، وتعتمد الميزانية والحساب الختامي بقرار من رئيس

الجمهورية. وتبدأ السنة المالية الأولى من تاريخ العمل بهذا القانون وتنتهي في أخر يونيه سنة 1957. ويجوز للهيئة أن تندب من بين أعضائها واحداً أو أكثر لتنفيذ قراراتها أو للقيام بما تعهد إليه من أعمال، كما يجوز لها أن تؤلف من بين أعضائها أو من غيرهم لجاناً فنية؛ للاستعانة بها في البحوث والدراسات. يمثل الهيئة رئيسها أمام الهيئات القضائية والحكومية وغيرها، وينوب عنها في معاملتها مع الغير.

مادة 3: تجمد أموال الشركة المؤممة وحقوقها في جمهورية مصر وفي الخارج، ويحظر على البنوك والهيئات والأفراد التصرف في تلك الأموال بأي وجه من الوجوه، أو صرف أي مبالغ أو أداء أية مطالبات أو مستحقات عليها إلا بقرار من الهيئة المنصوص عليها في المادة الثانية.

مادة 4: تحتفظ الهيئة بجميع موظفي الشركة المؤممة ومستخدميها وعمالها الحاليين، وعليهم الاستمرار في أداء أعمالهم، ولا يجوز لأي منهم ترك عمله أو التخلي عنه بأي وجه من الوجوه، أو لأي سبب من الأسباب؛ إلا بإذن من الهيئة المنصوص عليها في المادة الثانية.

مادة 5: كل مخالفة لأحكام المادة الثالثة يعاقب مرتكبها بالسجن والغرامة توازي ثلاثة أمثال قيمة المال موضوع المخالفة. وكل مخالفة لأحكام المادة الرابعة يعاقب مرتكبها بالسجن، فضلاً عن حرمانه من أي حق في المكافأة أو المعاش أو التعويض.

مادة 6: ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية، ويكون له قوة القانون، ويعمل به من تاريخ نشره، ولوزير التجارة إصدار القرارات اللازمة لتنفيذه.

أيها المواطنون:

إننا لن نمكن المستعمرين أو المستبدين.. إننا لن نقبل أن يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى.. إننا قد اتجهنا قدماً إلى الأمام؛ لنبني مصر بناء قوياً متيناً.. نتجه إلى الأمام نحو استقلال سياسي واستقلال اقتصادي.. نتجه إلى الأمام نحو اقتصاد قومي من أجل مجموع هذا الشعب.. نتجه إلى الأمام لنعمل، ولكننا حينما نلتفت إلى الخلف إنما نلتفت إلى الخلف لنهدم آثار الماضي.. آثار الاستبداد، آثار الاستعباد، آثار الاستغلال، آثار السيطرة، إنما نتجه إلى الماضي لنقضي على جميع آثاره.

واليوم أيها المواطنون وقد عادت الحقوق إلى أصحابها.. حقوقنا في قناة السويس عادت إلينا بعد مائة سنة، اليوم إنما نحقق الصرح الحقيقي من صروح السيادة، ونحقق البناء الحقيقي من أبنية العزة والكرامة.

لقد كانت قناة السويس دولة في داخل الدولة، شركة مساهمة مصرية ولكنها تعتمد على المؤامرات الأجنبية، وتعتمد على الاستعمار وأعوان الاستعمار، بنيت قناة السويس من أجل مصر ومن أجل منفعة مصر، ولكن كانت قناة السويس منبعاً للاستغلال واستنزاف المال. كما قلت لكم منذ قليل ليس عيب أن أكون فقيراً أو أن أعمل على بناء بلدي، ولكن العيب امتصاص الدماء.. كانوا يمتصون الدماء، يمتصون حقوقنا ويسلبونها.

واليوم حينما نستعيد هذه الحقوق، أقول باسم شعب مصر: إننا سنحافظ على هذه الحقوق ونعض عليها بالنواجذ.. سنحافظ على هذه الحقوق وفداها أرواحنا ودماءنا.. إننا سنحافظ على هذه الحقوق؛ لأننا نعوض ما فات. إننا حينما نبني اليوم صرح العزة والحرية والكرامة، نشعر

أن هذا الصرح لا يمكن أن يبنى أو يكتمل اكتمالاً إلا إذا قضينا على صروح الاستبداد والذلة والمسكنة، وقد كانت قنال السويس صرحاً من صروح الاستبداد، وصرحاً من صروح الاغتصاب، وصرحاً من صروح الذل.

اليوم أيها المواطنون أممت قنال السويس، ونشر هذا القرار بالجريدة الرسمية فعلاً، وأصبح القرار أمراً واقعاً.

اليوم أيها المواطنون نقول: هذه أموالنا ردت إلينا.. هذه حقوقنا التي كنا نسكت عليها عادت إلينا.

اليوم أيها المواطنون ودخل قنال السويس 35 مليون جنيه 100 مليون دولار في السنة، 500 مليون دولار في الخمس سنين، لن ننظر إلى الـ 70 مليون دولار بتوع المعونة الأمريكية ولا بتوع المعونة الإنجليزية.

اليوم أيها المواطنون بعرقنا.. ودموعنا.. وأرواح شهدائنا وجماجمهم؛ اللي ماتوا سنة 56 من 100 سنة وهم في السخرة، نستطيع أن ننمي هذه البلد، وسنعمل وننتج ونزيد في الإنتاج، برغم كل هذه المؤامرات وكل هذا الكلام. وكل ما يطلع كلام من واشنطن حاقول لهم موتوا بغيظكم.. نفس الكلام.

حنبني؛ نبني الصناعة في مصر، وننافسهم، هم لا يريدوا أن نكون دولة صناعية؛ علشان منتجاتهم تمشي عندنا ويكون لها سوق هنا. ما شفتش أبداً معونة أمريكية متجهة إلى التصنيع؛ لأن المتجهة إلى التصنيع طبعاً حتكون منافسة، ولكن المعونة الأمريكية دائماً متجهة إلى الاستهلاك.

احنا النهارده في الـ 4 سنين اللي فاتوا، واحنا النهارده بنستقبل العام الخامس للثورة زي ما قلت لكم في أول كلامي نشعر بإن احنا أصلب عوداً وأشد عزماً، وأشد قوة وإيماناً.. النهارده واحنا بنستقبل العام

الخامس للثورة وزي ما طلع فاروق في 26 يوليو سنة 52، النهارده بتطلع قنال السويس في نفس اليوم، بنشعر ان احنا بنحقق أمجاد لنا.. بنحقق عزة حقيقية، لن تكون سيادة في مصر إلا لأبناء مصر.. لن تكون سيادة في مصر إلا لشعب مصر. احنا سنتجه قدماً إلى الأمام متحدين متكاتفين.. شعب واحد يؤمن نفسه وأن يعمل ويزحف زحفاً مقدساً نحو البناء، ونحو التصنيع، نحو الإنشاء.. شعب واحد.. كتلة واحدة متراصة تقف ضد الغدر والعدوان.. تقف ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار وألاعيب الاستعمار.

إننا بهذا أيها المواطنون سنستطيع أن نحقق الكثير، سنشعر بعزة، وسنشعر بالكرامة، وسنشعر بأننا نبني وطننا بناء حقيقياً زي ما احنا عايزين.. نبني اللي احنا عايزينه، ونعمل اللي احنا عايزينه، ليس لنا شريك.

وإننا اليوم حينما نسترد الحقوق المغتصبة والحقوق المسلوبة؛ إنما نتجه إلى القوة،، وكل سنة سنزداد قوة على قوة، وبعون الله في السنة الجاية حنكون أقوى؛ إنتاجنا زاد، عملنا زاد، مصانعنا زادت.

والآن وأنا أتكلم إليكم يتجه إخوة لكم من أبناء مصر ليديروا شركة القنال، ويقوموا بعمل شركة القنال، الآن.. دلوقت.. بيستلموا شركة القنال.. شركة القنال المصرية.. مش شركة القنال الأجنبية.. قاموا دلوقت ليستلموا شركة القنال، ومرافق شركة القنال، ويديروا الملاحة في القنال.. القنال اللي بتقع في أرض مصر، واللي بتخترق أرض مصر، واللي هي جزء من مصر، واللي هي ملك لمصر، يقوموا الآن بهذا العمل؛ لنستعوض ما فات، ولنستعوض الماضي، ولنبني صروحاً جديدة في العزة والكرامة. وفقكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

تنحي عبد الناصر

بعد هزيمة 1967 اعلن عبد الناصر عن عزمه بالتنحي عن الرئاسة وكانت خطبته الشهيرة التي تقدم للقارئ النص الكامل لها..

أيها الإخوة:

لقد تعودنا معاً في أوقات النصر وفي أوقات المحنة.. في الساعات الحلوة وفي الساعات المرة؛ أن نجلس معاً، وأن نتحدث بقلوب مفتوحة، وأن نتصارح بالحقائق، مؤمنين أنه من هذا الطريق وحده نستطيع دائماً أن نجد اتجاهنا السليم، مهما كانت الظروف عصيبة، ومهما كان الضوء خافتاً.

ولا نستطيع أن نخفي على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة، لكني واثق أننا جميعاً نستطيع وفي مدة قصيرة أن نجتاز موقفنا الصعب وإن كنا نحتاج في ذلك كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية، ومقدرة العمل المتفانية لكننا أيها الإخوة نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ما وقع؛ لكي نتتبع التطورات وخط سيرها في وصولها إلى ما وصلت إليه.

إننا نعرف جميعاً كيف بدأت الأزمة في الشرق الأوسط في النصف الأول من مايو الماضي. كانت هناك خطة لغزو سوريا، وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلها تقول بذلك صراحة، وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير.

كانت مصادر إخواننا السوريين قاطعة في ذلك، وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده، بل وقام اصدقاؤنا في الاتحاد السوفيتي بإخطار الوفد البرلماني الذي كان يزو موسكو في مطلع الشهر الماضي؛ بأن هناك قصداً مبيتاً ضد سوريا. ولقد وجدنا واجباً علينا ألا نقابل ذلك ساكتين، وفضلاً عن أن ذلك واجب الأخوة العربية، فهو أيضاً واجب الأمن الوطني؛ فإن

البادئ بسوريا سوف يثنى بمصر.

ولقد تحركت قواتنا المسلحة إلى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق، وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة؛ منها انسحاب قوات الطوارئ الدولية، ثم عودة قواتنا إلى مواقع شرم الشيخ المتحكمة في مضايق تيران، والتي كان العدو الإسرائيلي يستعملها كأثر من آثار العدوان الثلاثي الذي وقع علينا سنة 1956، ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا أمراً لا يحتمل، فضلاً عن دواعي أخرى تتصل بأعز أماني الأمة العربية.

ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة، بما بلغته من مستوى في المعدات وفي التدريب؛ قادرة على رده وعلى ردعه، وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم، وقبلنا بالمخاطرة.

وكانت أمامنا عوامل عديدة؛ وطنية وعربية ودولية، بينها رسالة من الرئيس الأمريكي (ليندون جونسون) سلمت إلى سفيرنا في واشنطن يوم 26 مايو تطلب إلينا ضبط النفس، وألا نكون البادئين بإطلاق النار، وإلا فإننا سوف نواجه نتائج خطيرة.

وفي نفس الليلة فإن السفير السوفيتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل، وأبلغني بطلب ملح من الحكومة السوفيتية ألا نكون البادئين بإطلاق النار.

وفي صباح يوم الاثنين الماضي الخامس من يونيو جاءت ضربة العدو، وإذا كنا نقول الآن بإنها جاءت بأكثر مما توقعناه؛ فلابد أن نقول في نفس الوقت وبثقة أكيدة إنها جاءت بأكبر مما يملكه، مما أوضح منذ

اللحظة الأولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو، جاءت لتصفي حساباتها مع حركة القومية العربية. ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر:

أولها: أن العدو الذي كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب؛ الأمر الذي يقطع بأن هناك تسهيلات تفوق قدرته، وتتعدى المدى المحسوب لقوته، قد أعطيت له.

وثانياً: فإن العدو غطى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في الجمهورية العربية المتحدة، ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية، لحماية أجوائه من أي رد فعل من جانبنا؛ كما أنه كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات أخرى استطاع أن يحصل عليها.

وثالثاً: فإن الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعماري معه؛ يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة 1956، فيغطي نفسه هذه المرة بلؤم وخبث، ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شواطئ العدو تساعد مجهوده الحربي. كما أن طائرات بريطانية أغارت في وضح النهار على بعض المواقع في الجبهة السورية وفي الجبهة المصرية، إلى جانب قيام عدد من الطائرات الأمريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا.

ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك أن قواتنا البرية التي كانت تحارب أكثر المعارك عنفاً وبسالة فيَ الصحراء المكشوفة؛ وجدت نفسها في الموقف الصعب؛ لأن الغطاء الجوي فوقها لم يكن كافياً إزاء تفوق حاسم في القوى الجوية المعادية، بحيث إنه يمكن القول بغير أن يكون في ذلك

أي أثر للانفعال أو المبالغة إن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته العادية.

ولقد كان هذا هو ما واجهته أيضاً قوات الجيش العربي الأردني التي قاتلت معركة باسلة بقيادة الملك حسين، الذي أقول للحق وللأمانة إنه اتخذ موقفاً ممتازاً، وأعترف بأن قلبي كان ينزف دماً وأنا أتابع معارك جيشه العربي الباسل في القدس وغيرها من مواقع الضفة الغربية، في ليلة حشد فيها العدو وقواه المتآمرة ما لا يقل عن 400 طائرة للعمل فوق الجبهة الأردنية.

لقد كانت هناك جهود رائعة وشريفة؛ لقد اعطى الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة، وأعطى شعب العراق وقائده المخلص عبد الرحمن عارف بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة، وقاتل الجيش السوري قتالاً بطولياً معززاً بقوى الشعب السوري العظيم وبقيادة حكومته الوطنية، واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة، ووقفت شعوب الأمة العربية جميعاً بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة، موقف التصميم، موقف الإصرار على أن الحق العربي لن يضيع ولن يهون، وأن الحرب دفاعاً عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمي الأكيد.

وكانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربي قدمت لنا ما لا يمكن تقديره من تأييدها المعنوي. لكن المؤامرة ولابد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال كانت أكبر وأعتى، ولقد كان تركيز العدو الأساسي على الجبهة

المصرية؛ التي دفع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة؛ معززة بتفوق جوي رسمت لكم من قبل صورة لأبعاده، ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل؛ خصوصاً مع التفوق المعادي في الجو. ولقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواتياً لنا، وحاولت مع غيري أن نستخدم كل مصادر القوة العربية، ولقد دخل البترول العربي ليؤدي دوره، ودخلت قناة السويس لتؤدي دورها، ومازال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربي العام، وكلي ثقة في أنه سوف يستطيع أداءه. ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في سيناء إلى إخلاء خط الدفاع الأول، وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني.

ثم استجبنا لقرار وقف إطلاق النار، أمام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفيتي الأخير المقدم إلى مجلس الأمن، وأمام تصريحات فرنسية، بأن أحداً لا يستطيع تحقيق أي توسع إقليمي على أساس العدوان الأخير، وأمام رأي عام دولي خصوصاً في آسيا وأفريقيا يرى موقفنا، ويشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التي انقضت علينا.

وأمامنا الآن عدة مهام عاجلة:

المهمة الأولى: أن تُزيل آثار هذا العدوان علينا، وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود. وبرغم النكسة فإن الأمة العربية بكل طاقاتها وإمكانياتها قادرة على أن تصر على إزالة آثار العدوان.

والمهمة الثانية: أن ندرك درس النكسة، وهناك في هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية:

1 - إن القضاء على الاستعمار في العالم العربي يترك إسرائيل بقواها الذاتية، ومهما كانت الظروف ومهما طال المدى، فإن القوى الذاتية العربية اكبر وأقدر على الفعل.

2 - إن إعادة توجيه المصالح العربية في خدمة الحق العربي ضمان أولى، فإن الأسطول الأمريكي السادس كان يتحرك ببترول عربي، وهناك قواعد عربية وضعت قسراً وبرغم إرادة الشعوب في خدمة العدوان.

3 - إن الأمر الآن يقتضي كلمة موحدة تسمع من الأمة العربية كلها، وذلك ضمان لا بديل له في هذه الظروف.

نصل الآن إلى نقطة هامة في هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا: هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسئولية في تبعات هذه النكسة؟ وأقول لكم بصدق وبرغم أيه عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الأزمة فإنني على استعداد لتحمل المسئولية كلها، ولقد اتخذت قراراً أريدكم جميعاً أن تساعدوني عليه: لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائياً عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي، وأن أعود إلى صفوف الجماهير، أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر.

إن قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها، وأريد أن يكون واضحاً أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر.

والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائماً بأنها إمبراطورية لعبد الناصر، وليس ذلك صحيحاً؛ لأن أمل الوحدة العربية بدأ

قبل جمال عبد الناصر، وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر.

ولقد كنت أقول لكم دائماً: إن الأمة هي الباقية، وأن أي فرد مهما كان دوره، ومهما بلغ إسهامه في قضايا وطنه، هو أداة لإرادة شعبية، وليس هو صانع هذه الإرادة الشعبية.

وتطبيقاً لنص المادة 110 من الدستور المؤقت الصادر في شهر مارس سنة 1964 فلقد كلفت زميلي وصديقي وأخي زكريا محيي الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة لذلك، وبعد هذا القرار فإنني أضع كل ما عندي تحت طلبه، وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها شعبنا.

إنني بذلك لا أصفي الثورة، ولكن الثورة ليست حكراً على جيل واحد من الثوار، وإني لأعتز بإسهام هذا الجيل من الثوار. لقد حقق جلاء الاستعمار البريطاني، وحقق استقلال مصر، وحدد شخصيتها العربية، وحارب سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي، وقاد الثورة الاجتماعية، وأحدث تحولاً عميقاً في الواقع المصري أكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطني، واسترد قناة السويس، ووضع أسس الانطلاق الصناعي في مصر، وبنى السد العالي ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة، ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله، وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل، وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسي تحالف قوى الشعب العاملة؛ الذي هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعلام النضال الوطني والقومي مرحلة بعد

مرحلة، وتبنى الاشتراكية، وتحقق وتنتصر.

إن ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني؛ الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية. إن وحدته وتماسكه، والتفاعل الخلاق داخل إطار هذه الوحدة قادر على أن يصنع بالعمل؛ وبالعمل الجاد، وبالعمل الشاق كما قلت أكثر من مرة معجزات ضخمة في هذا البلد؛ ليكون قوة لنفسه، ولأمته العربية، ولحركة الثورة الوطنية، وللسلام العالمي القائم على العدل.

إن التضحيات التي بذلها شعبنا، وروحه المتوقدة خلال فترة الأزمة، والبطولات المجيدة التي كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم؛ سوف تبقى شعلة ضوء لا تنطفئ في تاريخنا، وإلهاماً عظيماً للمستقبل وآماله الكبار. لقد كان الشعب رائعاً كعادته، أصيلاً كطبيعته، مؤمناً صادقاً مخلصاً.

وكان أفراد قواتنا المسلحة نموذجاً مشرفاً للإنسان العربي في كل زمان ومكان؛ لقد دافعوا عن حبات الرمال في الصحراء إلى آخر قطرة من دمهم، وكانوا في الجو وبرغم التفوق المعادي أساطير للبذل وللفداء وللإقدام، والاندفاع الشريف إلى أداء الواجب أنبل ما يكون أداؤه.

إن هذه ساعة العمل وليست ساعة الحزن، إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشاعر فردية. إن قلبي كله معكم، وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي، وليكن الله معنا جميعاً؛ أملاً في قلوبنا وضياءً وهدى.

والسلام عليكم ورحمة الله.

كان ذلك نص خطاب التنحي للرئيس جمال عبد الناصر بعد انتهاء العلميات العسكرية على الأرض.. وبعد أن انتهى منه، خرج الشعب في مظاهرات عارمة ملأت شوارع القاهرة، تطالبه بعدم التنحي وتؤكد تجديد ثقتها فيه كقائد ورئيس للدولة المصرية..

السيدة / تحية كاظم تتذكر

وتتذكر السيدة تحية كاظم زوج الزعيم الخالد جمال عبدالناصر يوم انطلاق ثورة 23 يوليو 1952 قائلة: بعد رجوع جمال إلى البيت بعد طلوع الفجر دخل الحجرة، وبعد أن حياني كعادته قلت له: إني أخاف عليك وأخاف التشرد والأولاد.. فرد وقال: يا للأنانية كل ما يهمك في البلد هو زوجك وأولادك.. عائلتك فقط؟ يعني أنك لا تفكرين إلا في نفسك.. وانتهى الحديث ولم أقل كلمة، ومشي ليخرج إلى الصالة فالتفت لي وقال: تعالى نجلس سوياً مع إخوتي في حجرة المكتب.. إنهم استيقظوا من النوم، وكان شقيقه يضع سريرا في الحجرة أثناء الليل.

ليلة الثورة

في ليلة 23 يوليو 1952 سألت السيدة تحية كاظم زوجها جمال عبد الناصر لأول مرة منذ زواجهما (رايح فين).

وكان جمال عبد الناصر يضحك وهو يحكي عن أنور السادات

كان جمال قد ارتدى بذلته العسكرية وتأهب للخروج، ما أثار مخاوف الزوجة وحين سألته قال إنه خارج من أجل التصحيح، وكان يعني تصحيح أوراق امتحانات طلبة كلية أركان الحرب، حيث كان هذا رده كلما رصدت زوجته واحدة من خروجاته الغامضة تحضيرا للثورة. غير أنه قبل ذلك

بشهور حدث الآتي كما تروي السيدة تحية كاظم في مذكراتها.

في الساعة التاسعة حضر صف ضابط وقال إنه من القيادة العامة في كوبري القبة، وإن الذي أرسله البكباشي جمال عبد الناصر ليخبرني بأنه بخير والحمد لله.

حضر زائر قبل رجوع جمال من الشغل وجلس في الصالون ينتظره، وبعد حضور جمال طلب الغداء مع الضيف. ثم حضر الزائر بضع مرات ينتظر جمال ويتغدى معه، وكان المراسلة عندما يفتح الباب له ويدخله الصالون يقول لي: إنه الضيف الذي يحضر وينتظر جناب البكباشي ويتغدى معه. وطبعا لم يكن يترك ورقة مكتوبا عليها اسمه. قال لي جمال: إنه ضابط مكان شغله ليس في القاهرة، ويسكن الروضة، وهو الآن حضر في إجازة.. وكان هذا الزائر أنور السادات.

وبعد بضعة أشهر والوقت ابتداء صيف 1952 على ما أذكر.. حضر زائر وكان بعد خروج جمال في المساء قبل المغرب، وكان المراسلة غير موجود ففتحت له الباب وسأل عن البكباشي جمال عبد الناصر، فقلت له إنه خرج.. فكتب ورقة وانتظرته حتى أعطاها لي.. وضعتها فوق البيانو كعادتي، وبعد رجوع جمال أخبرته بحضور الضيف وأنه أعطاني الورقة بعد أن كتبها، وقلت: إنه أسمر شديد السمرة، فقال: إنه متزوج حديثا وزوجته بيضاء جدًا.. وكان هذا الضيف أنور السادات.

ذكريات ما قبل 23 يوليو

نحن الآن في الأيام السابقة على 23 يوليو

ابتداء الصيف.. شهر مايو ويونيو سنة 1952 في شهر رمضان

البيت كما هو.. الحركة والخروج والسهر حتى السحور، وحضور الزوار قبل موعد الإفطار وبعد الإفطار. وانتهى رمضان وكان يوم العيد فنذهب لزيارة أخواتي.. قال لي جمال: نذهب لشقيقاتك في الجيزة.. وكانت اثنتان تقطنان في عمارة واحدة. ركبنا العربة.. هدى ومنى وخالد في الخلف وأنا بجواره أحمل ميدو البيبي.

عندما اقتربنا من البيت، وهو على شارع الجيزة نظر لي جمال وقال: تحبي أمشي بكم شوية للهرم والجو لطيف. قلت له: نعم إنه يسرني ومعنا الأولاد.. شكرا.

ومشينا بالعربة في طريق الهرم، وأوقفها بالقرب من صندوق بريد، وفتح مظروفا كبيرا كان في العربة وأخرج منه جوابات صغيرة الحجم وعددها كبيرة.. كمية جوابات، ووضعها في صندوق البريد ومشي بالعربة حتى قرب الهرم، ثم نظر لي وقال: نرجع بقى؟ قلت: نعم.. وأدركت أنها المنشورات.. ولم أقل كلمة ورجعنا والأولاد من الفسحة في طريق الهرم لزيارة أخواتي.

بعد العيد مباشرة قال لي: عندي إجازة لمدة أسبوعين فقط، وسيكون امتحان الضباط في كلية أركان حرب وانشغل.. نسافر إسكندرية نقضي عشرة أيام مع الأولاد؟ قلت: نعم نذهب للإسكندرية.. وكنت لم أذهب هناك منذ زواجنا أي منذ ثماني سنوات، أما هو فقد ذهب مرات قليلة لمدة يوم أو يومين لزيارة والده وإخوته الذين يقيمون بها. وكان ذلك في يوم 29 يونيو سنة 1952.

خرجنا في الصباح في العربة الأوستن السوداء ومعنا أولادنا للإسكندرية وكان ميعاد زواجنا.. هنأني وهنأته بعيد زواجنا الثامن، وفي الطريق قال لي: إنها مصادفة.. اليوم عيد زواجنا ونحن نذهب سوياً ومعنا أولادنا بعد ثماني سنوات منذ ذهابنا سوياً.

وقال: هناك سأبقى معك في الصباح على البلاج حيث أستحم في البحر مع هدى ومنى وخالد وسأحملهم وأعومهم، وبعد الظهر سأخرج ثم أرجع قبل المغرب وأخرج معكم في العربة حتى الليل.. يعني الساعة الثامنة أو التاسعة وأرجعكم اللوكاندة، وكان قد سافر من قبل وحجز لنا في لوكاندة بسيدي بشر وكانت جديدة البناء وعلى البحر، ثم قال: وبعد ذلك سأخرج بمفردي لأقابل ضباطا هناك.. فقلت له بالحرف: هم إياهم دول برضه رايحين ورانا في إسكندرية؟ فضحك جدًا وهأهأ من كلمة إياهم وقال: كثير منهم سبقنا إلى هناك، ومنهم باقون في القاهرة

كنا في سيدي بشر وكل الحكومة تسكن سيدي بشر.. وأسمعه يردد اسم حسين سري ويقول: حسين سري سافر.. حسين سري حضر.. وكان منزله

بالقرب من اللوكاندة، وكلما مررنا بمنزله في طريقنا ينظر إليه.. أي منزله، ويردد اسمه وأنا لا ألتفت ولا أشعر بأن وجود حسين سري في إسكندرية أو عدم وجوده شئ مهم.. وكنت أرى أنها مجرد ملاحظة كنا نذهب إلى البلاج أمام اللوكاندة ونجلس تحت الشمسية وينزل البحر ويأخذ هدى ومنى وخالد ويعومهم ويحملهم في المياه.. وأنا جالسة تحت الشمسية ألاحظهم وبجانبي كرسي الأطفال جالس فيه ميدو البيبي الذي لم يتجاوز الثمانية شهور.. ونرجع وقت الغداء، وبعد ذلك يخرج ويغيب حتى الغروب موعد خروجنا ويقول: أنا كنت جالساً قريباً من اللوكاندة في الكازينو مع بعض الضباط. وبعد أن نمشي بالعربة على الكورنيش يركنها ونتمشى سويًا ساعة غروب الشمس، وفي المساء يوصلني اللوكاندة وقت العشاء، ثم يخرج وينام الأطفال وأبقى في الفراندة بعض الوقت وأنام حتى يرجع.

في يوم 10 يولية رجعنا للقاهرة قبل مغادرتنا إسكندرية قال: نرجع من الطريق الزراعي. في أثناء عودتنا رأيت اللافتات مكتوبا عليها تفتيش الأمير... تفتيش الباشا... وعليها أسماء لأمراء من الأسرة المالكة وباشوات من الإقطاعيين، والطريق الزراعي اغلبه ملك للملك والأمراء والباشوات فقلت: كل الأراضي والتفاتيش دي ملك للملك والأسرة والباشوات؟ فنظر لي جمال وأنا بجانبه وقال: سوف لا تكون هناك أراض ولا تفاتيش يملكها أمراء ولا باشوات!.. ولم أنتبه لقوله، ولم أعلق بكلمة ولم أفهم شيئا.

رجعنا من إسكندرية، وبعد أيام قليلة حضر أشقاؤه عندنا. والحياة في البيت كما هي والحركة في ازدياد بشكل غير معقول.. إذ كان عندما يرجع جمال من الشغل يكون في انتظار ضباط، ويبقى معهم ويطلب الغداء ويظل معهم، وعندما يخرج لا يرجع إلا عند طلوع الفجر.. والوقت صيف والجو حار.. أنام وأصحو وأجد الوقت فجرا ولم يحضر.. أقوم وأنتظر حضوره.. أنظر من الشباك.. وظل يخرج بالمسدس.

الأسبوع الأخير قبل الثورة

بعد رجوع جمال إلى البيت بعد طلوع الفجر دخل الحجرة، وبعد أن حياني كعادته قلت له: إني أخاف عليك وأخاف التشرد والأولاد.. فرد وقال: يا للأنانية كل ما يهمك في البلد هو زوجك وأولادك.. عائلتك فقط؟ يعني أنك لا تفكرين إلا في نفسك.. وانتهى الحديث ولم أقل كلمة، ومشي ليخرج إلى الصالة فالتفت لي وقال: تعالى نجلس سوياً مع إخوتي في حجرة المكتب.. إنهم استيقظوا من النوم، وكان شقيقه يضع سريرا في الحجرة أثناء الليل.

جلست معهم.. وبعد قليل استأذنت وقمت لأخرج من الحجرة فقال لي: أين أنت ذاهبة؟ قلت سأذهب لأصلي.. فنظر في ساعته وقال: أسرعي حتى لا يفوتك وقت صلاة الفجر فالشمس قربت من الشروق.. وبدا على وجهه الارتياح والحب والعطف.

وحتى الآن لم أفهم ما الهدف وما الغاية.. لم أفهم إلا خطورة ما

يجري أمامي

قبل الثورة بأيام قليلة قال لي إنه مشغول جدًا في امتحان كلية أركان حرب، وإنه يشتغل في تصحيح أوراق الامتحان، وقال لي: اخرجي واتسلي واذهبي إلى السينما مع أخواتك، واصحبي معك هدى ومنى وخالد وكان عمره سنتين ونصف ليروا ميكي موس وتذهبي إلى سينما الفالوجة.. وهي قريبة من منزلنا وممكن نذهب لها مشيا، أو أي سينما تعجبك في مصر الجديدة وأغلبها صيفي الآن والجو حار.. فقلت: نعم سأذهب.. وبقيت كما أنا سعيدة هانئة كل وقتي مشغول، وذهبت للسينما واصطحبت الأولاد كما قال لي

قبل خروجه في الصباح قال لي: جهزي أكل زيادة لعدد من الضباط.. ويخرج بعضهم ويحضر غيرهم ثم ينصرفون، ويخرج إما بمفرده أو مع واحد منهم ثم يرجع البيت، ويظل يشتغل وينام ساعات قليلة. وظل جمال هكذا حتى قبل الثورة بيومين، وفي الليلتين قبل الثورة لم ينم وظل بملابسه العادية جالساً في حجرة السفرة على الترابيزة يشتغل. وفي الصباح في الساعة السابعة يدخل الحجرة ليستبدل بملابسه الملابس الرسمية ونتناول الإفطار سويًا، وقبل خروجه يقول لي: جهزي غداء زيادة لأننا سنجلس كالأمس في تصحيح أوراق الامتحان.. ويحييني ويخرج

وكان عبدالحكيم ابني البالغ من العمر ثمانية شهور قد حصل له توعك، وكنت أريد تغيير غذاءه ويلزم أن يراه الدكتور الذي يعالج أولادنا، فعندما رجع جمال من الشغل في الظهر دخل كعادته يلاطفه

ووجده متوعكا فقلت: أريد الذهاب للدكتور لينظم له غذاءه.. متى لا تكون مشغولا حتى نذهب؟ فقال لي: إني مشغول جدًا، فاطلبي الدكتور ليحضر هنا أو يمكنك الذهاب في تاكسي.. وكانت تلك أول مرة لا يجد وقتا للذهاب معي للدكتور، وفي اليوم التالي ذهبت بمفردي. وكان قبل خروجه قد طلب أيضا تجهيز غداء زيادة لعدد من الضباط

ليلة الثورة

اليوم الثاني والعشرون من يولية سنة 1952 الساعة السابعة صباحا.. دخل جمال الحجرة وكان يلبس الملابس العادية.. القميص والبنطلون ولم ينم طوال الليل.. جلس في حجرة السفرة يشتغل كالليلة السابقة.. حياني واستعد للخروج واستبدل بملابسه العادية الملابس العسكرية وتناولنا الإفطار سويًا

خرج ورجع عند الظهر، وتناول الغداء مع الضباط وظل معهم في الصالون وحجرة السفرة وقتا ثم خرج الضيوف. تحدث معي جمال وقال: لم لا تخرجين وتأخذين معك هدى ومنى وخالد وتذهبون للسينما والجو حار وتتسلون ويذهب معك إخوتي.. فقلت: نعم سأفكر في الذهاب

وحيَاني وخرج. بعد خروجه وقرب المغرب فضلت أن أخرج أمشي بالقرب من الحديقة التي أمام قصر القبة، وكانت غير مزدحمة مثل الآن وأغلب البيوت فيللات والمشي لطيف بالقرب من القصر حيث رائحة الأزهار

خرجت ومعي هدى ومنى وخالد ومشينا حتى بعد الغروب ورجعنا وكانت الساعة قبل الثامنة.. قال لي شقيقه: إن أخي حضر من وقت قصير

وسأل عنك وعن الأولاد وأخبرناه بأنك تتمشين عند قصر القبة. وبعد قليل حضر جمال وكان يلبس القميص والبنطلون ووجدني في الصالة مع الأولاد.. حياني وقال: أنا جيت وسألت عنك ولم تذهبي للسينما.. فقلت له: إني فضلت الخروج والمشي في الهواء الطلق والأحسن ألا أترك ميدو وأغيب عنه وقتا أطول.. فأخذ يتكلم مع أولاده ويلاطفهم ويقبلهم بحرارة ويقول لهم أسماء الدلع التي اعتاد أن يقولها لهم، ويقبل هدى ومنى وخالد وعبد الحميد وكنت أحمله على كتفي، وخرج بمفرده بنفس الملابس.. القميص والبنطلون.

تناول الأولاد العشاء وناموا مبكرين كعادتهم، وظل ميدو البيبي حتى تناول وجبة الساعة التاسعة ونام.. وجلست مع الليثي وشوقي

وقبل الساعة الحادية عشرة مساء قمت ودخلت حجرة النوم. رجع جمال ودخل الحجرة وكنت مستلقية على السرير وكانت مضاءة.

كان من عادته أن يغسل وجهه قبل النوم فقلت في نفسي: إنه لم ينم إلا ساعة منذ يومين وها هو ذا الليلة سينام مبكرا.. وجدته بعد أن غسل وجهه فتح الدولاب وأخرج البدلة العسكرية ووجدته يرتديها.. فقمت وجلست وقلت له بالحرف: أنت رايح فين بالبدلة الرسمية دلوقت؟ وكانت أول مرة أسأله أنت رايح فين منذ زواجنا.. فرد عليَّ بكل هدوء وصدر رحب قائلا: أنا لم أكمل تصحيح أوراق كلية أركان حرب ويجب أن أنتهي من تصحيحها، وغدا تكون كلها كاملة التصحيح، ومنذ يومين وأنا أشتغل هنا، والضابط الذي يجلس معي ونشتغل سويًا قال لي نسهر الليلة في بيته نكمل

تصحيح الأوراق، وسأذهب إلى الكلية وسوف لا أرجع البيت الليلة، وانتظريني غدا وقت الغداء.. وحياني، وقبل خروجه من الحجرة قال لي: لا تخرجي.. الصالة الآن يوجد فيها ضابط ينتظرني.. وأغلق الحجرة بعد خروجه منها بعد أن سمعت باب المسكن يقفل قمت وخرجت من الحجرة.. وجدت أخويه الاثنين جالسين في حجرة المكتب فقلت لهما: إن جمال اعتقل.. فرد شقيقه ليثي قائلا: لا إنه لم يعتقل اطمئني.. فقلت: إنه خرج وارتدى ملابسه العسكرية وينتظره ضابط كما حدث يوم أن اعتقله إبراهيم عبد الهادي

أنا شايفة.. البيت مقلوب من ساعة حضورنا من إسكندرية بشكل غير معقول، والضباط والسهر حتى الصباح.. أنا متأكدة أن رئيس الوزارة الجديد نجيب الهلالي الذي عين منذ يومين اعتقله.. فقال شقيقه: لا أبدا اطمئني إنه لم يعتقل.. وكان على المكتب مصحف أخذه في يده وحلف وأقسم إن جمال لم يعتقل. فسكتُّ وجلستُ في الحجرة مع أخويه. سألني أحدهما: هل تناولت العشاء؟ قلت: لا.. فقال إننا لم نتناول العشاء بعد.. فقمت وأحضرت عشاء خفيفا من الجبنة تناولناه في حجرة المكتب. جلستُ معهما حتى قبل الثانية عشرة، ثم تركتهما ودخلت حجرة النوم.. واستلقيت على السرير.

بعد دقائق وكانت الساعة الثانية عشرة سمعت صوت طلقات رصاص كثيرة شعرت بأنها صادرة من ناحية قصر القبة.. فقمت مسرعة وخرجت إلى الصالة ووجدت أخويه فقلت: هذا الضرب.. الطلقات في قصر الملك ولابد

أن يكون جمال من الذين يطلقون الرصاص ويهاجمون القصر.. وبكيت.

استمرت الطلقات الكثيرة عشر دقائق ثم سكتت دقائق وعادت مرة أخرى لدقائق.. واستمررت في البكاء فقال لي أخوه: إن صوت الطلقات كما هو معروف يصدر من الناحية المقابلة لها وليس من المكان الذي أطلقت منه، إنها ليست في القصر ولا تنشغلي، ونظر إلى المصحف وهمَّ بأخذه في يده فقلت له: لا تلمس المصحف، سوف لا أصدقك وأنت تحلف يمينا دون أن تعلم شيئا.. فرجع ولم يلمس المصحف

بقينا جالسين في حجرة المكتب وشعرت بأن شقيقه يريد النوم فقمت ودخلت حجرتي ولم أنم وبعد وقت وكل البيت هدوء وسكون، قمت في الظلام لأرى الشارع بعد سماعي طلقات الرصاص الكثيرة، ومشيت لحجرة السفرة وفتحت الشباك أنظر إلى الشارع. وأنا واقفة في الحجرة في الظلام رأيت شقيقيه يدخلان وكانا في الفراندة، وعند رؤيتهما لي قالا: إننا انتظرنا نومك حتى نرى من الفراندة ماذا حصل.. فقلت: وأنا أيضا انتظرت نومكما وقمت في الظلام لأنظر من الشباك وأرى ماذا حصل. ورجوتهما ألا يقفا في الفراندة ويظهرا، وقلت: أنا متأكدة أن البوليس والمباحث يراقبون بيتنا وبقيت ساهرة أنظر من الشباك إلى الشارع وأنظر من الفراندة، وأحاول ألا أظهر لخوفي من مراقبة بيتنا، وكنت أرى الشارع من الفراندة بسهولة ووضوح كما وصفت البيت.

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عندما رأيت شابا يقف في ناصية الشارع.. وهو ميدان المستشفي العسكري في ذلك الوقت رأيت

الشاب طويل القامة يزعق بصوت عال ويقول: عندك.. ثم يتحرك ويمشي بخطوات ثابتة أسمع صوتها ويروح ويجيء ويقول: عندك يا جدع بصوت مرتفع. وأرى العربات تتحول وترجع من الشوارع الداخلية في كوبري القبة، ومنهم من كان يمر من الشارع الذي يقع يمين البيت المقابل لبيتنا ولم أتبين أنه كان صوت جمال، وأن الشاب طويل القامة الذي يتحرك بخطوات ثابتة ويقول عندك يا جدع بصوت عال في سكون الليل ويرجع العربات ويقفل الشارع هو البكباشي جمال عبد الناصر.. زوجي الحبيب.

بقيت واقفة في الفراندة والشباك ألاحظ هذا الشاب وهو يقفل الشارع وأنا قلقة وأقول: ماذا حصل وقت سماعي الطلقات؟ وكان همي ألا يكون جمال قد أصيب في هذه الطلقات.

قبل الساعة الثانية صباحا رأيت العربات المصفحة والدبابات والجيش، وكان قد زود بأسلحة بعد حرب فلسطين، فرأيت وسمعت صوت الدبابات وهي تكركر وتمر في الشارع وتمشي في ميدان المستشفى العسكري، وكنت أعرف شوارع ثكنات الجيش وأمر عليها في خروجي، إذ كانت كلها قريبة من بيتنا.

رأيت أخويه يقفزان من الفرح ويقبلان بعضهما وقالا: افرحي افرحي.. فقلت: وأين جمال؟.. والطلقات التي سمعناها؟ وأخذت أبكي وقلت: الآن أنا فهمت.. إنه انقلاب عسكري.

وأخذ أخوه يهنئاني فكنت أسكت عن البكاء ثم أعود أبكي وأقول بالحرف: بس لو كنت أعرف فين جمال.. وطلقات الرصاص اللي

سمعناها؟ قال شقيقاه: لقد أخبرنا قبل خروجه أنه ذاهب في مهمة خطيرة: فإذا رأيتم الجيش نازلا والدبابات والعربات اعرفوا أني نجحت، وإذا لم تروا شيئا أسألوا عني غدا واعرفوا أنا فين. قلت مرة أخرى: أنا الآن عرفت أنه انقلاب عسكري ونجح، بس أين جمال؟ أريد أن أطمئن عليه.. وكنت أبكي وبقيت جالسة حتى الصباح لم أدخل حجرة النوم.

وفي الساعة السادسة والنصف صباحا يوم 23 يولية سنة 1952 سمعنا خبطا على الباب وفتح شقيقه، وكان الذي حضر ثروت عكاشة وطلب مقابلتي.. ذهبت له عند الباب فمد يده وهنأني قائلاً: أهنئك من كل قلبي.. نجح الانقلاب، فقلت على الفور: وفين جمال؟ قال بالحرف: هو قريب منك بينك وبينه خمس دقائق.. موجود في القيادة العامة وطبعا تعرفينها؟ فقلت: أمر عليها كثيراً وأعرفها جيداً.. وقال: اسمعي البيان في الراديو الساعة السابعة.. فشكرته وانصرف.

فتحنا الراديو لنسمع البيان.. وكان هناك عطل في الإذاعة حتى السابعة والثلث.. وسمعنا البيان الذي قرأه أنور السادات.

في الساعة التاسعة حضر صف ضابط وقال إنه من القيادة العامة في كوبري القبة، وإن الذي أرسله البكباشي جمال عبد الناصر ليخبرني بأنه بخير والحمد لله، وأنه سوف لا يحضر وقت الغداء وموجود في القيادة.

حضر أخي ودخل.. وكنا في الصالة شقيقاه وأنا.. بعد أن صافحته قلت له يجلس فقال: أنا مستعجل وتركت مكتبي وحضرت، ويوجد عندي ناس ينتظرونني وتركتهم وقلت لهم سوف أغيب، وليس لدي وقت

للجلوس.. وقال: أنا رأيت الشوارع فيها جيش ودبابات، والإذاعة محاطة بالجيش، وكل الميادين والأماكن المهمة فيها جيش، وسمعت أن الجيش قام بانقلاب عسكري فانشغلت على البكباشي جمال، وحضرت لأطمئن، لعله لا يكون من هؤلاء الضباط لأن الملك سوف لا يتركهم، وسيعدمهم فورا، وأنا متأكد من ذلك.. فقلت له: اطمئن جمال لا يتدخل في السياسة، وسألني: متى خرج من البيت؟ قلت: كالعادة خرج قبل الثامنة صباحا، وصافحني وخرج قبل أن نقدم له عصيراً أو قهوة.

فنظر لي شقيقاه وهما يبتسمان.. وابتسمت، وما إن سمعت باب عربته يقفل وتتحرك حتى ضحكت وشاركني شقيقاه في الضحك وقهقها، ووقفنا نضحك.. ولم أعر كلامه أي اهتمام، وكل ما قاله لي كان في نظري هراء بل أضحكني.

كنا نستمع للراديو وقراءة البيان طول النهار، ونسمع صوت الطائرات وهي تحلق في سماء القاهرة وتمر فوق كوبري القبة باستمرار منذ الصباح. في الساعة العاشرة مساء حضر جمال، وبعد أن هنأته من كل قلبي قال: سأبقى ساعتين فقط وأرجع إلى القيادة.

وحلق ذقنه وأخذ حماما واستبدل ملابسه وجلس معنا في حجرة المكتب. أخبرته عن أخي وحضوره في الصباح وسؤاله عنه وقلقه عليه، وما قلته له.. ولم أذكر ما قاله لي عن الملك وعن رأيه فيما سيفعله، فقال لي: إنه سيدهش غدا إذ سيراني في الجرائد ويرى صورا لي في عربة جيب، وقال إنه لف الشوارع الرئيسية في البلد مع اللواء محمد نجيب وكانت أول

مرة أسمع اسمه وإن البلد كلها خرجت لتحيتهم وكلها حماس

قلت له: إني طول النهار أسمع الطائرات تمر من فوق البيت، وحكيت له عن سهري طول الليل حتى الصباح، وقلقي عليه عند سماعي طلقات الرصاص.

قال جمال: لقد اقتحمنا القيادة العامة بفرقة من الجيش ومعي عبد الحكيم عامر، ولم يصب إلا اثنان من الجنود.. واحد من حرس القيادة وواحد من الفرقة التي معنا. واستسلم كل الموجودين في القيادة وكانوا مجتمعين، وأخذتهم واحدا واحدا وأدخلتهم في مبنى المدرسة الثانوية العسكرية وكان في منشية البكري في ذلك الوقت ثم قال: وسلمتهم للسجّان حمدي عاشور.. وضحك. وبعد أن تم كل شئ خرجت لأقفل الشارع وأرجع العربات المارة قبل مرور الجيش، وكنت واقفا على ناصية الشارع وركنت العربة الأوستن بالقرب مني.. وأضاف وهو يضحك: لم تقلقين وأنا قريب منك على ناصية الشارع، والعربة الأوستن بالقرب مني في ميدان المستشفى العسكري؟ فقلت: إنك كنت قريبا ولكن بعيداً جداً.. وكان يضحك.

وتحدث عن الملك وقال: لقد أرسل الملك مبعوثا من قبله وأملينا عليه تغييرات وشروطا، وكل ما طلبناه منه وافق عليه فورا.

وحدثته عن حضور ثروت عكاشة في الصباح وتهنئته لي وقوله: اسمعي البيان في الساعة السابعة.. وسمعنه. فقال جمال: إنه أنور السادات، وقال: لقد كان هو وزوجته في السينما، وعندما رجع لبيته وقرأ الورقة المكتوب فيها أن يحضر ارتدى ملابسه العسكرية وخرج مسرعا، وفي طريقه للقيادة عند مدخل مصر الجديدة منعه الضابط المكلف بالوقوف

هناك لعدم معرفته كلمة السر، وبعد إلحاح سمح له الضابط بالمرور، وعند مدخل القيادة منع أيضا من الدخول فلف ودار حول القيادة دون جدوى، وأخيرا نادى، وصاح فسمعه عبد الحكيم وعلمت بحضوره ودخل القيادة عند الفجر، وفي الصباح أعطيته البيان ليقرأه في الإذاعة

وكان جمال عبد الناصر يضحك وهو يحكي عن أنور السادات

وفي الساعة الثانية عشرة مساء قام جمال وقال لي: لا تنتظريني فسأبقى في القيادة.. وحيَّاني وخرج.

الخاتمة

شهادة حق

كتبها السادات

عن عبد الناصر

عبد الناصر كما يراه السادات

قال أنور السادات لابنه (جمال) والذي سُمي على اسم جمال عبد الناصر

هذا عمك المصري العربي

جمال عبد الناصر يا بني عمك جمال عبد الناصر.. وهو المصري العربي..

فهو من أسيوط في صعيد مصر ومن قبيلة بني مر العربية وقد تكون لحمه هو وأجداده من تراب مصر، وامتلأت عروقه بالدماء الحارة من نيل مصر..

وجمال عبد الناصر، عمك يا بني الذي سميتك على اسمه، وصديقي، ورئيسي، الذي أحبه واحترمه منذ أن كنا ضابطتين صغيرين في منقباد سنة 1938.

عمك جمال هذا يا بني، يمتاز بالأقدام، والإيمان بمصر، واستقلالها، وكرامتها إيمانا صلبا عنيدا، كنت ألمسه منذ حداثتنا في معاملته لنا نحن أصدقاءه، وفي معاملته أيضا للضباط العظام الذين كانوا رؤساءنا.. وفي معاملته لأفراد البعثة البريطانية التي كانت مفروضة على جيشنا..

وفي سنة 1882 كان الشعب المصري يعاني من الخونة المأجورين، فقد كان هناك في الجيش أتراك وأرناءوط لا يحسون باحساس مصر، بل يعتبرون انفسهم من طينة الخديويين والحكام.. اما الشعب فكانوا يصفونه بالفلاحين عبيدهم.. وقد كانوا يطلقون على عرابي (الفلاح) لأنه مصري. ولم تكن مناصب القيادة من حق الضباط المصريين، ولا كان من حقهم أيضا الحصول على رواتب مثل غيرهم من الضباط الأجانب.

أما من ناحية الشعب، فقد كانت المناصب والحكم وفقا على الأتراك

والأجانب من دون المصريين (الفلاحين) وكان السياسيون الذين يتقلدون المناصب، من هؤلاء الخونة الأجانب عن الشعب.. أما أبناء البلاد، فلم يكن لهم صوت أو نصيب في أمور بلادهم.

وحين قررت الجمعية التشريعية المصرية أن تمارس سلطاتها كاملة باسم الشعب في الرقابة على الحكومة، والميزانية ومقاومة التدخل الأجنبي من فرنسا وبريطانيا الذي كان يتمثل في اشراف ثنائي على مالية مصر كان الخطوة الأولى لفرض استعمارها، اوعز قنصلا فرنسا وبريطانيا إلى الخديوي توفيق (الدمية) بتعطيل هذه الجمعية وإلغائها.. ثم تلا ذلك الضدخا! احساس لي سنة 1882.

وبريطانيا وفرنسا هما أصحاب نظرية الديموقراطية ومن أقطاب ما يسمى بالعالم الحر.

أما في سنة 1956 فإن الشعب المصري لم يكن من بينه خائن ولا عميل..

فإنه بعد قيام ثورة 23 يوليو سنة 1952 تطهرت الحياة السياسية من الزعماء والأحزاب الذين نشأوا في أحضان الاحتلال البريطاني.. وبعد ثلاث سنوات تمكنت الثورة من تحقيق المبدأين الأول والثاني لها وهما:

- القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة..
- القضاء على الاقطاع.

ولقد تم القضاء على الاقطاع بعد أن أنهت الثورة حكم أسرة محمد علي وأعلنت الجمهورية..

وتم القضاء على الخونة بعد أن قضت الثورة على الاقطاع وعندئذ سهل القضاء على الاستعمار الأجنبي بعد أن فقد أعوانه من الخونة داخل البلاد، ومن الحكام من أسرة محمد على الأجنبية وبطانتهم وأتباعهم..

أن الاستعمار لا يعيش أبدا يا بني إلا على الخيانة والاقطاع، والحكام الذين يبيعون أنفسهم وبلادهم لقاء المنفعة والجاه والسلطان.

وفي سنة 1882 كانت مصائر شعبنا في أيد أجنبية تعبث بها كيف تشاء.

فمن الوجهة القانونية كانت مصر ولاية عثمانية تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي ولكن الواقع كان أسوأ من ذلك بكثير فشعبنا في صراع مع الطغاة والمستعمرين والطامعين، منذ فجر التاريخ...

ان المعركة التي انتهت في بورسعيد بهزيمة فرنسا وبريطانيا محركة يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثامن عشر حين جاءت فرنسا سنة 1798 تغزو مصر فقد كانت أحلام السيطرة على مصر مفتاح الشرق صاحب الكنوز والخيرات تداعب نابليون الذي لم يلبث أن أغار على مصر.

أما بريطانيا فقد جاءت تغزو سنة 1956 بقصد الاستيلاء عليها لتحقيق الأغراض التي كانت تريدها في سنة 1807، وسنة 1882، وهي تثبيت استعمارها الجشع، وتأمين عملية امتصاص دماء الشعوب.

وقد كانت مصر في القرنين الثامن والتاسع عشر ولاية عثمانية تابعة للامبراطورية التركية، ولكن هذا لم يكن ليمنع فرنسا ولا بريطانيا من انتهاز كل فرصة للسيطرة على مصر، بل ان تبعية مصر للامبراطورية العثمانية، كانت تسهل لهما دائما تحقيق الأطماع في السلم والحرب على السواء..

وكأنما يعيد التاريخ نفسه يا بني سنة 1956، فان الأساطيل الفرنسية البريطانية التي أغارت على بورسعيد، كانت تحتمي في المواني التركية، لكي تتجنب عيوننا التي كانت مفتحة على قبرص حيث كانت توجد قواعدهم.. تماما كما كانت تحتمي بريطانيا بالخليفة العثماني لكي يصدر لها الأوامر إلى مصر بتنفيذ كل ما تريده هي وفرنسا.

بل وأكثر من ذلك، فان بلاط الخليفة العثماني صاحب الولاية على مصير شعب مصر كان يخضع تماما لأوامر بريطانيا وفرنسا ومشورتيهما في كل ما يتعلق بمصر. وكانت ولاية هذا الخليفة على مصر أسمية فقط..

أما الحقيقة فكانت هي أن مصير شعب مصر، كان دائما رهنا لإشارة ونصائح بريطانيا وفرنسا.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة عبر التاريخ..

وكانت بريطانيا وفرنسا تلجأن فقط إلى استعمال القوة مجتمعين إذا كانت مشورتهما لا يؤخذ بها، أو يفقدان سيطرتهما على مصر من خلال الخليفة العثماني، كما حدث في موقعة نفارين.. وفي سنة 1882 حينما أرسلت الدولتان أساطيلهما تخلف الأسطول الفرنسي من عرض الطريق، وكمل الأسطول الانجليزي المهمة لحساب بريطانيا..

اما في الحالات التي كانت تلجأ كل دولة منهما إلى استعمال القوة منفردة بقصد السيطرة على مصر كما حدث في سنة 1798 بالنسبة لفرنسا، وسنة 1807 بالنسبة لبريطانيا، فقد كان ذلك يحدث دائما نتيجة لخلاف بين الدولتين وتعارض بين أطماعهما..

تخرج من هذا يا بني إلى أن أطماع بريطانيا وفرنسا في مصر قديمة وعميقة ولم يكن يحد منها أو يوقفها تبعية مصر للإمبراطورية العثمانية.. بل على العكس من ذلك، كانت هذه التبعية مما يمكن للدولتين احكام سيطرتهما على مصر.

فإذا اتفقت الدولتان عملتا مجتمعتين ضد مصر..

وإذا اختلفت الدولتان عملتا كل على حدة أيضا ضد مصر..

ودور تركيا في كل الحالات، وخلالي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هو نفس دورها في سنة 1956 في خدمة الدولتين المستعمرتين، وخدمة الاستعمار بصفة عامة.

بل ان الأمر تطور إلى ما هو أشد بشاعة من ذلك فإن فرنسا وبريطانيا فرضتا علنا سيطرتهما على مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بحجة الدين الذي اقرضوه. للخديوي إسماعيل، وكانوا يستغلون في ذلك سفه ذلك الخديوي واستهتاره. فأوعزوا إلى المرابين من فرنسا وبريطانيا بإقراضه؟ المال بالفوائد الجسيمة، حسب خطة منظمة، انتهت بأن أفلست الخزانة المصرية.

ففرضت الدولتان سيطرتهما عن طريق ما سمي بصندوق الدين الذي كانت له الولاية ليس على مالية مصر وحدها، وإنما على مصير الشعب المصري سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا..

وبدأت منذ ذلك الوقت عملية افقار هذا الشعب وتأخيره ومنعه من العلم والتقدم، على يد بريطانيا وفرنسا بعد أن كانت تتم قبل ذلك على يد

تركيا العثمانية.

وهكذا كانت مصائر الشعب المصري ملكا للعابثين الأجانب في فرنسا وبريطانيا، وحليفتهما تركيا سنة 1882.

تغير الحال

أما في سنة 1956 فان الحال بالنسبة لمصر كان قد تغير على صورة حاسمة لم يحاول أن يفهمها أولئك المستعمرون فقد اخفى الجشع والغدر الحقائق عنهم.

فمصائر شعب مصر لم تعد في يد بريطانيا وفرنسا ولا تركيا.. ولا الثلاثة مجتمعين، وإنما عادت لصاحبها شعب مصر...

فانه بعد قيام ثورة 23 يوليو سنة 1952 تغير وجه التاريخ إلى الأبد بإرادة الشعب، ونظرة واحدة إلى مبادئ الثورة يا بني التي نبتت من صميم قلب كل مصري، بعد ذلك التاريخ الطويل من المظالم والسيطرة الأجنبية، تعطيك الفكرة الصحيحة عما حدث في مصر يا بني... وكيف عادت السيادة على مصر إلى يد شعب مصر..

أن هذه المبادئ التي سجلها الشعب في دستوره الذي أصدره في 16 يناير سنة 1956 هي:

1 - القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة..

2 - القضاء على الاقطاع

3 - القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.

4 - تطبيق العدالة الاجتماعية.

5 - أقامة جيش وطني قوي.

6 - إقامة حياة ديموقراطية سليمة.

وهكذا حدد الشعب المصري أهدافه يا بني.. وبدأ معركته ضد أعدائه في إيمان، وتصميم، وعنف، ولم تمض سنوات ثلاث، حتى كانت الانتصارات تتحقق لهذا الشعب، وحتى أخذت عجلة الثورة تطحن في طريقها كل العقبات..

ولم يكن الطريق سهلا ولا ممهدا يا بني..

فإننا لم نكن نواجه العقبات فقط من الرجعيين وأنصار الحكم الفاسد...

وإنما واجهناها أيضا من داخل الثورة نفسها.. حينما خرج على مبادئها الجنرال محمد نجيب.. وهو الرجل الذي آخترناه أول الأمر لقيادتها.. ففضل ان يتعامل مع الرجعيين أعداء الثورة.. وكادت المسألة تنتهي بكارثة، لولا يقظة عمك جمال عبد الناصر..

وعمك جمال.. هو الذي إصر بادئ الأمر على ان يتنازل عن قيادة الثورة لمحمد نجيب.. برغم أن عمك جمال كان منتخبا رئيسا لمجلس قيادة الثورة، بإجماع أصوات أعضاء مجلس الثورة، من قبل أن تبدأ الثورة.. ومن بعد أن قامت، وسأحكي لك القصة في الفصول القادمة.

ان تاريخ السنوات الاربع التي تلت قيام الثورة، الى انتخاب عمك جمال رئيسا للجمهورية بإجماع شعبي هائل، هذا التاريخ يا بني.. هو ما

سأرويه لك في الفصول القادمة لكي تعرف انت والجيل الذي تنتمي إليه قصة الصراع الجبار بين الحق والباطل.. وبين المثل العليا والانحلال.. وبين شعب أعزل إلا من الإيمان بحقه وسيادته، والاستعمار المتجبر المغرور بقوته وجبروته..

وقد كان أول مبدأ من مبادئ الثورة.. هو القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة فانه من المستحيل أن يتم أي اصلاحا أو تقدم لشعب من الشعوب، وهو يرزح تحت أعباء سيطرة أجنبية، ايا كان لون هذه السيطرة.. والاستمار على خبثه وكونه افتك سلاح يدمر حياة الشعوب وأمنها، وسلام العالم كله، فانه يتطور ايضا في أساليبه المجرمة شأنه شأن أي ظاهرة من الظلواهر..

وفي كل أسلوب يتخذ له اسما.. وتتعد الأسماء والأساليب.. ولكن الهدف واحد.. هو الجشع وهو الفتك بالشعوب، والجماعات.. وإشاعة القلق والرهبة في هذا العالم.. لكي ينزف المستعمرون دماء الأبرياء فيقيموا عليها رفاهيتهم وملذاتهم...

كان اسمه شركات أجنبية تحصل على امتيازات...

وتطور الى احتلال عسكري بالجنود والمعدات..

ثم تطور الى حماية..

ثم أطلقوا عليه انتداباً..

وعادوا فقالوا وصاية..

ويسمونه اليوم بالأحلاف..

ولقد ابتلى شعبنا يا بني في فترات كثيرة، بأشد هذه الأساليب فتكا وتدميرا.. على يد بريطانيا وفرنسا في تاريخنا القريب..

عرفنا الحماية على يد بريطانيا..

وعرفنا الاحتلال أيضا على يد بريطانيا..

وعرفنا الشركات الأجنبية التي تحصل على امتيازات، فتصبح دولة ذات سيادة داخل الدولة، على يد بريطانيا وفرنسا كشركة قناة السويس المصرية.. وهي التي اتخذت بريطانيا وفرنسا تأميمها ذريعة للهجوم على مصر، من أجل تحقيق أهداف الاستعمار والسيطرة التي قضت عليها الثورة نهائيا في سنوات قليلة بالنسبة لمصر، وبالنسبة لامتنا العربية على حد سواء..

ان قصة هذا العدوان الذي قامت به فرنسا وبريطانيا وإسرائيل على مصر بتدبير دنيء غادر تحت ستار شركة قناة السويس، لم تعد قصة كفاح الشعب المصري وحده، وانما أصبحت ملكا لكل الشعوب الصغيرة التي ابتليت بالاستعمار وتكافح من أجل التحرر..

إنها أصبحت قصة فضيحة أولئك الذين كانوا يسمون أنفسهم بالكبار.. فعرف العالم كله انهم كبار في الإجرام والغدر، والخيانة.. وكبار في أساليب النذالة، وهدم البيوت على الآمنين وقتل النساء والفتك بالأطفال...

إنها قصة من كانوا يسمون أنفسهم بزعماء العالم الحر.. فعرف الناس أن الحرية في نظرهم هي:

- التحرر من كل مبادئ الشرف والعدالة..

- والتحرر من القيم الإخلاقية..
- والتحرر مما تحرص عليه البشرية الى يومنا هذا من قيم أنسانية تحفظ على الناس انسانيتهم، فل ينحطون إلى مرتبة الحيوان..

عرف العالم كل هذا يا بني عن زعماء ما يسمى (بالعالم الحر) بعد معركة سنة 1966 فلم تكن هناك قوة تستطيع أن تخفي هذه الحقائق عن الشعوب..

وعرف العالم أيضا عن مصر.. أنها صدت تيار البربرية التي ارادت أن تعود بالعالم الى شريعة قطاع الطرق وحكم الغاب.. ليس عن نفسها فقط وانما عن كل الشعوب الصغيرة

كما خط في لوح القدر...

كيف حدث هذا؟...

انني أكتب لك يا بني هذه الصفحات وأنا أحس أننا نعيش اليوم في فترة تطور حاسمة من تاريخ العالم، لن تراها يا بني.. ولكنك ستقرأ عنه.. وسيتخذ منها المؤرخون، نقطة انطلاق تسجل بدء تاريخ جديد لهذا العالم.. تاريخ جديد في كل شئ..

وأخطر شئ في هذه الحقبة.. هو أن الشعوب اليوم، هي التي تملى هذا التاريخ وتكتبه بإرادتها، وكفاحها ودمائها.. بعد أن كان يكتبه أولئك الكبار بالقهر والسلب لإرادة الشعوب..

ولن تستطيع قوى أولئك الكبار بعد اليوم، ان تقهر إرادة الشعوب ثانية، مهما كانت هذه القوى..

لقد استيقظت الشعوب.. وحطمت ذلك الستار الحديدي الذي فرض

على حدودها وعلى ضمائرها وعلى أرزاقها ومقدراتها..

وأصبحت الشعوب لا تؤمن بغير التعايش السلمي، من غير أن يتدخل أحد في شئون الأخر أو يسلبه رزقه أو أرضه..

عالم تختار فيه الشعوب ما تريده لنفسها من نظم بملء حريتها..

عالم لا تحرق فيه المحاصيل في بلد، ويموت من الجوع الملايين في البلد الأخر..

عالم لا يفرق بين الجنس أو اللون أو العقيدة.. ولا يعترف بسيادة لون أو جنس على الآخرين..

عالم لا يرث أحقاد القرون. الماضية التي فتكت بالبشرية، وسببت الحروب..

عالم يستأصل الاستعمار من جذوره.. لأنه وراء الأحقاد والشرور والحروب والقلق الذي يشقى الإنسان.

كيف حدث هذا يا بني؟

لم اتوقع ان امسك بقلمي لكي اسطر لك هذه الكلمات وعمرك على الأرض لم يتجاوز الشهرين..

ولقد حدثتك يا ولدي في الفصل السابق من المذكرات عن أسلحة حلف الأطلنطي التي جاءت مصر لتخلع عمك جمال. وسردت لك تاريخ أقدم وثيقة لإعلان حقوق الإنسان وقد كتبت في مصر.

وحدثتك عن الدروس القاسية التي تعلمتها في القرية.. وجدتي، والمشهد

الذي تكرر بمد أربعة وسبعين عاما، وقصة الإنذارين اللذين رفضناهما.

وقلت يا ولدي ان الطريق لم يكن سهلا ولا ممهدا.. لاننا كنا نواجه عقبات من الرجعيين.. ومن داخل الثورة نفسها..

وذكرت لك يا ولدي كيف خرج الجنرال محمد نجيب على مبادئ الثورة.. وهو الرجل الذي اخترناه أول الأمر لقيادتها.. ولكنه يا ولدي فضل ان يتعامل مع أعداء الثورة.. وكادت المسألة تنتهي بكارثة لولا يقظة عمك جمال عبد الناصر..

وقلت لك يا بني اشياء كثيرة.. وحدثتك عن العالم الذي لا يرث أحقاد القرون الماضية والقلق الذي يشقى الإنسان.

كيف حدث هذا كما قلت لك في نهاية الفصل السابق يا بني هذا ما سأرويه لك الان، ولن تكون روايتي تاريخا أو مذكرات وانما هي كما قلت لك احساسات وانفعلات هي اقرب ما تكون إلى الذكريات منها إلى المذكرات..

فلكي تستطيع ان تعرف ما حدث، يجب ان تلم يا بني بأمرين الأمر الأول هو ثورة 23 يوليو، والأمر الثاني هو شخصية عمك جمال عبد الناصر، وسترى يا بني ان الحديث عن الثورة واهدافها واحداثها طوال الفترة التي أنقضت منذ بدئها في 23 يوليو سنة 1952 الى هذا اليوم الذي اكتب لك فيه هذه الصفحات في شهر يناير سنة 1957، اقول سري يا بني ان الحديث عن الثورة لابد وان يعود بنا في كل صغيرة وكبيرة إلى شخصية عمك جمال، وسترى، أيضا يا بني أن الحديث عن شخصية عمك جمال

سيعود بنا دائما إلى فطرة شعب مصر ومقوماته وخصائصه في القرية والحقل كما هي في المصنع والمدينة، هذه المقومات وتلك الخصائص التي هزمت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وردت عدوانهم وهم الذين كانت لديهم أحدث الأسلحة والأدوات التي أعدت للحرب والخراب والدمار..

حديث شيق

ان حديث ثورة 23 يوليو يا بني حديث شيق على مافيه من قسوة وشجى وبرغم مافيه من ألوان الصراع، صراع من قبل ان تبدأ الثورة في الداخل، وهو اليوم حديث العالم كله في الخارج..

وكما سبق أن قلت مرارا من قبل يابني، فان ثورة 23 يوليو حدث تاريخي له شخصيته المستقلة تمام الأستقلال عن كل ما سبقه من ثورات مماثلة، وله طابعه ومميزاته التي لن يستطيع ان يدركها الا من عاش في البيئة المصرية أو تعرف عليها عن فهم ودراسة..

وفي هذا القرن الذي نعيش فيه حدثت ثلاث ثورات كانت كلها تكاد تكون مؤدية بعضها الى بعض، فبعد الحرب العالمية الأولى، وعلى اثر الهزيمة التي منيت بها تركيا، قام مصطفى كمال اتاتورك بثورته المشهورة لكي يجدد شباب تركيا..

وايا كانت الوسائل التي اتبعها، وايا كانت ايضا طريقة فهمها لبعث تركيا، فان مصطفى كمال استطاع خلال فترة حكمه أن يرسى قواعد كثيرة لنهضة تركيا وقوتها واستقلالها الذي يفرط فيه حكام تركيا اليوم على

صورة مؤسفة..

ثورة موسوليني

وجاءت ثورة موسوليني في إيطاليا الثانية في الترتيب بعد ثورة تركيا، وهي قد قامت أي الثورة الفاشستية الإيطالية عقب الهزيمة في الحرب العالمية الأولى ايضا..

والذي يهمنى في هذا المقام هو ما صرح به موسوليني مرارا واثبته المؤرخون من ان ثورة ايطاليا الفاشستية إنما كانت نهجا من المدرسة الكمالية أي مدرسة كمال أتاتورك..

ثم كانت الثورة الثالثة في ألمانيا بقيام هتلر، وهو الذي لم يكن يخفي على الاطلاق اعجابه بموسوليني وثورته بل ان (هتلر) لا يفتأ يعلن ان موسوليني هو أستاذه الذي سار على نهجه وتتبع خطاه.

تخرج من هذا الاستعراض المبسط يا بني بنتيجة هي ان هذه الثورات التي وقعت في النصف الأول من هذا القرن إنما كانت كلها مدرسة واحدة.

ولكنك حين تأتي الى ثورة 23 يوليو المصرية والتي وقعت في مستهل النصف الثاني من هذا القرن فإنك تجد عملا جديدا، بل منفصلا تمام الانفصال عما سبقه من ثورات وقعت من قبله في نفس القرن العشرين..

وهناك ثورة أخرى وقعت قبل تلك الثورات الثلاث يا بني في نفس هذا القرن وخلال الحرب العالمية الأولى وهي الثورة البلشفية في روسيا ولم أشأ أن أجعلها من تلك الثورات الثلاث اللاحقة لها لأنها مدرسة قائمة بذاتها في وطن له ظروفه التي شكلتها محنته وألامه..

الا ان الباحث يرى ويلمس يا بني أنه ما من شك في ان هذه الثورات الثلاث على اختلاف ظروفها كانت تستهدف أول الأمر مصلحة الشعوب التي قامت فيها، ثم جاءت بعد ذلك الانحرافات، ففشلت اثنتان هما الفاشستية في ايطاليا والنازية في ألمانيا وتتعثر اليوم الثالثة في تركيا..

ثورة 23 يوليو والثورات الأخرى

وأعود الى ثورة 23 يوليو فأقول: ان هذه الثورة حدث جديد تماما يا بني عما سبقه من أحداث في نفس القرن من عمر الزمان، وأسباب هذا الاختلاف ترجع في أساسها الى ان ثورة 23 يوليو هي الأخرى مدرسة قائمة بذاتها استمدت كل مقوماتها من طينة شعب مصر وظروفه وعاداته وأخلاقه.

وسبب آخر أساسي له عمقه ومغزاه هو ان ثورة 23 يوليو اتخذت من المثل العليا شعارا تمسكت به وحافظت عليه برغم ما سببه ذلك التمسك من تعويق لسير هذه الثورة واندفاعها في وقت من الأوقات.

ولنأخذ مسألة قيادة هذه الثورة على سبيل المثال، فنحن لا نعلم فيما نعلم من تاريخ الثورات في هذا القرن أو فيما سبق من قرون ان قائد ثورة من تلك الثورات يتنازل عن مركزه كقائد بمحض ارادته ليدفع برجل أخر الى قيادة هذه الثورة، ولا يكتفي بذلك بل يخدم تحت إمرة هذا الذي دفعه جنديا شريفا مخلصا.

عيوب مصطفى كمال

ان ما نعلمه عن تاريخ الثورات هو عكس ذلك على خط مستقيم، فقد كان قواد الثورات ولا يزالون يخلون لأنفسهم الطريق بالقتل والاغتيال والإرهاب.

فالتاريخ يقرر مثلا ان من عيوب مصطفى كمال أتاتورك المشهورة هو انه لم يبق على زميل أو صديق عاونه الا وقتله.

والتاريخ يذكر أيضا حمام الدم الذي خاضه هتلر بنفسه وبييده.

وموسوليني أيضا لم يمتنع عن القتل إلا حين قتل..!!

وجهة نظر الجيش كله

اما في هذه الثورة ثورة 23 يوليو يا بني وهي التي أخذت نفسها بالمثل، فاننا نرى جمال عبد الناصر الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار سنتين متتاليتين يسعى قبل قيام الثورة الى اقناع الهيئة بضرورة تنصيب قائد للثورة من خارج الهيئة لظروف واعتبارات قدر انها لمصلحة الوطن في الوقت الذي يعلم فيه جمال انه أجدر عن يقوم بها سواء من وجهة نظر الهيئة التأسيسية التي انتخبته رئيسا او من وجهة نظر الجيش كله..

ولم يكتف جمال بذلك، بل انه بادر عقب انتخابه للمرة الثالثة رئيسا بالإجماع بعد قيام الثورة وطرد فاروق أقول بادر فتنازل الى محمد نجيب عن هذه الرياسة وألح على الهيئة التأسيسية حتى قبلت هذا الوضع.

لماذا.. لماذا؟

ويحق لكل إنسان أن يسأل اليوم يا بني لماذا تصرف عمك جمال على هذا النحو، فالعالم يجري على سنن غير هذه السنة، ونواميس الناس اليوم لا تعقل أو تفهم مثل هذا التصرف..؟

وهنا لابد من أن أكشف عن جانب من جوانب شخصية جمال عبد الناصر وهو أمر لابد لنا أن نسترشد به طول الحديث يا بني.

شخصية عمك جمال

فقط ذكرت ان الهيئة التأسيسية وافقت قبل قيام الثورة على تعيين قائد مسن للثورة من خارج الهيئة الا واحدا عارض في هذه الخطوة هو أبوك الذي يكتب لك هذه السطور، وقلت أيضا انه كان هناك ثلاثة مرشحون اختير منهم محمد نجيب، وبعد أن صدر هذا القرار أذكر انني اجتمعت على انفراد بعمك جمال في شقته بكوبري القبة وأخذت أتناقش معه وابدي له تخوفي الشديد من تسلم رجل غريب لقيادة الثورة التي لم تبدأ بعد وكان محور خوفي ان الرجل بحكم سنه وعقليته وجيله الذي نشأ فيه لن يستطيع أن يفهم العمل الثوري ولا يرجى منه بعد هذه السن أن يعيش بعقلية غير عقليته مما يشكل خطرا جسيما على الثورة خصوصا عند البدء.

النفس البشرية

وأذكر انه بان على عمك جمال انه اقتنع وأخذ ينفث دخانه سيجارته على عادته حين يكون مستغرقا في التفكير ثم لم يلبث انه قطع الصمت قائلا:

(يجب أن تحسب حساب النفس البشرية..)

ولم أفهم أوله الأمر، ولكن عمك جمال لم يلبث أن أستطردَ قائلا:

(نحن جميعا في الهيئة التأسيسية زملاء وفي سن واحدة، ورتبنا تكاد تكون واحدة، والذي جمعنا في هذا العمل هو الصداقة أولا ثم الأخوة

والمحبة اللتان ولدتا الثقة بدليل اننا نتآمر ليل نهار ولا يحس بنا أحد، وأخشى ما أخشاه اننا إذا جعلنا قيادة الثورة فينا أن يفتح هذا الأمر ثغرة في نفس واحد منا ونحن بشر، والنفس البشرية مليئة بالانفعالات، وأنا لا أريد أن يكون مستقبل الوطن معلقا على الانفعالات، بل لا أريد أن أفرض احتمالاً واحدا في الألف فيه شك من انفعال في نفس أي واحد فينا لأن المسئولية مسئولية مستقبل شعب، وبالثقة والمحبة نستطيع أن نحقق المستحيل).

وهكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ من قبل أن تبدأ الثورة يا بني.

وهكذا كان عمك جمال ومازال وسيظل يحسب حساب كل شئ مهما كان مستبعدا يا بني، لذلك انهزم وانهار أمامه ايدن الذي قضى ثلاثين عاما يصرف السياسة الدولية ويتحكم في مقادير البشر وكانوا يعتبرونه استاذا من أستاذة هذا الفن.

ولهذا عرف الساسة في أمريكا وفي العالم كله أن ذهب العالم كله لا يشترى في مصر لا المثل ولا المبادئ.

ولهذا عادت العزة وعاد الشرف القومي لشعب عريق بل لمنطقة بأسرها، منطقة يسكنها قوم كان المستعمرون يسمونهم (عرب) كصفة تعني الاحتقار والاشمئزاز، وبين يوم وليلة أصبحت كلمة (عرب) ذات مغزى عميق مخيف، مغزى يفخر به الأهل والأصدقاء، ويرهبه القراصنة المستعمرون الأقوياء.

ولهذا أصبحت ثورة 23 يوليو قذى في عين فرنسا أفقدها الوعي والرشد.

ولهذا فزع الانجليز وخرجوا على مألوف عادتهم في ادعاء الهيبة والوقار وأصبحوا وهم يصرخون في هذيان جنوني كشف عن خيبة نواياهم الاستعمارية وانتهى بهم الى الافلاس والجوع.

والمعركة لم تنته بعد يا بني حتى هذه اللحظة التي أكتب لك فيها هذه السطور ولكن عمك جمال لا يزال كما هو يحسب حساب كل شئ ويستلهم وحيه من روح شعب مصر البسيطة المسالمة، وهي نفس الروح التي تحطم القيود وتنسف السدود إذا غضبت أو ثارت.

وقد انتصرت الثورة وانتصر عمك جمال في كل معركة خاضها باسم الشعب، أنتصر يا بني على ادعياء الدين من المشعوذين، وقضى على الاتجار بالسياسة، وانتصر في مارس سنة 1954، وانتصر في أكتوبر 1956، انتصر يا بني في معركة الاحلاف، وأنتصر في معركة العروبة، وانتصر في معركة تسليح مصر وانتصر في معركة القناة، وانتصر في معركة وحدة مصر وسورية وهو يكمل اليوم انتصاره في اتحاد الدول العربية..

الانتصارات التي حققتها الثورة

كان من المتفق عليه في اجتماعات الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار، التي تشكلت سنة 1951، أن يكون عام 1955 هو العام الذي تقوم فيه الثورة.

وأنا أقول يا بني كان من المتفق عليه لأن قرارا بذلك لم يصدر، وإنما كان ذلك التقدير مبنيا على الحساب الدقيق، الذي كان يحسبه عمك جمال كعادته يوما بيوم، منذ أن تولى أمر هذه الثورة عام 1943، أي قرابة تسع سنوات كاملة.

وفي خلال هذه السنوات التسع، استطاع عمك جمال يا بني أن يطور الفكرة من عمل حماسي لا يرتكز على تنظيم أو يقوم على مبادئ ثابتة، إلى عمل ثوري متكامل.. يقوم على الوعي بدلا من الحماس.. ويرتكز على تنظيم محكم له أهداف محددة واضحة.

وكانت نظرية عمك جمال أن الثورة من غير تنظيم قوي يسندها ويشد من أزرها لن تكون لها ثمرة، ولن يكتب لها البقاء. وشأنها أية معركة حربية، لن يكتب لك الفوز فيها إلا أذا كانت جيوشك تستند بظهرها إلى ما يسمى في الفن العسكري (بالقاعدة الثابتة) وهي القاعدة التي تؤمن لك كل احتياجتك من قبل المعركة وفي أثنائها، بحيث تستطيع أن تضمن تدفق القوة وتجددها في شرايين قواتك، في كل الظروف.... ومهما كانت الظروف.

وكان عمك جمال يطلق تعبير (القاعدة الثابتة) على تنظيم الضباط الأحرار، بعد أن فقد الشعب ثقته في القادة والأحزاب وأخذ يتطلع في أمل مكبوت الى قواته المسلحة، أمله الوحيد الباقي في الصراع من أجل حريته.

لذلك كان عمك جمال يصر على أن يستكمل تنظيم الضباط الأحرار قوته كاملة، قبل أن تنطلق منه الثورة.

ومن أجل هذه الاعتبارات، تحدد مبدئيا عام 1955 لبد الثورة..

ولكن الأقدار كانت قد أعدت تاريخا غير ذلك التاريخ، ومهدت لذلك بسلسلة من الأحداث وقع أولها في نهاية عام 1951 حينما ألغت مصر معاهدة التحالف مع بريطانيا.

وأذكر يا بني أن الهيئة التأسيسية اجتمعت في الأسبوع الأول من شهر

يناير سنة 1952 في منزل عمك حسن إبراهيم، برئاسة عمك جمال عبد الناصر، لكي تبحث الموقف الذي يتدهور بسرعة، ويسود يوما بعد يوم.

فبالرغم من أن تشكيل الضباط الأحرار كان يمد حركة المقاومة التي قامت في منطقة القناة ضد جنود بريطانيا عقب إلغاء المعاهدة بالأسلحة والذخائر والضباط الا أن الصورة كانت قاتمة، لأن الوزارة الحزبية التي كانت في الحكم وقتذاك لم تكن تعني الكفاح والمقاومة، بقدر ما تعني المكاسب الحزبي، هذا فضلا عن أنها لم تكن لتستطيع المضي حتى في هذه المقاومة الكسيحة، لأنها ككل وزارة حزبية أخرى، عبارة عن باشاوات كل همهم هو أن يؤثروا السلامة مع الجاه، والمنصب، وجمع المال، يضاف الى ذلك أيضا أن ملك البلاد التي يقاوم شعبها جنود بريطانيا، جنرال في الجيش البريطاني.

وكان أخوف ما نخافه، هو أن ييأس الشعب بعد أن توقفت المقاومة فعلا في منطقة القناة في مستهل 1953 بعد أن سيطرت عليها الحكومة، وبعد أن قتل شباب برئ في معاركها التي لم يكن لها خطة ولا تنظيم يضمن لها الاستمرار والنجاح.. ويضاف الى كل ذلك، حالة الفوضى التي أصبحت تنذر بأخطر العواقب.

فالشعب كان يحقد على الملك، ويحقد على الأحزاب، وأصبح الحكم والحكومة، هما أعدى أعداء الشعب.. ولن يستفيد من كل ذلك إلا العدو الأجنبي الذي يتربص ببلادنا من داخلها، وهي بريطانيا التي عرفها العالم، وعرفناها نحن سيدة المؤامرات والدس واقتناص الفرص،

للسيطرة على الشعوب من داخلها.

وفي هذا الاجتماع وبعد دراسة شاملة، أصدرنا أول قرار يا بني بتحديد موعد قيام الثورة.. وكان شهر نوفمبر 1952، على أن يبدأ في الحال بتعبئة كل قوى الضباط الأحرار داخل القوات المسلحة، لمواجهة أية أحداث قد تطرأ وكانت أسباب اختيار شهر نوفمبر لقيام الثورة هي:

أولا: الاستفادة من تنقلات القوات التي تتم في شهر يوليو من كل سنة، لكي تحشد في القاهرة وحدات كاملة من وحدات الجيش الموالية للحركة والتي كانت مبعثرة بين صحراء سيناء والإسكندرية، وكان ضباط أركان الحرب الذين ينظمون هذه التحركات من الضباط الأحرار

ثانيا: أن يكون الملك والوزراء قد عادوا من مصيفهم الى القاهرة لكي تكون الضربة واحدة، وكاملة، وسريعة، من غير حاجة الى معارك أو دماء.

وفي نفس الاجتماع أيضا، كلف عمك عبد الحكيم عامر بعمل تقدير كامل للموقف، وهو العمل الذي يتم دائما قبل اعداد أية خطة، لأنه عبارة عن دراسة دقيقة لكل شئ من وجهة نظرنا ومن وجهة نظر الأعداء الذين كان مفروضا أن وفي نفس الاجتماع أيضا، كلف عمك عبد الحكيم عامر بعمل تقدير كامل للموقف، وهو العمل الذي يتم دائما قبل اعداد أية خطة، لأنه عبارة عن دراسة دقيقة لكل شئ من وجهة نظرنا ومن وجهة نظر الأعداء الذين كان مفروضا أن نواجههم.

ومعذرة يا بني اذا كنت أطيل عليك في ذكر هذه التفاصيل... ولكنني أراها ضرورية بعد أن وعدتك أن أبدأ منذ البداية، وضرورية أيضا لكي

تعرف أنت وجيلك شيئا عن طريقة عمك جمال عبد الناصر في معالجة الأحداث، فكما قلت لك من قبل، لن تستطيع أن تكون لنفسك فكرة حقيقية عن كل ما تم من غير أن تعود دائما الى شخصية عمك جمال التي تجمعت فيها كل خيوط هذه الثورة من قبل أن تبدأ ومن بعد أن قامت.

وأعود إلى الحديث يا بني فأقولى انه بعد أن اتخذ قرار بدء الثورة في سنة 1952 وصرف النظر عن عام 1955 للأسباب التي ذكرتها، لم يضيع عمك جمال لحظة، بل بدأ يعمل ليل نهار، فهو يحضر الاجتماعات المستمرة للجان الضباط الأحرار في مختلف أنحاء القاهرة، ثم يعود الى منزله في ساعة متأخرة من الليل لا لينام، وانما ليعد محاضراته التي سيلقيها في كلية أركان الحرب في الصباح والتي ما يكاد يفرغ منها حتى يكون في انتظاره اجتماع جديد في مكتبه أو في منزله، وهكذا دواليك.

وراحت أيام شهر يناير سنة 1952 تمضي، والحالة تسوء يوما بعد يوم.. الى أن كان يوم 25 يناير الذي ضربت فيه قوات بريطانيا المسلحة، بأحدث الأسلحة والمدافع، دار المحافظة في الإسماعيلية... حيث توجد قوات البوليس المصري المجردة من كل، سلاح اللهم الا من بنادق الحراسة القديمة، وهدمتها فوق ضباط وجنود البوليس البواسل الذين أبوا أن يسلموا كما طلب منهم قائد الإمبراطورية المظفر!

وكان رد الفعل مفاجئا ومذهلا في اليوم التالي وخاصة بعد إن فقد الشعب ثقته في الحكم كما قلت لك اذ احترقت مدينة القاهرة، وعاشت العاصمة الجميلة في فوضى مروعة لعدة ساعات الى أن نزل الجيش،

ولكن هذه الساعات كلفت العاصمة كثيرا من العناء، حتى ان ايدن وهو يحاول أن يجد تبريرا لنفسه في مهاجمة مصر بعد ذلك بأربع سنوات عام 1956، وقف يقول في مغالطة صريحة، انه يريد أن يحمي الممتلكات البريطانية وأرواح الرعايا البريطانين.. حتى لا يتكرر ما حدث في يناير سنة 1952 لكي يخفي هدفه الحقيقي هو وفرنسا شريكته الذي لم يكن حماية الرعايا، وانما هو اعادة السيطرة الأجنبية على مصر وعلى العرب.. وأغتصاب قناتنا.. والتخلص من عمك جمال عبد الناصر.

على أية حال، مضى يوم 26 يناير سنة 1952 بحوادثه الحزينة وكانت هذه الحوادث من العنف بحيث فكر الملك وقتذاك في الهروب من مصر.. وأعد قائمة بمن يريدهم أن يستصحبوه في هروبه وفاتح بعضهم فعلا.. وأعد حقائبه.

ووصلتنا هذه المعلومات.. وللمرة الثانية بدأنا نفكر في تقديم موعد قيام الثورة لكي يكون شهر مارس 1952 بدلا من شهر نوفمبر سنة 1952، الا أن الأمور لم تلبث أن بدأت تعود الى شبه استقرار.. مما دعا الملك لأن يعدل عن فكرته، ليبدأ الفصل الأخير من حياته كملك.. ولكي يكتب الى الأبد مصيره ومصير أسرته التي لم تستند في حكمها لمصر يوما الا على قوة أجنبية.. سواء كانت تركيا أو فرنسا، أو بريطانيا التي عبثت بكل مقدسات هذا الشعب الوادع الأمين.

وفي بحر خمسة أشهر سقطت وقامت خمس وزارات.. كل وزارة منها تشتم أختها وتسب عرضها.. والملك لاه في القمار والسهرات..

والشعب يعاني من هذا العبث الذي شمل مصيره وأرزاقه ومقدراته.. وبريطانيا تقف من هذا المشهد موقف المنتصر الذي خرج من المعركة بكل الأسلاب..

وجاء شهر يوليو سنة 1952 وصمم عمك جمال أن يجرب قوة التنظيم، أو (القاعدة الثابتة) في (معركة) حقيقية.. لكي يعرف مدى صلابته.

وكانت معركة انتخابات مجلس إدارة نادي الضباط التي خاضها تنظيم الضباط الأحرار بقائمة قد نجحت بكاملها.. وكان أول عمل لهذا المجلس هو أن تحدى الملك علانية، برفض ضم عضو إليه سقط رغم تزكية الملك له.

ثم جاء النصف الأول من شهر يوليو عام 1952.. وميعاد قيام الثورة لا يزال كما هو في نوفمبر.

ولكن الأقدار عادت فغيرت هذا الحساب أيضا.

اذ ما لبثت الوزارة الخامسة ان استقالت يوم 19 يوليو سنة 1952.. وباستقالتها بدأت الأحداث تخلق موقفا جديدا.

اذ جاءت الأنباء من الإسكندرية، بأن الملك سيعهد بوزارة الحربية الى رجل من رجاله، هو نفس الرجل الذي سقط في انتخابات النادي رغم تزكية الملك له.. وكان معنى هذا ان صراعا لابد أن ينشأ بين تنظيم الضباط الأحرار، وبين الوزير الجديد من أجل البقاء..

وكان قرار بدء الثورة وفكر عمك جمال يا بني بسرعة.. تماما كما فكر ساعة أن سمع أزيز قاذفات القنابل البريطانية، التي جاءت لتضرب مصر

في مساء 31 أكتوبر سنة 1956.. وكشف من هذا الأزيز حقيقة المؤامرة الثلاثية على مصر..

اقول فكر عمك جمال بسرعة، وانتهى الى قرار هو أنه اذا كان لابد من صراع، فليكن هذا الصراع من أجل مصر لا من أجل بقاء تشكيل الضباط الأحرار.

وكان قرار بدء الثورة.

عرفه أعضاء الهيئة التأسيسية الذين كانوا في مصر يوم 20 يوليو سنة 1953.

وحمله الينا في سيناء، عمك حسن إبراهيم، الذي قام بالطائرة لأبلاغه للأعضاء، الذين كانوا هناك.

وكان نص القرار:

(تحددت الفترة من 22 يوليو الى 5 أغسطس سنة 1952 لبدء المشروع).

وكان المشروع.. هو الثورة.

كن صادقا مع نفسك يا ولدي

اردت يا بني ان أذكر لك هذه التفاصيل، لكي تعلم كيف بدأت الثورة.. وكيف كان عمك جمال يسيطر على الأحداث فيوجهها ولا توجهه.. وهو في كل ما يصدر عنه، أو ينفعل به، انما يفكر أولا في مصر، وانقاذ مصر، وبعث مصر.

وقامت الثورة في ليل 22 23 يوليو سنة 1952.

ولا أريد أن أحكي لك هنا يا بني عن التفاصيل ساعة بساعة، فأنا لم أدون مذكرات.. لأن ذلك لم يكن مستطاعا فيما كنت أعيش فيه من ظروف، وما كان يحيط بي من أحداث.. لذلك فانني سأروي لك الحوادث

بعد ذلك، من وحي ما طبعته في عقلي من احساسات، وما عكسته على وجداني من انفعالات، كما سبق أن قلت لك.. وهي قبل كل شئ رواية نفسي، فان أصبت فليس لي فضل، وان أخطأت فليس على ذنب.. وان ما يعنيني هو أن أحكي لك نفسي كما تعودت أن أحكيها لكل من يقرأ لي سطورا أو كلمات.. والعبرة عندي أن التزم حدود ما احسه، وينفعل به ضميري، من غير أن الجأ الى التزويق أو الافتعال.

ان أروع متعة يا بني في هذه الحياة.. هي أن تكون صادقا مع نفسك دائما.

بهذا الصدق لن تعرف نفسك العقد أو الأزمات، التي اعترف لك انني تعرضت لها في حقبة من حياتي بعد الثورة. وانتصرت عليها وأنا استقبلتها في هذه الدنيا أثناء العدوان.

احرص يا بني في كل لحظة من حياتك، على أن تكون صادقا مع نفسك، حتى تنعم دائما بالسلام الروحي.

من آجل ذلك أحبه..

وتعلم يا بني أن تغفر للناس، فان أتعس لحظات يعيشها إنسان على ظهر هذه الأرض هي تلك التي يتملك النفس فيها غضب أو حقد أو كراهية.

ولكن...

تعلم أيضا يا بني بألا تغفر أو تتهاون أبدا مع من يعتدي على وطنك.. فانك لن تعرف السلام أبدا ووطنك معتدى عليه.. ولا كرامة ولا شرف لأي إنسان، اذا كانت كرامة وطنه في التراب، أو كان شرف وطنه يداس بالأقدام.

من أجل ذلك، نحن نحب عمك جمال..

ومن أجل ذلك، يكرهه المستعمرون المسعورون في بريطانيا وفرنسا، وأدعياء السياسة في أمريكا.

انني مهما وصفت.. فلن أستطيع أن أصور لك يا بني حياة الشقاء الذي عشنا فيه منذ مولدنا.. وكان يعيش فيه آباؤنا وأجدادنا عبر القرون، نتيجة للسيطرة الأجنبية.

فقد انتزعت ملكية هذا الشعب.. وأصبحت الأرض ومن عليها ملكا للوالي التركي أيام محمد على تحت حكم الأتراك.. ومن قبل ذلك وأثناء الحملة الفرنسية، استعبد الشعب، وهدمت بيوته، وصودرت أرزاقه، وحولت الجنود الفرنسية جوامعه إلى إسطبلات للخيول، ولم ينج من هذا المصير الجامع الأزهر نفسه، لا لشئ إلا لأن نابليون كان ينافس بريطانيا في الاستعمار واستعباد الشعوب.

ومن بعد ذلك. اتفقت بريطانيا وفرنسا طوال القرن التاسع عشر على اغتصاب مصر، وأرزاق مصر، وموارد مصر بالخديعة والغدر تارة، وبقوة السلاح تارة أخرى.. كما حدثتك في الفصل السابق.

مظالم 600 سنة:

مظالم ستمائة سنة.. هي التي حطمها عمك جمال عبد الناصر يا بني.. ستمائة سنة توالى فيها الحكم التركي من عهد السلطان سليم، ثم الفرنسي على يد نابليون، ثم التركي مرة أخرى على يد الخديويين، ثم الفرنسي والبريطاني من خلال الخديويين.

إلى أن جاءت سنة 1882 فأغارت بريطانيا على مصر، وانفردت بحكمها منذ ذلك التاريخ، حتى كان يوم 23 يوليو سنة 1952 الذي حدثتك عنه، والقرار الذي اتخذه عمك جمال، لكي ينهي الى الأبد مذلة دامت ستمائة عام، وعارا لحقا كل هذه الأجيال.

وأصبح يوم 23 يوليو سنة 1952.

وعرفت مصر، وعرف العالم كله، أن جيش مصر قد تحرك.

أما الشعب.. فقد انفجر ليهلل، ويؤيد.. لأن أماله المكبوتة التي ورثها عبر عصور المظالم والاضطهاد، قد تحققت أخيرا على أيدي ابناء من صميم ترابه.

ولم يسأل الناس أو يترددوا لحظة، كما هو مفروض ان يحدث عند وقوع مثل هذه الأحداث.

فالذين قاموا بالثورة ضباط من الجيش.. وضباط الجيش كلهم مصريون.. لا يوجد بينهم شركسي ولا بريطاني.

أما المعسكر الغربي.. وهو ما كان يهمنا عند بدء هذه الثورة لاحتمال تدخله، فقد أذهلته الضربة السريعة التي تمت في سرية مطلقة، وأقلام مخابراته تملأ شوارع مصر، واجواءها في تلك الأوقات.

المخابرات البريطانية فشلت

فقد كان لبريطانيا جهاز مخابرات في مصر.

وكان متغلغلا في كل الأوساط.

وكانت سمعته أسطورية.. بمعنى ان مجرد ذكر اسم قلم المخابرات البريطانية، كان يعني القوة التي لا قبل لأحد بها، والقدرة الخارقة على معرفة ما يجول حتى في النفوس من قبل أن ينطق به اللسان.

وكان الإنجليز مغرورين جدا بمخابراتهم، الى جانب شئ آخر اهم من مخابراتهم وجيوشهم، وهو ما كان يسمى بالهينة البريطانية.

لذلك كانت الضربة مذهلة حينما قامت الثورة، وليس لدى مخابراتهم علم سابق كما تعودوا في كل الأحداث.

وأكثر من ذلك طعنت هيبتهم في الصميم من أول لحظة حينما تجاهل القائمون بالثورة بريطانيا، والسفارة البريطانية تجاهلا تاما.. وهي السفارة التي كانت منذ ساعات سابقة مصدر السلطات في مصر، وسيدة القصر الذي يحكم البلاد، وقبلة الأحزاب، ومنتهى أمل لقادة والزعماء.

وكان هذا التصرف طبيعيا يا بني.. بعد كلّ تلك الستين الطوال من الاحتلال والإذلال.

أما بالنسبة لأمريكا، فان الاسم كان يختلف بعض الشئ عنه بالنسبة لبريطانيا.

فبالرغم من اننا كنا نعلم أن هناك صداقة وطيدة بين سفير أمريكا والملك، إلا أنن كنا نحس بالآمال العريضة. كلما ذكرنا المواقف التي كانت بين روزفلت وتشرشل.. وكيف أن روزفلت كان يدافع عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب الضعيفة ضد جشع بريطانيا وطمع فرنسا.

كنا نذكر بالذات، تلك الجلسات التي عقدت في الدار البيضاء.

والحديث الذي دار بين روزفلت والسلطان محمد الخامس ملك المغرب.

وكيف أن تشرشل كان يتدخل للمقاطعة وتحويل الحديث حتى لا يحصل المغرب على استقلاله مع أن ميثاق الأطلنطي الذي أعلنه تشرشل وروزفلت في عرض المحيط، لم يكن مداده قد جف بعد.

حق تقرير المصير

كنا نذكر أيضا تاريخ تحرير أمريكا من الاستعمار البريطاني.. وكيف أنها خاضت معركة سنخوض مثلها تماما مع بريطانيا.

وكنا نظن أن ما تركه جورج واشنطن من تراث، مازال يحفظه الأبناء اليوم، بعد أن كتبه الآباء والأجداد بدمائهم، وكفاحهم يوم أن أرادت بريطانيا أن تتحكم حتى في فنجان الشاي الذي يشربه الأمريكي.

كنا نعتقد أن حق تقرير المصير، الذي كانت تنادي به أمريكا طوال الحرب الثانية لكل الشعوب الصغيرة وتنديدها بالاستعمار، حقيقة لا دعاية.

من أجل ذلك كله.. كان تصرف الثورة حيال أمريكا، من أول يوم، مناقضا تماما لتصرفها حيال بريطانيا.

وانعقدت صداقة حقيقية بيننا وبين السفير الأمريكي الذي كان صديقا للملك.

وكان الرجل مخلصا حقا.. الا أن واشنطن كما اتضح فيما بعد كانت لها رأي آخر، يعتمد في بعضه على آراء الاستعماريين من أمثال ايدن رئيس وزراء بريطانيا، الذي تحطم وانهار أمام وقفة جمال عبدالناصر.. ويعتمد بعضه على النفوذ الصهيوني البشع الذي يسيطر على الصحافة، وعلى الكونجرس، وعلى المال في أمريكا. ويعتمد بعضه أيضا على أراء بعض

المتهوسين المغرورين من الأمريكان الذين يعتقدون انهم يستطيعون شراء كل شئ بالدولار حتى المبادئ والأخلاق.. فاذا رفضت أن تبيع خلقك بادروا فملأوا العالم كله بالصياح: انك شيوعي وهدام.. وخطر على البشرية وعلى السلام!

صداقة الأحرار

ومن أول يوم كنا نؤمن بالصداقة.. ولكن فهمنا للصداقة كان ولا يزال هو صداقة الأحرار لا صداقة العبيد.

ومن هذه النقطة بالذات، بدا الخلاف الذي وصل إلى حد اعلان الحرب على مصر والعدوان عليها بتدبير دنئ في يوم 29 أكتوبر سنة 1956، ولكنني أقرر، اننا برغم كل ما حدث في الشهور السابقة. وبرغم ذلك العدوان، لم يتزلزل أبدا إيماننا شعرة واحدة في فهمنا للصداقة.. بل على العكس من ذلك.. فنحن نصر إصرارا كاملا على أن أمل البشرية الباقي للعيش والأمن، لن يكون الا في الصداقة الحرة.. صداقة الشعوب قبل صداقة الحكومات.. صداقة الأحرار التي تنبثق من الاحترام المتبادل، بعد ان أسفرت معركة العدوان عن صدق ما قلناه من أن المدفع والدبابة لا يفرضان الصداقة، وانما يولدان الحقد والمرارة.

كانت الصداقة هي العاهل الأساسي الذي اتخذه جمال عبدالناصر شعارا له، وهو يبني تشكيل الضباط الأحرار.. لأنها معنى ينسجم مع طباعه، ويحفز فيه كل طاقات الانتاج والحماس.

فقد كان يسعده فعلا أن يوقف اجتماع شعبة من شعب التشكيل، او

يلغيه.. لأن ضابطا زميلا رجاه أن يساعده بشرح درس من دروس كلية أركان الحرب، وقد لا يكون هذا الضابط عضوا في التشكيل، ولا ينتظر منه اصلا أن يكون عضوا، وانما يكفي جدا ان يقصد جمال عبدالناصر باسم الصداقة، فيكون له ما يريده.. حتى ولو عطل ذلك بعض الوقت، كان الهدف الذي يعيش ويكافح من أجله عمك جمال.. وهو الثورة..

وقد نجحت هذه الصداقة في أن تجعل بناء الضباط الأحرار مهما كان عدده، بناء قويا عميق الإيمان والأهداف.

ونجحت أيضا في أن توفر الحرية التامة لنشاط ما قبل الثورة.. ولكن أروع ما حققته هذه الصداقة كان يوم 27 يوليو سنة 1952 أي بعد أن تنازل الملك وغادر البلاد بيوم واحد.

ثورة 23 يوليو مدرسة

في هذا اليوم اجتمعت الهيئة التأسيسية لتشكيل الضباط الأحرار، لأول مرة يا بني بعد قيام الثورة.. وكان عددنا تسعة.

وكان جمال عبدالناصر هو الرئيس المنتخب للهيئة من قبل قياما الثورة.

وفوجئنا عند بدء هذا الاجتماع، بجمال عبدالناصر يقدم استقالته من رئاسة الهيئة التأسيسية، طالبا انتخابا جديدا للرئاسة بعد أن انتقلت الثورة من مرحلة الى مرحلة .. وحققت أول نجاح بتنازل الملك.. وانتقالها من مرحلة السرية، إلى مرحلة العلنية.

ولقد كان الرد المفاجئ منا جميعا هو رفض إجراء هذا الانتخاب.. لأن أخر انتخاب للرئاسة كان في عام 1952 ولم يكن قد مضى عليه الا بضعة أشهر (فبراير سنة 1952) فضلا عن المسئولية التي ألقيت على كاهل الهيئة التأسيسية بهذا النجاح الأول، والمشاكل الخطيرة التي علينا أن نواجهها تجعلنا نتمسك بأوضاعنا لكي نمضي في طريقنا.

ولكن جمال عبدالناصر أصر على أن يستقيل!! فأجرى الانتخاب على الفور....

وفي لحظات معدودة، جمع كمال الدين حسين أوراق الانتخاب وأخذ يفضها.. وكانت كلها جمال عبد الناصر.

لقد كن جميعا في هذه اللحظات لا نحس إلا بما تعودنا أن نحس به تجاه جمال من صداقة عميقة واحترام متبادل.. ولو إن أحد قرأ أفكارنا في تلك اللحظات لوجدها كلها بخاطرٍ واحد.. هو الثقة في هذا الصديق الذي حرص في ساعة النصر، على أن ينتصر للمبادئ والقيم فيستقيل.. حتى لا يظن أحد أنه أغتر مع أنه كان القوة الدافعة للنصر الذي تم.

ومن هذه اللحظة أيضا، تحدد الطريق الذي سارت فيه الثورة الى يومنا هذا الذي اجلس فيه لكي أسطر هذه الكلمات.

ومن هذه اللحظة أيضا، كتب لهذه الثورة، ثورة 23 يوليو، أن تكون مدرسة قائمة بذاتها تختلف عما سبقها من ثورات.. وكُتب لها أيضا أن تكون حدثا عالميا لا في تاريخ مصر وحدها، وانما في تاريخ العالم أجمع.. اذ أصبحت هذه الثورة نقطة تحول في تاريخ البشرية بين تاريخين:

تاريخ أصيب فيه العالم بكوارث الاستعمار الذي عصف بالقيم.. وذل الشعوب.. واغتصب الأرض والرزق والمصير.. وتاريخ تحررت فيه البشرية لتحفظ للإنسانية قيمها، ولتدك الاستغلال والاغتصاب.. ولتسحق الاستعمار والمستعمرين لصوص القيم، وقراصنة الشرف.

لقد خاض جمال عبدالناصر يا بني معركة مريرة.. ولا يزال يخوضها لا باسم مصر فقط، وانما باسم كل ما أراده الله للبشرية من قيم وخلق وعدالة.. وبرغم ما كان يبدو من عدم تكافؤ القوى في هذه المعركة.

فان جمال عبدالناصر استطاع أن ينتصر في معركة السياسة على دهاقين السياسة الذين أفنوا عمرهم في الخبرة والدهاء.. وسقط أمامه رئيس وزراء أكبر إمبراطورية يعرفها العصر الحديث صريعا موصوما بالتآمر والعار.

واستطاع جمال عبدالناصر أن ينتصر في المعركة الأدبية حين وقفت من خلفه شعوب تعدادها ألف وخمسمائة مليون نسمة.. تصرخ في وجه أعدائه الذين أرادوا أن يعودوا بالعالم الى شريعة الغالب.

وانتصر جمال عبدالناصر في المعركة العسكرية على جيوش الإمبراطورية البريطانية وما يسمى بفرنسا المزودة بأحدث الأسلحة وأفظع أدوات الفتك والدمار.

وهكذا كانت شهادة الحق في حق (جمال).. الزعيم الخالد رغم كل ما قيل وسيُقال..

فهرس المحتويات

تقديـــم 5
أصدق الكلمات 7
الزعيم الخالد جمال عبد الناصر (في سطور) 9
جمال عبد الناصر في المرحلة الإبتدائية: 9
جمال عبد الناصر في المرحلة الثانوية: 10
جمال عبد الناصر ضابطًا: 16
تنظيم الضباط الأحرار: 21
بيان الثورة: 26
تعيين جمال عبد الناصر رئيسًا لمجلس قيادة الثورة: 28
عبد الناصر وثورة 23 يوليو وفلسفتها 35
كاريزما عبد الناصر وخطاب الجلاء 63
أشهر خطاب لناصر 103

وإعلانه تأميم قناة السويس 103
بيان تأميم قنال السويس 165
تنحي عبد الناصر 171
السيدة / تحية كاظم تتذكر ليلة الثورة 182
ذكريات ما قبل 23 يوليو 184
الأسبوع الأخير قبل الثورة 187
ليلة الثورة 189
الخاتمة 199
تغير الحال 206
حديث شيق 213
ثورة موسوليني 214
ثورة 23 يوليو والثورات الأخرى - عيوب مصطفى كمال 215
وجهة نظر الجيش كله 216
شخصية عمك جمال 217
النفس البشرية 217

الانتصارات التي حققتها الثورة 219

مظالم 600 سنة: 228

المخابرات البريطانية فشلت 229

حق تقرير المصير 231

صداقة الأحرار 232

ثورة 23 يوليو مدرسة 233